الحقوق محفوظة
لـ « دار الآداب » – بيروت

الذبابُ

دراما في ثلاثة فصول

الفصل الأول

ساحة في أرغوس . تمثال لجوبيتر ، إله الذباب والموت . عينان بيضاوان ووجه ملطّخ بالدم .

المشهد الأول

(نساء عجائز مرتديات السواد يدخلن في الطواف ويسكبن الخمر أمام التمثال. أبله جالس على الأرض في الداخل . يدخل اورست والمربي ، ثم جوبيتر .)

اورست – هيه ، ايتها النساء الطيّبات !

(يلتفتن جميعاً وهن يرسلن صرخة)

المربي – هل تستطعن ان تقلن ؟ . . .

(يبصقن على الارض وهن يتراجعن خطوة .)

المربي – إسمعن انتنّ . نحن مسافران تائهان . ولا اطلب منكـــنّ إلا إرشاداً .

(تفر العجائز بينما تسقط منهن الجرار .)

المربي – يا للعجائز الحقيرات ! لـكأني حاقد على مفاتنهنّ ! آه يا سيدي، يا للرحلة اللطيفة ! كم كنتَ ملهماً بالمجيء هنا حين يكون هناك اكثر من خمسمئة

الأشخاص

جوبيتر
أورست
أجيست
المربّي
الحارس الاول
الحارس الثاني
الـكاهن الأكبر
الكتر
كليتمنستر
إلاهة يونانية
امرأة صبية
امرأة عجوز
رجال ونساء من الشعب
إلاهات ، خدم
حرس القصر

المربّي – هل تتفضل فترشدنا إلى بيت أجيست ؟

الأبله – اش !

المربّي – اجست ، ملك ارغوس .

الأبله – اش ! اش !

(يخرج جوبيتر في الداخل)

المربّي – لا حظّ لنا ! إن الوحيد الذي لا يفرّ هو أبله (يخرج جوبيتر مرة اخرى) عجباً ! لقد لحق بنا حتى هنا .

اورست – من ؟

المربّي – ذو اللحية .

اورست – انت تحلم .

المربّي – لقد رأيته يمرّ .

اورست – انت على خطأ .

المربّي – محال . انني طوال حياتي لم أر مثل هذه اللحية ، باستثناء واحدة من البرونز تزيّن وجه جوبيتر اهانو بارنوس ، في باليرمو . انظر . هوذا يمرّ ثانية . ماذا يريد منا ؟

اورست – انه مسافرٌ مثلنا .

المربّي – عجباً ! لقد التقيناه على طريق دلف . وحين أبحرنا ، في ايطيا ، كان قد بدأ يعرض لحيته على السفينة . وفي نوبلي ، ما كنّا نخطو خطوة إلاّ وعثرنا به ، وها هوذا الآن هنا . اترى يبدو لك ذلك من قبيل المصادفات ؟

(يطرد الذباب بيده) آه ! إن ذباب أرغوس يبدو لي أشدّ حفاوةً من البشر . انظر هذا ، ولكن انظر هذا ! (يشير الى عين الأبله) انها اثنتا عشرة ذبابة على عينه ، كما لو انها على قطعة حلوى ، وهو في هذه الاثناء تائه مفتون ، ويبدو كما لو انه يحب ان تمصّ عيناه . والواقع انه يخرج لك من هذين البؤبؤين مُصالة بيضاء تشبه الحليب المتخثّر (يطرد الذباب) كفى ! ايها الذباب ، كفى ! ها هي ذي تحوم حولك (يطردها) حسناً ، إنّ ذلك يعود عليك بالرضى والراحة : انت

عاصمة ، في اليونان كما في ايطاليا ، ممتلئة بالخمر الجيد والفنادق الحقيرة والشوارع الآهلة . أما هؤلاء الجبليون ، فيبدون وكأنهم لم يروا قطّ سوّاحاً : لقد سألت مئة مرة عن دربنا في هذه القرية الملعونة التي تشويها الشمس . وفي كل مكان تنطلق صيحات الذعر نفسها ، وعمليات الهرب نفسها ، والجري الاسود الثقيل في الشوارع المعمية . تفه ! تلك الشوارع الخالية ، والهواء الذي يرتعش ، وهذه الشمس ... أي شيء أشأم من الشمس ؟

اورست – لقد وُلدت هنا ...

المربي – هذا ما يبدو . ولكني لو كنت مكانك ، لما افتخرت بذلك .

اورست – لقد وُلدت، هنا وعليّ أن أسأل عن طريقي كعابر سبيل. اطرق هذا الباب !

المربّي – ماذا تأمل ؟ أن يردّوا عليك ؟ انظر اليها قليلاً ، هذه البيوت ، وحدّثني عن هيئتها . أين هي نوافذها ؟ انهنّ يفتحنها على باحات مغلقة ومظلمة جداً ، على ما أتصوّر ، ويُدرن نحو الشارع مؤخراتهن ... (حركة من اورست) حسناً . انني ادقّ الباب . ولكن بلا أمل .

(يطرق الباب . صمت . يطرق مرة اخرى ؛ يشق الباب .)

صوت – ماذا تريد ؟

المربّي – استعلام بسيط . أتعرفين أين يسكن ...

(يغلق الباب من جديد فجأة)

المربّي – إنك تستحقين الشنق ! هل انت مسرور ، يا سيد اورست ، وهل تكفيك التجربة ؟ ان باستطاعتي ، إذا شئت ، أن أدقّ جميع الأبواب .

اورست – لا . دعْك من هذا .

المربّي – عجباً ! ولكنّ هنا شخصاً . (يقترب من الابله) أيها السيد !

الأبله – اش !

المربّي – (بتحية جديدة) أيها السيد !

الأبله – اش !

الذي كنت كثيراً ما تشكو انك غريب في بلدك بالذات ، ترى هذه الحشرات تحتفل بك ، كما لو انها تتعرّفك . (يطردها) هيّا ، كفى ! حسبُنا تدفّقاً ! من اين تراها آتية ؟ انها أشدّ ضجيجاً من الطواحين ، واكبر حجماً من اليعاسيب .

جوبيتر (وكان قد اقترب) — انه ليس الا ذبابـاً سميناً بعض الشيء يقتات اللحم . إن رائحة جيفة قوية قد اجتذبته منذ خمسة عشر عاماً إلى المدينة . وهو منذ ذلك الحين يزداد سمنة . وبعد خمسة عشر عاماً سيبلغ حجم الضفادع الصغيرة .

(صمت) .

المربي — هل لنا أن نعرف بحضرة من نحن ؟

جوبيتر — ان اسمي هو ديتريوس . وانا قادم من اثينا .

اورست — أحسب أني رأيتك على السفينة ، في الخمسة عشر يوماً الأخيرة .

جوبيتر — لقد رأيتك انا أيضاً .

(صراخ فظيع في القصر) .

المربي — هيلا ! هيلا ! انني لا أفهم من هذا كلّه شيئاً ذا قيمة ، وفي رأيي ، يا معلّمي ، انه خيرٌ لنا ان نمضي .

اورست — اسكت .

جوبيتر — ليس لكما ما تخافان . ان اليوم هو عيد الموتى . وهذا الصراخ يعني بدء الاحتفال .

اورست — يبدو انك خبير جداً بشؤون ارغوس .

جوبيتر — انني غالباً ما أقصدها . وقد كنت فيها لدى عودة الملك آغاممنون حين رسا اسطول الاغريق المنتصر في حوض نوبلي . وقد كان بامكان المرء ان يلمح الاشرعة البيضاء من أعلى الأسوار . (يطرد الذباب) ولم يكن ثمة من ذباب بعد . لم تكن أرغوس الا مدينة ريفية صغيرة تعاني الضجر تحت الشمس بتناقل . وقد صعدت الى الافريز مع الآخرين ، في الايام التالية ، وتأملنا طويلاً الموكب الملكي الذي كان يسير في السهل . ومساء اليوم الثاني ، ظهرت الملكة كليتمنستر

على الأسوار بصحبة أجيست ، الملك الحالي . وقد رأى سكان أرغوس وجهيهما مورّدين بالشمس الغاربة ، ورأوهما يطلاّن من فوق الشرفات وينظران طويلاً جهة البحر ، فكان ان فكروا : « لا بدّ أن هناك شراً » ، ولكنهم لم يقولوا شيئاً . ولا بدّ أنك تعرف ان أجيست هو عشيق الملكة كليتمنستر . انه فاجرٌ كان يميل ، في تلك الفترة ، الى الكآبة . انك تبدو متعباً ؟

اورست — إنه السير الطويل الذي قمت به ، وهذه الحرارة اللعينة . ولكنك تثير اهتمامي .

جوبيتر — لقد كان آغاممنون رجلاً طيباً ، ولكنه ارتكب خطأ فادحاً لو تعلم . إنه لم يسمح بأن تُنفّذ أحكام الإعدام علناً . ويا للأسف . فان الشنق ، في الريف ، عملٌ يسلّي ويعوّد الناس قليلاً على الموت . والسكان هنا لم يقولوا شيئاً لأنهم كانوا يعانون السأم وكانوا يريدون ان يشاهدوا ميتةً عنيفة . لم يقولوا شيئاً حين رأوا ملكهم يظهر على أبواب المدينة . وحين رأوا كليتمنستر تمدّ له ذراعيها الجميلتين المعطّرتين ، لم يقولوا شيئاً . وفي تلك اللحظة كانت تكفي كلمة واحدة ، كلمة واحدة ، ولكنهم صمتوا ، وكان في رأس كل منهم صورة جثة كبيرة ذات وجه محطّم .

اورست — وانت ، ألم تقل شيئاً ؟

جوبيتر — أهذا يغضبك ايها الفتى ؟ انني مسرورٌ بذلك كل السرور ، فهذا دليل على عواطفك الطيبة . أجل ، انني لم أتكلم : فانا لست من سكان هذه المدينة ، ولم يكن ذلك مما يعنيني . واما سكان أرغوس ، فانهم حين سمعوا ملكهم في اليوم التالي يئنّ ألماً في القصر ، ظلّوا على صمتهم ، وأغمضوا جفونهم على عيونهم المهتاجة من الشهوة ، وكانت المدينة كلها أشبه بامرأة في حالة الشبق .

اورست — والقاتل يستولي على الحكم . لقد عرف خمسة عشر عاماً من السعادة . وقد كنت أحسب الآلهة عادلين .

جوبيتر — هيه ! لا تلق التبعة على الآلهة بهذه السرعة . هل العقاب واجب ابداً ؟ أليس من الافضل تحويل هذا الاضطراب لصالح النظام الخلقي ؟

اورست – وهذا ما قد فعلوه ؟

جوبيتر – لقد ارسلوا الذباب .

المربي – وماشأن الذباب بهذا ؟

جوبيتر – اوه ! إن هذا رمز . اما ما فعلوه ، فاحكم عليه من هذا : إنك ترى تلك العجوز ، هناك ، تنطنط بأرجلها القصيرة السوداء ، محاذية الجدران . إنه نموذج جميل لتلك الحشرة السوداء المسطحة التي تنغل في شقوق الجدران . انني أقفز على الحشرة ، فأقبض عليها وأحملها اليك (يقفز على العجوز ويعود بها إلى مقدم المسرح) هوذا صيدي . انظر هذه الفظاعة ! أراك تطرف بعينيك ، ومع ذلك فأنتم الآخرين معتادون على السيوف التي تحمرُّ في الشمس . انظر إلى انتفاضات السمكة هذه في طرف الصنارة . أخبريني ايتها العجوز ، لا بدّ انك قد فقدت عشرات الاود : فأنت سوداء من رأسك إلى قدميك . هيّا ، تكلمي وربما اطلقت سراحك . على من انت تلبسين الحداد ؟

العجوز – هذا لباس أرغوس .

جوبيتر – لباس أرغوس ؟ آه ! فهمت . انك تلبسين الحداد على ملكك ، ملكك المقتول .

العجوز – اصمت ! بحق الرب ، اصمت !

جوبيتر – ذلك انك لابد ، وقد بلغت هذه السنّ ، ان تكوني قد سمعت تلك الصرخات المريعة التي طافت طوال ذلك الصباح في شوارع المدينة . فماذا فعلت ؟

العجوز – كان زوجي في الحقل ، فما كان بوسعي ان افعل ؟ لقد اقفلت بابي بالمفتاح .

جوبيتر – نعم وشققت نافذتك لتسمعي على نحوٍ افضل ، وكمنت خلف الستائر ، مقطوعة النفَس ، وانت تحسّين بدغدغة غريبة في جنبيك .

العجوز – اسكت !

جوبيتر – ولا بدّ انك تلك الليلة قمت بفعل الحب على افضل وجه . كان

اليوم عيداً ، أليس كذلك ؟

العجوز – اه ! يا إلهي ... كان عيداً فظيعاً .

جوبيتر – عيد أحر لم تستطيعي دفن ذكراه .

العجوز – يا إلهي ! هل تكون ميتاً ؟

جوبيتر – ميت ! كفى ايتها المجنونة ! لا تهتمّي بما عسى أن اكون ، وخيرٌ لك أن تهتمّي بنفسك وان تكسي صفح السماء بندمك .

العجوز – آه ! انني أندم ، يا إلهي ، وليتك تعرف كم انا نادمة ، وابنتي كذلك نادمة ، وصهري يضحّي كل عام ببقرة ، وحفيدي الذي يناهز السابعة من عمره ، لقد ربّيناه في الندم : إنه عاقل كالصورة ، شديد الشقرة ، وهو ممتلىء بشعور خطيئته الأصلية .

جوبيتر – حسناً ، اذهبي ، ايتها العجوز القذرة ، وحاولي ان تموتي في الندم . إن هذه هي فرصتك الوحيدة للخلاص (تفر العجوز) إما انني ، يا سادتي ، على خطأ فادح ، وإما أن هذه تقوى ، على الطريقة القديمة ، قائمة على الإرهاب .

اورست – أي رجل تكون ؟

جوبيتر – من يهتمّ بي ؟ كنا نتحدث عن الآلهة . حسناً ، أكان ينبغي صرع أجيست ؟

اورست – كان ينبغي ... آه ! لا أدري ماذا كان ينبغي ، وأنا أسخر من ذلك ، فانا لست من هنا . وهل أجيست نادم ؟

جوبيتر – أجيست ؟ إن ذلك يدهشني لو حدث . ولكن ما يهمّ . إن مدينةً برمّتها نادمةٌ من أجله . والندم شيءٌ يُحسَب بالوزن (صراخ فظيع في القصر) اسمع ! حتى لا ينسوا أبداً صراخ احتضار ملكهم . فقد اختير بقارٌ ذو صوت قوي ليصيح هكذا ، في كل ذكرى سنوية ، في قاعة القصر الكبرى (يقوم اورست بحركة اشمئزاز) ولكن هذا ليس بشيء ؛ فما عساك تقول عما قليل حين يُطلَقُ الموتى ؟ لقد اغتيل آغا ممنون منذ خمسة عشر عاماً تماماً . آه ! وكم قد

تغيّر منذ ذلك الحين شعب ارغوس الخفيف ، وما اقربه الآن من قلبي !

اورست – من قلبك ؟

جوبيتر – دعك من هذا ، دعك ، ايها الفتى . كنت أحدّث نفسي . كان عليّ ان اقول : ما اقربه من قلب الآلهة .

اورست – حقاً ؟ جدران ملطخة بالدم ، وملايين من الذباب ، ورائحة مجزرة ، وحرارة حشرات ، وشوارع مقفرة ، ورب ذو وجه مسحوق ، وبقايا مذعورة تضرب صدورها في جوف بيوتها – وهذا الصراخ ، هذا الصراخ الذي لا يطاق : أهذا ما يروق لجوبيتر ؟

جوبيتر – آه ! لا تحكم على الآلهة ، ايها الفتى ، إن لهم أسراراً مؤلمة .

(صمت)

اورست – لقد كان لآغا ممنون ابنة ، أليس كذلك ؟ ابنة تحمل اسم الكترا؟

جوبيتر – نعم . انها تعيش هنا . في قصر أجيست الذي تراه هنا .

اورست – آه ! هذا قصر أجيست ؟ وما رأي الكترا بهذا كله ؟

جوبيتر – انها ما تزال صغيرة . ثم إن هناك ابناً ايضاً ، يدعى اورست . ويقال انه قد مات .

اورست – مات ! عجباً ...

المربي – أجل ، يا معلمي ، انت تعلم جيداً انه مات . وقد روى لنا سكان نوبلي أن أجيست كان قد أصدر أمره بقتله، بعد فترة قصيرة من موت آغاممنون.

جوبيتر – لقد ادّعى البعض انه كان على قيد الحياة ، وأنّ من كانوا يدفنون قتله قد أخذتهم الشفقة عليه فتركوه في الغابة . ويقال إن بعض الرعاة اثنينا البورجوازيين قد التقطوه وربّوه . اما انا ، فأتمنّى أن يكون قد مات .

اورست – ولماذا ، من فضلك ؟

جوبيتر – تصوّر أن يَمثُل ذات يوم على ابواب هذه المدينة ...

اورست – وإذن ؟

جوبيتر – عجباً ! إذا التقيته فسأناديه ايها الفتى، لأنه في سنّك، تقريباً،

إن كان يعيش . وبالمناسبة ، هل تقول لي اسمك يا سيدي ؟

اورست – اسمي « فيلاب » وانا من كورنثيا . انني اقوم برحلة للتثقف ، يصحبني عبدٌ كان مؤدّبي .

جوبيتر – حسناً . في هذه الحالة سأقول اذن : « إمضِ ، ايها الشاب ! فمّ تبحث هنا ؟ إنك تريد أن تحقق حقوقك ؟ إنك قويّ نشيط ، وانت تصلح لتكون نقيباً في جيشٍ مقاتل ، وان امامك عملاً أفضل من أن تحكم مدينة نصف ميتة . جثة مدينة يعذّبها الذباب . إن السكان هناك هم خطاةٌ كبار ، ولكنهم يسلكون الآن درب التوبة . فدعهم ايها الفتى ، دعهم ، واحترم مشروعهم المؤلم ، وابتعد على رؤوس أصابعك . إنك لن تستطيع أن تشاطرهم ندمهم ، لأنك لم تشترك في جريمتهم ، وبراءتك الوقحة تفصلك عنهم كحفرة عميقة . إذهب من هنا إن كنت تحبّهم قليلاً . إمضِ عنهم ، لأنك ستفقدهم : فيكفي أن توقفهم في الطريق ، وان تصرفهم ، ولو لحظة ، عن ندمهم ، حتى تتسمّر عليهم خطيئاتهم جميعاً كالشحم البارد. إن ضميرهم يبكتهم وهم خائفون، وللخوف وتبكيت الضمير رائحة لذيذة لأنوف الآلهة . أجل ، انهم يروقون الآلهة ، هذه النفوس التي تثير الشفقة . فهل تريد أن تنزع عنهم الحظوة الإلهية ؟ وماذا تعطيهم بديلاً عنها ؟ ألواناً من الطعام السهل الهضم وأمن الأرياف الضجر والسأم ، آه ، سأم السعادة اليومي . رحلة سعيدة ، ايها الفتى ، رحلة سعيدة ؛ إن نظام المدينة ونظام النفوس غير ثابتين : فاذا لمستها ، أحدثتَ كارثة . (ناظراً اليه في عينيه) كارثة هائلة ترتدّ عليك .

اورست – حقاً ؟ أهذا ما كنت تقوله ؟ حسناً ، إن كنت انا هذا الفتى ، فسأجيبك ... (يتبادلان النظر ؛ يسعل المربي) انني لا أعرف ما الذي سأردّ عليك به . فلعلّك على حق ، وانا لا شأن لي بهذا .

جوبيتر – هذا أفضل . وأتمنّى ان يكون اورست ايضاً عاقلاً على هذا النحو . هيّا ، السلام عليك ! يجب أن أنصرف إلى أعمالي .

اورست – السلام عليك .

جوبيتر – بالمناسبة ، إن كان هذا الذباب يزعجك ، فاليك الطريقة التي تتخلص بها منه : انني اكوّر قبضتي ، وارفع ذراعي قائلاً : « ابراكسا ، غالا ، غالا ، تسي ، تسي . » وانظر الآن : ها هوذا يتدحرج ويأخذ يزحف على الأرض كالدود .

اورست – بفضل جوبيتر !

جوبيتر – ليس هذا بذي شأن . إنه موهبة إجتماعية صغيرة . انني في اوقات فراغي ساحر الذباب . سلاماً . سوف اراك ثانية .

(يخرج)

المشهد الثاني

اورست – المربّي

المربي – حذار . إن هذا الرجل يعرف من أنت .

اورست – أهو رجل ؟

المربي – آه ! كم انت تتعبني يا معلّمي ! ماذا تفعل إذن بدروسي وبنزعة الشك الباسم التي أعلّمك إياها ؟ « أهو رجل ؟ » عجباً ، ليس ثمة الا رجال ، وهذا ما يكفي . إن صاحب اللحية هذا رجل ، جاسوس لأجيست .

اورست – دعني من فلسفتك . فقد أصابني منها أذى بليغ .

المربي – أذى ! أيكون منح الناس حريتهم الفكرية ايذاءً لهم ؟ اه ! كم قد تغيرّت ! كنت فيما مضى أقرأ فيك ... أتقول لي اخيراً ما الذي تنويه ؟ لماذا قُدتني إلى هنا ؟ وماذا تريد أن تفعل ؟

اورست – وهل قلتُ لك إن عندي شيئاً اريد أن أفعله هنا ؟ كفى ، اسكت . (يقترب من القصر) هوذا «قصري». هنا وُلد أبي، وهنا اغتالته مومس وعشيقها . وقد وُلدت انا ايضاً فيه . وكنت في الثالثة من عمري حين أخذني جنود أجيست المرتزقة . وقد مررنا بلاشك من هذا الباب ؛ كان أحدهم يحملني بين ذراعيه ، وكانت عيناي مفتوحتين على سعتهما ، ولا شك في اني كنت أبكي... آه ! ليس ثمة من ذكرى ؟ انني ارى بناءً كبيراً أبكم منتصباً بأبهّته الريفية . « أراه » للمرة الاولى .

المربي – ليس من ذكرى ، ايها المعلم العاقّ ، في حين اني كرّست عشرة اعوام من حياتي وانا اعطيك الذكريات ؟ وجميع هذه الرحلات التي قمنا بها ؟ وتلك المدن التي زرناها ؟ ودروس علم الآثار تلك التي كنت ألقيها عليك وحدك ؟ ليس من ذكرى ؟ لقد كان ثمة كثير من القصور والمعابد التي تعمر ذاكرتك ، حتى انه كان بوسعك ، كالعالم الجغرافي بوسانياس ، ان تؤلّف دليلاً لليونان .

اورست – قصور ! هذا صحيح . قصور واعمدة وتماثيل ! لماذا لا اكون اكثر ثقلا ، انا الذي أحمل في رأسي هذه الصخور الكثيرة ؟ والدرجات الثلاثمئة والسبع والثمانون في معبد « افيز » لماذا لا تتكلم عنها ؟ لقد رقيتها درجة درجة، واني لأتذكرها جميعها . واظنّ ان السابعة عشرة منها كانت مكسورة . آه ! إن كلباً ، كلباً عجوزاً يتدفأ ، مستلقياً قرب موقد ، وينهض قليلاً لدى دخول سيّده، وهو يمنّ بعذوبة ليحييّه، إن كلباً كهذا يملك ذاكرة اقوى من ذاكرتي . إنه يتعرّف معلّمه . معلّمه هو . وماذا لي أنا ؟

المربي – ماذا تصنع بالثقافة ، يا سيدي ؟ إنها لك ، ثقافتك ، ولقد نظّمتها لك في حبّ ، كباقة ورد ، جامعاً فيها ثمار حكمتي وكنوز خبرتي . ألم أجعلك تقرأ ، في وقت مبكر ، جميع الكتب لأعوّدك على تنوّع الآراء البشرية ، وأجتاز بك مئة حالة مدللاً لك في كل ظرف كم هي متقلّبة أخلاق الناس ؟ هأنت ذا الآن شاب غنيّ وجميل ، حكيم كالشيوخ ، متحرّر من جميع الوان العبودية والمعتقدات ، بلا اسرة ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، حرّ أمام جميع الالتزامات، ومدركٌ انه ينبغي ألاّ تلتزم أبداً ، انسانٌ أعلى بالاختصار، قادر بالاضافة إلى ذلك على تدريس الفلسفة او علم الآثار في مدينة جامعية كبيرة ، وانت مع ذلك تشكو !

اورست – لا : انني لا أشكو . لا أستطيع ان أشكو : لقد تركت لي حرية هذه الخيوط التي تنتزعها الريح من نسيج العنكبوت والتي تتطاير على ارتفاع عشرة اقدام من الأرض ؛ انني لا أزن اكثر مما يزن الخيط ، وأعيش في

الهواء . وانا أعلم ان هذا حظّ ، وأقدره حق قدره (فترة) إن هناك أشخاصاً يولدون ملازمين : ليس لهم الخيار ، فقد ألقوا في درب ، وفي آخر الدرب عملٌ ينتظرهم ، هو « عملهم » ؛ إنهم يمضون ، واقدامهم العارية تضغط بقوة على الأرض وتتجرّح بالحصى . أفتبدو لك مبتذلة ، انت ، فرحة ان يذهب المرء الى جهة ما ؟ وهناك آخرون ، صموتون ، يحسّون في أعماق قلوبهم ثقل الصور الأرضية المعتكرة ؛ لقد تغيّرت حياتهم لأنّه في يوم من طفولتهم ، حين كانوا في الخامسة ، او السابعة ... حسناً : انهم ليسوا بشراً أغلبيّن . لقد كنت بدأت ادرك ، وانا في السابعة ، اني كنت منفياً ؛ ان الروائح والأصوات ، ونقر المطر على السقوف ، وارتعاشات النور – كنت اترك ذلك كلّه ينزلق على جسمي ويسقط حولي ؛ كنت اعرف انها تخصّ الآخرين ، واني لن أستطيع ابداً ان أجعل منها ذكرياتي . ذلك ان الذكريات أغذية ٌ دسمة لمن يملك البيوت والماشية والخدم والحقول . اما أنا ... فاني حرّ ، والحمدلله . آه ! كم انا حرّ . وأية غيبة رائعة هي روحي . (يقترب من القصر) كان المفروض ان أعيش هنا . وما كان لي أن اقرأ اي كتاب من كتبك ، بل ربما لم اكن احسن القراءة : فمن النادر ان يعرف أمير القراءة . ولكني كنت سأدخل من هذا الباب وأخرج عشرة آلاف مرة . وكنت وانا صبيّ سألعب بمصراعيه ، وأتكوّر عندهما ، فيصرّان من غير ان ينفتحا ، وتعرف ذراعاي درجة مقاومتهما . وفيما بعد ، كنت سأدفعهما ليلاً ، خفيةً ، لأذهب إلى لقاء الفتيات . وفيما بعد ايضاً ، يوم بلوغي سنّ الرشد ، كان العبيد سيفتحون الباب على سعته فأجتاز عتبته ممتطياً ظهر الجواد . يا لبابي الخشبيّ القديم ! كنت سأعرف موضع قفلك ، وانا مغمض العينين . وذلك الخدش ، هناك في الأسفل ، ربما كنت انا الذي أحدثته ، بحركة خرقاء ، في اليوم الاول الذي سلّموني فيه سهماً . (يبتعد) طراز دوريدي ، أليس صحيحاً؟ وما رأيك بالنقوش الذهبية؟ لقد رأيت شبيهها في « دودون » : إنه فنّ دقيق . هيّا ، انني سأسرّك : ليس هذا قصري ، ولا بابي . وليس لنا ما نفعله هنا .

المربّي – هأنت ذا تعود إلى رشدك . ما كنت ستربح لو عشت فيه ؟ إن روحك ، في هذا الوضع الذي هو فيه ، كانت تكون تحت إرهاب ندمٍ كريه .

اورست (في انفجار) – كان يكون لي على الأقلّ . وهذه الحرارة التي تلقي الاحمرار على شعري، كانت تكون لي. ولي طنين هذا الذباب. وفي هذه الساعة، كنتُ أكون عارياً في غرفة معتمة بالقصر ، أراقب من شق مصراع لون النور الأحمر ، وانتظر ان تغيب الشمس وان يرتفع من الأرض ظلٌّ نديّ لأمسية من اماسي ارغوس ، كأنه الرائحة ، شبيهة بمئة الف امسية اخرى، وجديدة دائماً، ظلّ امسية يخصّني أنا . لنمضِ ايها المربّي ؛ اتراك لا تدرك اننا ننتن في حرارة الآخرين ؟

المربي – آه ! كم تطمئنني يا سيّدي ! انني كنت اراك في هـــذه الأشهر الأخيرة – وبكلمة أدقّ منذ ان كشفت لك سرّ مولدك – تتغيّر يوماً فيوماً ، وكنت أكفُّ عن النوم . كنت أخشى ...

اورست – ماذا ؟

المربّي – ولكنك ستغضب .

اورست – لا ! تكلّم .

المربي – كنت أخشى – إن المـــرء يجهد في ألاّ ينساق مبكراً للسخرية الارتيابية . ولكن تأتيـه احياناً افكارٌ بليدة – وبالاختصار ، كنت اتساءل ألا تنوي ان تطرد أجيست وتحلّ محله ؟

اورست (على مهل) – أطرد أجيست ؟ (فترة) يوسعك ان تطمئن ايها الرجل الطيب ، فلقد فات الاوان . إن الرغبة لا تنقضي في أن أقبض على لحية هـــذا الماجن السكرستي وان انتزعه من على عرش ابي. ولكن ماذا ؟ ماذا أفعل بهؤلاء الناس ؟ انني لم أشهد مولد واحدٍ من اولادهم ، ولم أحضر عرس بناتهم ، وانا لا أشاطرهم ندمهم، ولا أعرف اسماً من اسمائهم . إن الحقّ هو صاحب اللحية : ان على الملك ان تكون له ذكريات رعاياه نفسها . لنتركهم ، يا صاحبي . ولنمض . على رؤوس اصابعنا . آه ! ليت هناك عملٌ يمنحني حق المواطنية بينهم ؛ ليتني

كنت أستطيع ان استولى ، حتى ولو بجريمة ، على ذكرياتهم وذعرهم وآمالهم لأملأ فراغ قلبي ، ولو وجب عليّ ان أقتل امي بالذات ...

المربّي – سيدي !

اورست – أجل . انها احلام وخيالات . لنذهب . انظر ان كان بالامكان ان نحصل على جوادين ، لنمضِ حتى اسبرطة ، حيث لي أصدقاء .

(تدخل الكتر) .

المشهد الثالث

اورست ، المربي ، الكتر

الكتر (حاملة صندوقاً ، مقتربة من تمثال جوبيتر من غير ان تراهما) — قذارة ! انك تستطيع ان تنظر إليّ ، هيّا ، بعينيك المستديرتين في وجهك الملطّخ بعصير الفرز ، فانت لا تخيفني . قل لي ، لقد جاءت هذا الصباح النساء القديسات ، العجائز اللابسات السواد . ولقد صفقن نعالهن الضخمة حولك . وقد كنتَ مسروراً ، أيّها الفزّاعة ، فأنت تحبهنّ ، هاتيك العجائز ؛ إن حبك يزداد لهنّ ما ازددن شبهاً بالأموات . لقد أرقن على قدميك أغلى خمورهن ، لأن هذا هو عيدك ، وكانت تجشّؤات عفنة تصعد إلى أنفك من تنانيرهن ؛ وما يزال منخراك مدغدغيْن بذلك العطر اللذيذ (تحتك به) حسناً ، شُمّني الآن ، شُمّ رائحة لحمي الندي . انني صبيّة أنا ، انني حيّة ، ولا بدّ ان ذلك يثير لديك الاشمئزاز . وانا ايضاً ، قدمت أهبك عطاياي ، والمدينة كلّها تصلّي . عجباً : هذه قشور ، ورماد الموقد كلّه ، وقطع من اللحم ينغل فيها الدود ، وكسرة خبز ملطخة ، لم تُغفر خنازيرنا ، فهي تحبّ هذا ، ذبابك . عيداً سعيداً ، عيداً سعيداً ، ولتتمنّ ان يكون آخر عيد . انني لست قوية جداً . ولا أستطيع ان أسقطك إلى الأرض . ولكني أستطيع ان أبصق عليك ، هذا كل ما أستطيعه . ولكنه سيأتي ، ذلك الذي انتظره ، مع سيفه الكبير وسينظر اليك مقهقهاً ،

هكذا ، ويداه على خاصرتيه ، ورأسه منقلب الى خلف . ثم يستلّ حسامه فيشقّك من أعلى إلى أسفل ، هكذا ! واذ ذاك سيتدحرج نصفا جوبيتر ، الاول إلى اليسار ، والثاني إلى اليمين ، وسيرى الجميع انه من الخشب الأبيض . اما الإشمئزاز والدم على الوجه ، والحضرة المعتمة في العينين ، فليس ذلك كله الا طلاءٌ ، أليس هذا صحيحاً ؟ وانت تعلم انك في الداخل ابيض كل البياض ، ابيض كجسم طفل رضيع ؛ انت تعلم ان ضربة سيف ستشقّك شقاً ، ولن تستطيع حتى ان تنزف . خشب ابيض ! خشب جيّد أبيض : يحترق جيداً . (تلمح اورست) آه !

اورست — لا تخافي .

الكتر — لست خائفة . لست خائفة على الاطلاق . من أنت ؟

اورست — غريب

الكتر — أهلاً بك . ان كل ما هو غريب عن هذه المدينة أثيرٌ لديّ . ما اسمك ؟

اورست — اسمي « فيلاب » وانا من « كورنثيا » .

الكتر — آه ؟ من كورنثيا ؟ اما انا ، فيسمونني الكتر .

اورست — الكتر (للمربي) دعنا وحدنا .

(يخرج المربي)

المشهد الرابع

أورست – الكتر

الكتر – لماذا تنظر إليّ هكذا ؟

اورست – انت جميلة . انك لا تشبهين سكان هذه المدينة .

الكتر – جميلة ؟ انت واثق من اني جميلة ؟ في مثل جمال فتيات كورنثيا ؟

اورست – نعم .

الكتر – اني لا اسمع احداً هنا يقول لي ذلك . انهم لا يريدون ان أعرف هذا . وماعسى ذلك ان يجديني ، حقاً ؟ انني لست الا خادمة .

اورست – خادمة ؟ انت ؟

الكتر – آخر الخادمات . انني أغسل ثياب الملك والملكة . وهي ثياب قذرة ملآى بالاوساخ . كل ملابسهم الداخلية ، القمصان التي سربلت جسمها الفاسدين ، والثوب الذي ترتديه كليتمنسترا حين يقاسمها الملك الفراش : يجب أن أغسل هذا كلّه . انني أُغمض عيني ، وأدْعَك بكل قواي . واغسل الصحون . كذلك . ألا تصدقني ؟ انظر إلى يديّ . إن فيهما جروحاً وشقوقاً ، اليس كذلك؟ ما أغرب نظراتك ! اتكون يداي شبيهتين بأيدي الاميرات ؟

اورست – يا لليدين المسكينتين ! لا . انهما لا تشبهان ايدي الاميرات . ولكن تابعي . لأيّ شيء يستخدمانك ايضاً ؟

الكتر – إنّ عليّ كل صباح أن افرغ القمامة . فانا أجرّها خارج القصر ثم .. لقد رأيتَ ماذا أفعلُ بها ، تلك القذارات . أن صاحبنا الخشيّ هذا هو جوبيتر ملك الموت والذباب . ومنذ ايام ، قَدِم الكاهن الاكبر الذي يأتي ليقدّم له آيات التبجيل ، فمشى على بقايا الملفوف والجزر وعلى قشور الصَدَف . وقد حسب انه سيضيع رشده . قلْ لي هل تراك ستشي بي ؟

اورست – لا .

الكتر – شرِ بي ان اردت ، فانا لا أبالي بذلك . ماذا يستطيعون ان يفعلوا بي اكثر من ذلك ؟ ان يضربوني ؟ لقد سبق ان ضربوني . ان يسجنوني في برج كبير ، هناك فوق ؟ إن هذه لن تكون فكرة سيئة ، فأنا لن ارى في هذه الحالة وجوههم تصوّر انهم ، حين افرغ من عملي في المساء ، يكافئونني : يجب ان اقترب من امرأة سمينة وطويلة ذات شعر مصبوغ . إن لها شفتين منتفختين ويدين شديدتي البياض ، يدي ملكة تنبعث منها رائحة العسل . وهي تضع يديها على كتفيّ ، وتلصق شفتيها على جبيني وتقول : « مساء الخير ، يا الكتر » كل مساء . انني أحسُّ هذا اللحم الحارّ الريان يعيش على بشرتي كل مساء . ولكني اتماسك ، وانا لم اسقط يوماً . انها امي ، لو تعلم . فاذا كنت في البرج ، فانها لن تقبلّني بعد .

اورست – الم تفكري قطّ بأن تفرّي ؟

الكتر – انني لا أملك هذه الجرأة : فسيأخذني الخوف وحدي ، على الطرقات .

اورست – أليست لك صديقة تستطيع أن ترافقك ؟

الكتر – لا ، ليس لي إلاّي . انني وبأ ، طاعون : وهذا ما سوف يقوله لك الناس هنا . ليس لي من صديقات .

اورست – ماذا ، حتى ولا مُرضع ، امرأة عجوز شهدت مولدك ، وهي تحبك قليلاً ؟

الكتر – حتى ولا هذا . إسأل أمي : انني سأثبّط حتى أرقّ القلوب .

اورست – وستبقين هنا طوال حياتك ؟

الكتر (في صرخة) – آه ! لا طوال حياتي ! كلا ؛ اسمع ! انني انتظر شيئاً.

اورست – شيئاً ام أحداً ؟

الكتر – لن اقول لك هذا . بل تحدّث انت . انك انت ايضاً جميل . هل انت باقٍ مدة طويلة ؟

اورست – كان المفروض ان أذهب اليوم بالذات . اما الآن ...

الكتر – الآن ؟

اورست – لا أدري بعد .

الكتر – أهي مدينة جميلة ، كورنتيا ؟

اورست – جميلة جداً .

الكتر – هل تحبّها كثيراً ؟ وهل انت فخور بها ؟

اورست – نعم .

الكتر – سيبدو لي غريباً ان اكون انا فخوراً بسقط رأسي . إشرح لي .

اورست – الحق ... لست ادري . انني لا أستطيع ان أشرح لك .

الكتر – لا **تستطيع** ؟ (فترة) أصحيح أن في كورنتيا ساحات مظلّلة ؟ ساحات يتنزّه فيها الناس مساءً ؟

اورست – صحيح .

الكتر – وجميع الناس في الخارج ؟ الجميع ينتزهون ؟

اورست – الجميع .

الكتر – الفتيان مع الفتيات ؟

اورست – الفتيان مع الفتيات .

الكتر – ولديهم دائماً ما يتبادلون قوله ؟ وتروق للبعض صحبة الآخرين ؟ وهم يُسَمعون ، في ساعة متأخرة من الليل ، يتضاحكون ؟

اورست – نعم .

الكتر – انني ابدو لك ساذجة ؟ ذلك اني اعاني مشقّة كبيرة في تصوّر

النزهات والاغاني والبسمات . إن الخوف يأكلّ الناس هنا . وأنا ...

اورست – انت ؟

الكتر – يتأكلني الحقد . وما الذي يفعلنه طوال النهار ، فتيات كورنتيا ؟

اورست – انهنّ يتزينّ ، ثم يغنيّن او يعزفن على المزاهر ، ثم يزرن صديقاتهن . وفي المساء يذهبن الى المرقص .

الكتر – وليس لديهنّ ايّ همّ ؟

اورست – إن لهن هموماً صغيرة جداً .

الكتر – آه ؟ اسمعني : هل يعاني سكان كورنتيا الندم ؟

اورست – احياناً ، لا غالباً .

الكتر – انهم اذن يفعلون ما يريدون ، ثم لا يفكرون بعد ذلك بشيء ؟

اورست – هو ذلك .

الكتر – هذا غريب (فترة) قل لي هذا ايضاً ، لأني محتاجة إلى معرفته بسبب شخص مـا ... شخص أنتظره : افرض أن فتى من كورنتيا ، فتى من اولئك الذين يضحكون مساء مع الفتيات ، يعود من رحـلة فيجد اباه مقتولاً ، وأمّه في سرير القاتل ، واخته في العبودية ، أتراه سيمضي مطمئناً ، فتى كورنتيا ؟ هل يعود القهقري ، وهو يقوم بالحناءات الاحترام ، باحثاً عـن التعازي بالقرب من صديقاته ؟ ام تراه سيُخرج سيفه ، وينقضّ على القاتل حتى يحطّم رأسه ؟ ألا تجيب ؟

اورست – لا ادري .

الكتر – كيف ؟ لا تدري ؟

صوت كليتمنستر – الكتر .

الكتر – هُس .

اورست – ماذا هناك ؟

الكتر – انها امي ، الملكة كليتمنستر .

المشهد الخامس

اورست - الكتر - كليتمنستر

الكتر – ماذا يا فيلاب ؟ انها تخيفك إذن ؟

اورست – ذلك الوجه ، حاولت مئة مرة ان أتصوّره ، وكنت قد توصلت الى ان أراه ، متعباً ورخواً تحت بهرة المساحيق . ولكني لم أكن انتظر هاتين العينين الميتتين .

كليتمنستر – الكتر ، إن الملك يأمرك ان تتأهبي للحفلة . إلبسي ثوبك الاسود ومجوهراتك . ولكن ماذا ؟ ماذا تعني هاتان العينان المنخفضتان ؟ إنك تشدّين مرفقيك على خاصرتيك الهزيلتين ، وان جسمك يربكك ... إنك غالباً هكذا في حضرتي ؛ ولكني لن أؤخذ بعدُ بهذا التهريج : فمنذ لحظات ، رأيت من النافذة الكتراً اخرى ، ذات حركات واسعة ، وعينين مليئتين بالنار ... فهل تنظرين لي مواجهة ؟ هل تجيبينني ، في آخر المطاف ؟

الكتر – هل انت بحاجة الى غاسلة لصحون المطبخ لكي تُعلي من قيمة عيدك ؟

كليتمنستر – كفى تمثيلاً . انت اميرة يا الكتر ، والشعب ينتظرك ، ككل عام .

الكتر – هل انا حقاً أميرة ؟ وانت تتذكرين ذلك مرة في العام ، حين يطلب الشعب لوحة عن حياتنا العائلية من أجل تقواه ؟ يا للأميرة الجميلة التي

تغسل الصحون وتحرس الخنازير ! أترى أجيست سيحيط كتفيّ بذراعه ، كالعام الماضي ، ويبتسم قرب خدّي وهو يتمتم في أذني كلمات تهديد ؟

كليتمنستر – يتوقّف عليك ان يكون الأمر مختلفاً .

الكتر – نعم ، اذا تركت لعدوى ندمك ان تصيبني ، وطلبت صفح الآلهة لجرم لم أرتكبه . نعم ، اذا قبّلت يدي أجيست وانا أدعوه أبي تفه ! إن تحت أظافره دماً مجمّداً !

كليتمنستر – افعلي ما تشائين . لقد انقضى وقت طويل على امتناعي عن اعطائك اوامر باسمي . انما نقلت لك أوامر الملك .

الكتر – ما الذي أفعله بأوامر أجيست ؟ انه زوجك ، يا امي ، زوجك العزيز جداً ، لا زوجي .

كليتمنستر – ليس لديّ ما أقوله لك يا الكتر . فأنا أرى انك تسعين الى هلاكك والى هلاكنا . ولكن كيف لي أن أنصحك ، انا التي هدمت حياتي في صباح واحد ؟ انك حاقدة عليّ يا ابنتي ، ولكن ما يزيدني قلقاً هو انك تشبهينني : لقد كان لي هذا الوجه الطويل ، وذلك الدم القلق ، وهاتان العينان الكتومان – ولم يخرج من ذلك كله شيء حسن .

الكتر – انني لا اريد ان أشبهك ! قل لي يا فيلاب ، انت الذي تراانا نحن الاثنتين ، احدانا قرب الاخرى ، ليس صحيحاً انني أشبهها ؟

اورست – ماذا أقول ؟ ان وجهها يبدو حقلاً خربته الصاعقة والبَرَد . ولكن على وجهك ما يشبه الوعد بالعاصفة : ولسوف يحرقه الهوس يوماً حتى العظم .

الكتر – وعد بالعاصفة ؟ ليكن . انني أقبل هذا الشَبَه . فليكن ما تقوله صحيحاً !

كليتمنستر – وانت ؟ انت الذي تستطلع وجوه الناس على هذا النحو ، من تراك تكون ؟ دعني أنظر اليك بدوري . وما الذي تفعله هنا ؟

الكتر (بجيوبة) – انه كورنتي يُدعى فيلاب . وهو في سفر .

كليتمنستر – فيلاب ؟ آه !

الكتر – كان يبدو انك تخافين اسماً آخر ؟

كليتمنستر – أخاف ؟ لئن ربحت شيئاً في فقد نفسي ، فهو اني لا يمكن بعدُ أن أخشى شيئاً الآن . اقترب ، ايها الغريب ، وأهلاً بك . ما أفتاك ! فكم تبلغ من العمر ؟

اورست – ثمانية عشر عاماً .

كليتمنستر – وهل والداك على قيد الحياة ؟

اورست – لقد مات أبي .

كليتمنستر – وامك ؟ ربما كانت في مثل عمري تقريباً ؟ ألا تجيب ؟ يبدو انها أصغر مني بلا شك ، وهي ما تزال تستطيع ان تضحك وتغنّي بصحبتك . هل تحبّها ؟ ولكن أجب ! لماذا تركتها ؟

اورست – اني ذاهب الى سبارطة لأنخرط في جيش المرتزقة .

كليتمنستر – ان المسافرين يقومون عادة بسلوك طريق منحرفة عشرين ميلاً ليتجنّبوا المرور بمدينتنا . أتراهم لم يُطلعوك على ذلك ؟ إن سكان السهول قد وضعونا في الحجر : فهم ينظرون الى ندمنا كما لو انه الطاعون ، وهم يخافون ان تصيبهم العدوى .

اورست – أعرف ذلك .

كليتمنستر – أفالوا لك إن جريمة لا تغتفر ، ارتكبت منذ خمسة عشر عاماً ، كانت تسحقنا ؟

اورست – قالوا لي ذلك .

كليتمنستر – وان الملكة كليتمنستر كانت أشد الجميع اجراماً ؟ وان اسمها كان ملعوناً بين الجميع ؟

اورست – قالوا لي ذلك .

كليتمنستر – ومع ذلك فقد أتيت ؟ ايها الغريب ، انا الملكة كليتمنستر .

الكتر – لا تأخذك الشفقة يا فيلاب ، فالملكة تتسلى بلعبتنا الوطنية : لعبة

الاعترافات العلنية . . ان كل فرد هنا يصرخ بآثامه في وجه الجميع ؛ وليس من النادر ، في ايام الأعياد ، ان يُرى تاجر ، بعد ان يكون قد أسدل ستار حانوته الحديدي ، وهو يجرّ نفسه على ركبتيه في الشوارع ، ويدلك شعره بالغبار ويهدر بأنه قاتل ، او زانٍ ، او مخالف واجباته . ولكن سكان ارغوس بدأوا يسأمون : ان كل فرد يحفظ عن ظهر قلب جرائم الآخرين ؛ وجرائم الملكة بصورة خاصة لا تسلّي أحداً ، بعد ، انها جرائم رسمية ، جرائم تأسيسية ، اذا صح التعبير . وانا اترك لك ان تقدر فرحتها حين رأتك شاباً فتياً ، جديداً ، جاهلاً حتى اسمها : اية فرصة استثنائية ! انه يبدو لها أنها تعارف المرة الاولى .

كليتمنستر – اسكتي . إن بوسع كل شخص ان يبصق في وجهي ، منادياً اياي بالمجرمة او المومس . ولكن لا يحق لأحد ان يحكم على ندمي .

الكتر – اترى يا فيلاب : انها قاعدة اللعبة . إن الناس يبتهلون اليك لكي تدينهم . ولكن حذار أن تحكم عليهم بالاخطاء التي يعترفون بها فقط : ان الاخطاء الاخرى لا تعني أحداً ، وسيسوءهم ان تكتشفها

كليتمنستر – كنت منذ خمسة عشر عاماً اجمل امرأة في اليونان . فانظر إلى وجهي واحكم كم عانيت . انني اقول لك بلا طلاء : ليس موت التيس المجوز هو ما آسف عليه ؛ فاني حين رأيته ينزف في مغطسه ، غنيّت فرحاً ورقصت . واليوم ايضاً ، بعد انقضاء خمسة عشر عاماً ، لا افكر بذلك من غير رعشة لذة . ولكن كان لي ابن – كان يكون في مثل سنّك . وحين سلّمه أجيست للجنود المرتزقة ، كنت . . .

الكتر – لقد كانت لك ايضاً بنتٌ يا أمّي ، كما يخيّل إليّ . وقد جعلت منها غسّالة صحون . ولكن هذه الخطيئة لا تُبرمك كثيراً .

كليتمنستر – انت فتيّة يا الكتر . لقد كان بوسعه ومن حظه ان يدين من كان فتياً ، ومن لم يتح له بعد ان يرتكب الشرّ . ولكن صبراً : فسوف تجرّبين خلفك يوماً جريمة لا سبيل الى العفو عنها . ستحسّين لدى كل خطوة انك

تبتعدين عنها ، ومع ذلك ، فستظلّ دائماً ثقيلةً على الاحتمال . ستلتفتين وسترينها خلفك ، لا تُدرك ، مظلمةً ونقية كبلورة سوداء . بل انك لن تفهميها بعد ، وستقولين : « لم اكن انا التي ارتكبتها ، لم اكن انا » . ومع ذلك ، فستكون هنا ، منكورة مئة مرة ، دائماً هنا ، تجرّك الى خلف . وستعرفين في آخر المطاف انك كرّست حياتك بضربة زهرٍ واحدة ، مرةً والى الأبد ، وانه لم يبق لك ما تفعلينه إلا ان تجرّي جريمتك حتى موتك . ذلك هو قانون الندم ، العادل والظالم . وسنرى آنذاك ما الذي ستؤول اليه كبرياؤك الفتيّة .

الكتر – كبريائي **الفتية** ؟ كفى ، انما انت آسفةٌ على شبابك ، أكثر من اسفك على جريمتك ؛ وانت انما تحقدين على شبابي اكثر من حقدك على براءتي .

كليتمنستر – إن ما احقد عليه فيك يا الكتر ، انما هو انا نفسي . لا شبابك – كلا – بل شبابي .

الكتر – اما انا ، فانما احقد عليك انت ، نعم انت .

كليتمنستر – يا للعار ! اننا نتبادل الشتائم كامرأتين في سن واحد تنصبُ منافسةً غرامية احداهما تجاه الاخرى . ومع ذلك ، فأنا أمك . انني لا أعرف من تكونين ، ايها الشاب ، ولا ما اتيت تفعله بيننا ، ولكن حضورك مشؤوم . انني لا أجهل ان الكتر تحتقرني ، ولكننا طوال خمسة عشر عاماً لزمنا الصمت ، وكانت نظراتنا وحدها تخوننا . وقد اتيتِ فتحدّثت الينا ، فاذا نحن نكشّر عن اسناننا ونهدر كأننا كلبتان . إن قوانين المدينة توجب علينا ان نقدّم لك الضيافة ، ولكني لا أخفي عنك اني أتمنى أن تذهب . اما أنت يا ابنتي ، يا صورتي ، المفرطة الأمانة ، فصحيح أنني لا أحبك . ولكني أؤثر ان اقطع يدي اليمنى على ان اؤذيك ، وانت تعرفين ذلك ، فتستغلّين ضعفي . ولكني لا أنصحك ان تنصبي في وجه أجيست رأسك الصغير السامّ : فهو يعرف كيف يحطّم ، بضربة عصا واحدة ، أجنحة الأفاعي . افعلي ما يأمرك به ، والاّ فصدّقيني انك ستندمين .

الكتر – تستطيعين ان تجبي الملك أني لن أظهر في الاحتفال . أتعرف ما

الذي يفعلونه يا فيلاب ؟ إن فوق المدينة كهفاً لم يعثر شبّاننا قط على جوفه ، ويقال إنه متصل بجهنم ، وقد سدّه الكاهن الأكبر بصخرة ضخمة . أتصدّق ان الشعب ، في كل ذكرى سنوية ، يجتمع امام هذا الكهف ، وأن جنوداً يدفعون الصخرة التي تسدّ مدخله جانباً ، فيخرج موتانا من جهنم ، على ما يُقال ، وينتشرون في المدينة . وتُقدّمُ لهم المآدب ، وتُقدّم لهم الكراسي والسرر ، ويتكاثف الناس قليلاً ليفسحوا لهم مكاناً في السهرة ، ويركضون في كل مكان ، فلا يكون الشأن الا لهم . وانت تتصوّر نحيب الأحياء : « يا ميتي العزيز ، يا ميتي العزيز ، إنني لم أرد ان أهينك ، فاصفح عني » ، وغداً صباحاً ، لدى صياح الديك ، يعودون تحت الأرض ، وتدحرج الصخرة على باب المغارة ، وينتهي الاحتفال ، حتى العام القادم . انني لا اريد ان اشارك في هذا التمثيل ، إن هؤلاء موتاهم ، لا موتاي .

كليتمنستر – اذا لم تطيعي بملء ارادتك ، فقد أعطى الملك اوامره بأن تقادي قسراً .

الكتر – قسراً ؟ .. ها ! ها قسراً ؟ حسناً . أكذّبي الملك ، يا أمي الطيبة ، انني سأطيعه . سوف أظهر في الاحتفال ، ولما كان الشعب يريد ان يراني فيه ، فلن يخيب . اما أنت يا فيلاب ، فأرجوك ان توجّل ذهابك ، وان تحضر عيدنا . فربما وجدت فيه فرصة للضحك ، فالى اللقاء ، اني ذاهبة لأتهيأ .

(تخرج)

كليتمنستر (لأورست) – إذهب . انني واثقة من انك ستحمل لنا شراً . وليس من الممكن ان يكون لك علينا ثأر ، فنحن لم نفعل لك شيئاً . إذهب . انني استحلفك بأمك ، اذهب .

(تخرج)

أورست – بأمي ...

(يدخل جوبيتر)

المشهد السادس

اورست ـ جوبيتر

جوبيتر ـ أعلمني خادمك انك على وشك الذهاب . وهو يبحث عبثاً عن جوادين عبر المدينة كلها. ولكني أستطيع ان احصل لكما على فرسين مسرجين بسعر معتدل .

اورست ـ لقد عدلت عن الذهاب .

جوبيتر ـ (بهدوء) عدلت عن الذهاب ؟ (فترة . بحيرة) انني اذن لا أتركك ، فأنت ضيفي . إن في أسفل المدينة نزلاً طيباً سننزله معاً . ولـــن تأسف انك اخترتني مرافقـــاً . انني اولاً – ابراكساس ، غالا ، غالا ، تسه ، تسه – أخلصك من ذبابك . ثم إن رجلاً في سني هو أحياناً رجل نصوح : فان بوسعي ان اكون أباك ، وستروي لي قصتك ، تعالَ ايها الفتى ، ودعنـي أقودك : ان مثل هذا اللقاء هو أحياناً أجدى مما قد يظن الناس اولا . انظر مثـل تيليماك ، ابن الملك يوليس . لقد التقى يوماً رجلاً مسناً يُدعى مانتور ، وربط مصـيره به وتبعه في كل مكان ، فهل تراك تعرف من كان مانتور هذا ؟

(يجره وهو يتحدث ، فيا الستار يسدل .)

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

(ساحة في الجبل . الى اليمين ، يقوم الكهف ، ومدخله مسدود بصخرة كبيرة سوداء ، الى اليسار ، درجات سلم تؤدي الى معبد .)

المشهد الاول

المجوع ، ثم جوبيتر واورست والمربي

امرأة (راكع امام ابنها الصغير) – ربطة عنقك . هذه هي المرة الثالثـــة التي أعقدهـــا لك (تنفض بيدها) هكذا . انك نظيف . كن عاقلا وابكِ مـــع الآخرين حين تؤمر بذلك .

الصبي – أهم من هنا قادمون ؟

المرأة – نعم .

الصبي – انا خائف .

المرأة – يجب ان تخاف، يا حبيبي . ان تخاف كثيراً . فهكذا تصبح رجلاً شريفاً .

رجل – سينعمون اليوم بطقس جميل .

آخر – من حسن الحظ ! يجب الاعتقاد بأنهم ما يزالون يتـأثرون بحرارة الشمس . كان المطر يهطل في العام الماضي ، وقد كانوا . . فظيعين .

الاول – فظيعون .

الثاني – واحسرتاه !

الثالث – حين يعودون الى كهفهم ويتركوننا وحدنا ، فيا بيننا ، فسأصعد هنا ، وسأنظر الى هذه الصخرة واقول لنفسي : « ذلك زاد لمدة عام »

رابع – ماذا ؟ اما انا ، فان هذا لن يعزيني . فابتداء من الغـد ، سأبدأ أقول : « كيف تراهم سيكونون في العام القادم » انهم في كل عام يزدادون خبثاً .

الثاني – اسكت ، ايها الشقي . افرض أنّ احدهم كان قـد تسلل من شق الصخرة وكان يروح ويجيء بيننا . . . ان هناك اموات يأتون الى الموعد في ساعة مبكرة . . .

(يتبادلون النظر في قلق)

امرأة صبية – ليت الاحتفال يبدأ فوراً على الأقل . ماذا تراهم يصنعون ، رجال القصر ؟ انهم غير مستعجلين . اما انا ، فأجد هذا الانتظار أقسى الامور وأشقها : اننا هنا ، نراوح تحت سماء من نار ؛ من غير ان نغادر بانظارنا هذه الصخرة السوداء . . . ها ! انهم هناك ؛ خلف الصخرة ؛ وهم ينتظرون مثلنا ؛ مبتهجين كل الابتهاج بفكرة الألم الذي سيحدثونه لنا .

عجوز – كفى ؛ ايتها الفاجرة ! اننا نعرف ما الذي يخيفهـا تلك . ان رجلها قد مات ؛ في الربيع الماضي ؛ وها قد مضت عشر سنوات وهي تركب له قرنين .

المرأة الصبية – نعم ؛ اعـترف اني خنته ما استطعت الى ذلك سبيـلا ؛ ولكني كنت أحبه كثيراً وأجعل حياته لذيذة ؛ انـه لم يشك قط بشيء ؛ وقد مات وهو يلقي عليّ نظرة رقيقة أشبه بنظرة كلب يحسّ بالعرفـان . انه يعرف الآن كل شيء ؛ لقـد افسدوا عليه لذتـه ؛ فهو حاقد عـلي

وهو متألم . وهو عمّا قليل سيكون لصيقي ؛ وسيقارن جسمه الدخاني بجسمي القارّ اناراً شديداً محكماً لم يبلغه قبل ذلك حي . آه ! انني سأحمله الى بيتي ؛ ملتفاً حول عنقي ؛ كأنه فرو . لقـد هيأت له طعاماً لذيذاً ؛ وحلويات طحلبية ؛ ورجبة خفيفة كالتي يحب . ولكن شيئاً لن يخفف ضغيلته ؛ وهذه الليلة . . . هذه الليلة سيكون في سريري .

رجل – انها على حق . ماذا يفعل أجيست ؟ ثم يفكر ؟ انني لا أستطيع أن أحتمل هذا الانتظار .

آخر – هل تشكو ؟ أتحسب أن أجيست أقل خوفاً منا ؟ أتود ان تكون في محله ، وتقضي اربعاً وعشرين ساعة وجهاً لوجه مع آغا ممنون ؟

المرأة الصبية – فظيع ، فظيع هذا الانتظار . يخيل إليّ انكم جميعاً تبتعدون بهدوء عني . إن الصخرة لم تزح بعد ؛ ومع ذلك فقد أصبح كل فرد فريسة موتاه ؛ وحيداً كقطرة مطر .

(يدخل جوبيتر واورست والمربي)

جوبيتر – تعالَ من هنا ؛ فالموضع هنا أفضل .

اورست – ها هم اولاء إذن ؛ مواطنو أرغوس ؛ رعايا الملك آغا ممنون الاوفياء جداً ؟

المربي – ما أقبحهم ! انظر يا معلمي الى سحنتهم الشمعية وعيونهم الجوفاء . ان هؤلاء الأشخاص يكادون يموتون خوفاً . هوذا تأثير الوسواس . انظر اليهم ، وان كنت ما تزال بحاجة الى دليل على كمال فلسفتي ، فتأمّل بعد ذلك وجهي المزهر .

جوبيتر – يا للوجه المزهر ! ان بعض المنثور على خديـك ، يا صاحبي ، لا يمنعك من ان تكون ، في عيني جوبيتر ، زبلاً كجميع هؤلاء . كفى ، انك تثثن ، ولا تـدري ذلك . اما هم ، فأنوفهم ملآى بروائحهم الخاصـة ، وهم يعرفون أنفسهم خيراً منك .

(الجوع تهدر)

رجل – (يصعد درجات المعبد ، ويتوجه الى الجمهور) – ايريدون ان يجعلونا مجانين ؟ لنوحّد اصواتنا ايها الرفاق ولننادِ أجيست ؛ اننا لا نستطيع ان نحتمل ان يؤجل الاحتفال اكثر من ذلك .

الجموع – أجيست ! أجيست ! رحماك !

امرأة – آه نعم ! رحماك ! رحماك ! ألا يشفق علي أحد إذن؟ انه آتٍ برقبته المفتوحة ، الرجل الذي حقدت عليه طويلاً ، وهو سيضمني بذراعيه الدبقتين اللامرئيتين ، وسيكون عشيقي طوال الليل ، طوال الليل . ها !

(يغمى عليها)

اورست – اي جنون هذا ! يجب ان يقال لهؤلاء الناس ...

جوبيتر – ماذا ، ايها الشاب ، أيكون هذا الضجيج كله بسبب امرأة تفقد وعيها ؟ انك سترى أخريات .

رجل – (يرتمي راكعاً) – انني نتن ، انني نتن ، انا جيفة قذرة . انظروا : ان الذباب علي كأنه الغربان ! انقر واحفر ايها الذباب المنتقم ، وعثْ في لحمي حتى قلبي القذر . لقد أثمت ، أثمت مئة ألف مرة ، وانا بالوعة ، مرحاض ...

جوبيتر – يا للرجل الشجاع !

رجال – (يرفعونه) – كفى ، كفى . انك سترى ذلك فيما بعد ، حين يصبحون هنا .

(يظل الرجل مخبولا ، وهو يصفر وهو يدير عينيه)

الجموع – أجيست ! أجيست ! رحماك ! مر ان يبدأ الاحتفال . اننا لا نطيق بعدُ صبراً .

(يظهر أجيست على درجات المعبد ، وخلفه كليتمنستر والكاهن الأكبر . وبعض الحرس) .

المشهد الثاني

الأشخاص أنفسهم – أجيست – كليتمنستر – الكاهن الاكبر – الحرس

أجيست – ايها الكلاب ! أتجرؤون على الشكوى ؟ هل فقدتم ذكرى حقارتكم ؟ أقسم بجوبيتر اني سأرطّب ذكرياتكم (يلتفت الى كليتمنستر) يجب ان نعزم على ان نبدأ بدونها . ولكن لتحذرْ . إن عقابي سيكون نموذجياً .

كليتمنستر – لقد وعدتني ان تطيع . انها تتهيأ ، وانا واثقة من ذلك ، ولا بدّ انها تأخّرت امام مرآتها .

أجيست (للحرس) اذهبوا فاطلبوا الكاهن من القصر وجيئوا بها رضى او قسراً (يخرج الحرس . للجموع) كلّ في مكانه . الرجال إلى يميني . وإلى يساري النساء والاولاد . حسناً .

(صمت . أجيست ينتظر) .

الكاهن الأكبر – إن هؤلاء الأشخاص لا يطيقون بعد صبراً .

أجيست – أعرف . إذا كان حرسي ...

(يعود الحرس)

حارس – بحثنا يا مولاي عن الاميرة في كل مكان . ولكن القصر مقفر .

أجيست – حسناً . سنصفّي غداً هذا الحساب (للكاهن الأكبر) ابدأ .

الكاهن الأكبر – أزيحوا الصخرة .

الجموع – ها !

(يتزع الحرس الصخرة . يقترب الكاهن الأكبر حتى مدخل الكهف) .

الكاهن الأكبر – انتم ، المنسيين ، المهجورين ، المنقضي الاوهام والاحلام ، أنتم المتمدّدين أرضاً ، في الظلام ، كأنكم الأبخرة ، ولا تملكون بعدُ إلاّ حزنكم العظيم ، انتم الموتى ، وقوفاً ، فهذا عيدكم ! تعالوا ، اصعدوا من الارض كبخار هائل من الكبريت تطرده الريح ؛ اصعدوا من احشاء العالم ، أيهـــا الموتى مئة مرة موتى ، انتم الذين تميتكم من جديد كل خفقة من قلوبنا ، انما ادعوكم بالغضب والمرارة وروح الانتقام ، تعالوا اروا حقدكم على الأحياء ! تعالوا فانتشروا في ضباب كثيف عبر شوارعنا ، ولتنسلّ قوافلكم المزدحمة بين الام والطفل ، بين العاشق وعشيقته ، واجعلونا نتحسّر أننا لسنا اموتاً . وقوفاً ، ايتها الأشباح ، ايها الدود ، ايتها الأطياف ، ايتها المسوخ ، يا رعب لياليا . وقوفاً ايها الجنود الذين ماتوا وهم يجدفون ، وقوفاً يا سيئي الحظ ، ايها المذلّون ، وقوفاً يا موتى الجوع الذين كانت صرخة نزاعهم لعنة . انظروا ، ها هم الاحياء هنا ، القرائس السمينة الحيّة ! وقوفاً وانقضّوا عليهم في دوّامة ، وانحتوهم حـــتى العظم ! وقوفاً! وقوفاً ! وقوفاً ! ...

(قرع طبل . يرقص امام مدخل الكهف ، متمهلاً اولاً ، ثم يزداد سرعة حتى يسقط مرهقاً)

أجيست – انهم هنا .

الجموع – يا للفظاعة !

اورست– هذا أشدّ من ان يُحتمل ، وانا ذاهب ...

جوبيتر – انظر إليّ ، ايها الفتى ، انظر إليّ وجهاً لوجه ، هنا . لقد فهمتَ فاصمت الآن .

اورست – من انت ؟

جوبيتر – ستعرف ذلك فيما بعد .

(يهبط أجيست على مهل درجات القصر)

أجيست – انهم هنا (صمت) إنه هنا ، أريسى ، الزوج الذي هزّأته . إنه

هنا ، بلصقك ، بعانقك . كم هو يشدّك اليه ، كم يحبّك ، كم يكرهك ! وانهـا هنا ، ايجيا ، إنها هنا ، امّك التي ماتت نتيجة الإهمال . وانت يا سيجيست ، ايها الرابي الكريه ، انهم هنا جميع مدينيك المساكين ، اولئـك الذين ماتوا في البؤس ، واولئك الذين شنقوا أنفسهم لأنك كنت تدفعهم إلى الافلاس . انهم هنا ، وهم اليوم دائنوك . اما انتم ايها الاقارب ، الاقارب الأرقـاء ، فاخفضوا قليلاً عيونكم ، انظروا إلى اسفل ، نحو الأرض : انهم هنا ، الاطفال الميتون ، وهم يمدّون أيديهم الصغيرة ؛ وإن جميع البهجات التي منعتموها عنهم ، وجميع الآلام التي كبّدتموها إياهم ، تثقل كالرصاص على نفوسهم الصغيرة الحاقدة الحزينة .

الجموع – الرحمة !

أجيست – آه ، نعم ، الرحمة ! الا تعرفون ان الموتى لا رحمة لديهم ؟ إن مآخذهم لا تمحى ، لأن حسابهم قـد توقّف إلى الابد . ابا لأعمال الطيبة تنوي يا ليسياس ان تمحو الألم الذي سببّته لأمك ؟ ولكن اي عمـل طيّب يمكن ان يبلغك يوماً ؟ إن روحه ظهرٌ محرق ، لا ترطبه نسمة ريح ، ولا يتحرك فيه شيء ، ولا يتغيّر ، ولا يعيش فيه شيء . ان شمساً كبيرة هزيلة ، شمساً جامدة تنهكه إلى الأبد . إن الموتى غير موجودين بعدُ – هل تفهمون هذه الكلمة التي لا سبيل إلى تخفيفها – انهم غير موجودين بعد، ومن أجل هذا جعلوا من انفسهم حرّاساً لجرائمكم غير قابلين للفساد .

الجموع – الرحمة !

اجيست – الرحمة ! آه ، ايها الممثلون الاردياء ، إن لكم اليوم مشاهدين . فهل تحسّون على وجوهكم وعلى ايديكم ثقل نظرات هذه الملايين من العيون المحدّقة التي لا يُرعشها أمل ؟ إنهم يروننا ، ونحن عُراةٌ امام مجمع الأموات . ها ! ها ! ها أنتم أولاء اليوم شديدو الارتباك ؛ انه يحرقك ، هـــذا النظر اللامرئيّ الصافي ، الذي هو اشدّ صفاءً من ذكرى نظر .

الجموع – الرحمة !

الرجال – اغفروا لنا أننا أحياء بينما انتم أموات .

النساء – الرحمة ! اننا محاطات بوجوهكم وبالاشياء التي كانت ملككم ، ونحن نرتدي عليكم ثوب الحداد الى الأبد ، ونبكي من الفجر حتى الليل ، ومن الليل حتى الفجر . لقد حاولنا كثيراً ، ولكن عبثاً ، فان ذكراكم تتمزّق وتنساب بين أصابعنا؛ وهي كل يوم تزداد امتقاعاً، فنصبح اكثر اجراماً. انكم تتركوننا، انكم تتركوننا ، وانتم تتدفقون منا كالنزيف . ومـــع ذلك ، فاعلموا يا موتانا الاعزّاء ، ان كان ذلك يهديء نفوسكم المتغاظة ، انكم أفسدتم علينا الحياة .

الرجال – اغفروا لنا أننا احياء بينما انتم اموات .

الاطفال – الرحمة ! اننا لم نتقصّد ان نولد ، ويخجلنا كثيراً أن نكـــبر وننمو . فكيف كان بامكاننا ان نذلّكم ؟ انظروا ، اننـــا نكاد لا نعيش ، فنحن هزيلون ، مصفرّون ، قصار ؛ اننا لا نحدث ضجّة ، ونحن نتساب حتى من غير ان نهزّ الهواء الذي يحيط بنا . ونحن نخشاكم ، اوه ، نخافكم خوفاً شديـــداً .

الرجال – اغفروا لنا أننا احياء بينما انتم اموات .

أجيست – السلام ! السلام ! إذا كنتم انتم تنتحبون على هذا النحو ، فماذا أقول انا ، ملككم ؟ ذلك أن عذابي قد بدأ : إن الأرض تهتزّ والهواء قد أظلم ، إن اكبر الموتى سيظهر ، ذلك الذي قتلته بيدي ، آغا ممنون .

اورست – (شاهراً سيفه) – ايها الفاجر ! انني لا أسمح لـك بان تمزج اسم ابي في خزعبلاتك !

جوبيتر – (قابضاً عليه من وسطه) – قف ، ايها الشاب ، قف !

أجيست (ملتفتاً) – من يجرؤ ؟ (تظهر الكتر بثوب أبيض على درجات المعبد . يدعوها أجيست) الكتر !

الجموع – الكتر !

المشهد الثـــالث

الاشخاص أنفسهم – الكتر

أجيست – الكتر ، أجيبي ، ما معنى هذا اللباس ؟

الكتر – لقد ارتديت اجمل اثوابي . أليس هذا يوم عيد ؟

الكاهن الاكبر – أجئت تهنئين الأموات ؟ إن هذا عيدهم، كما تعلمين جيداً ، وكان ينبغي لك ان تظهري بثياب الحداد .

الكتر – ثياب الحداد ؟ لماذا الحداد ، انني لا أخـاف من اموات ، وليس لي شأن بأمواتكم !

أجيست – انت على حق ؛ إن اموات ليسوا اموتانا . انظروا اليهـا ، في ثوبها ، ثوب البغيّ ، حفيدة « اتري » ، « اتري » الذي ذبح احفاده يجـبن . من تكونين اذا لم تكوني آخر طرحٍ من جنس ملعون ؟ لقد قبلتك في قصري بدافع الشفقة ، ولكني اعترف اليوم بخطئي ، لأن دم آل الأتريد القـــديم الفاسد هو الذي ما زال يجري في عروقك ، وسوف تُعدينا جميعاً اذا لم اضع لذلك نظاماً سليماً . اصبري قليـلاً ، ايتها الكلبة ، وسترين اذا كنت أحسن العقاب . إن عينيك وحدهما لن تكفياك للبكاء .

الجموع – يا للمدّنسة !

أجيست – أتسمعين ايتها الشقية هدير هـذا الشعب الذي أهنته ، أتسمعين

الاسم الذي يطلقونه عليك ؟ لو لم اكن موجوداً لأقيك غضبه لمزّقك شر ممزّق.

الجموع – يا للمدنّسة !

الكتر – أمن التدنيس ان اكون جذلة ؟ لمـــاذا لا يكونون هم جذلين ؟ من الذي يمنعهم من ذلك ؟

أجيست – إنها تضحك وأبوها الميت هنا ، وعلى وجهه دم متخثّر ..

الكتر – كيف تجرؤ على ان تتحدث عن آغا ممنون ؟ الا تعرف انه يأتي ليلا ليحد ثني في أذني ؟ أتعرف كلمات الحب والحسرة تلك التي يهمسها لي صوتـــه المحطم الأبحّ ؟ صحيح انـني أضحك للمرة الاولى في حياتي ، انني أضحك ، فانا سعيدة . أتراك تزعم ان سعادتي لا تبهج قلب أبي ؟ آه ، لو كان هنـا ، لو رأى ابنته بالثوب الأبيض، ابنته التي دفعت بهـــا الى صف العبدة الكريه ، لو رآها ترفع جبينها عالياً ورأى أن الشقاء لم يحطم كبرياءها، فانا واثقة من انه لن يفكر في ان يلعنني ؛ ان عينيه تلتمعان في وجهه المعذّب ، وشفتاه الداميتان تحاولان الابتسام .

المرأة الصبيّة – أتراها لا تقول الحقيقة ؟

أصوات – ولكن لا ، إنها تكذب ، انها مجنونة . رحماك يا الكتر ، اذهبي قبل ان يرتدّ علينا كفرك .

الكتر – مم تراكم تخافون ؟ انني انظر حولكم فلا أرى الا أشباحكم. ولكن اسمعوا هذا الذي عرفت الساعة ولعلكم لا تعرفونه: ان في اليونان مدناً سعيدة، مدناً بيضاء هادئة تتدفأ في الشمس كالحراذين . ففي هـذه الساعة نفسها وتحت هذه السماء ذاتها ، هناك اطفال يلعبون في ساحات كورنثيا . ولا تطلب أمهاتهم الصفح . أنهن قد وضعنهم . انهنّ ينظرن اليهم باسمات ، وهنّ فخورات بهم . يا نساء ارغوس ، هل تفهمن ؟ أبوسعكن بعـدُ أن تفهمن فخر امرأةٍ تنظر الى طفلها وتفكـّر : « انا التي حملته في أحشائي » ؟

أجيست – أتراك ستسكتين أخيراً او أعيد الكلام الى حلقك ؟

أصوات (في الجموع) – نعم ، نعم ! لتصمت . كفى ، كفى !

اصوات اخرى – لا ، دعوها تتكلّم ! ان آغا ممنون هو الذي يلهمها .

الكتر – الطقس جميل . وفي كل مكان ، في السهل ، رجال يرفعون رؤوسهم ويقولون . « الطقس جميل » وهم مسرورون . يا جلادي نفوسكم ، هـل نسيتم ذلك الرضى المتواضع للفلاح الذي يمشي على ارضه ويقول : « الطقس جميل » ؟ ها انتم اولاء بأذرعكم المتدلية ، ورؤوسكم المنخفضة ، وانفاسكم المكبوتة . ان امواتكم يلتصقون بكم ، وانتم تظلمون مسمرين ، خشية ان تدفعوهم عند ادنى حركة . سيكون فظيعاً ، أليس كذلك ، ان تخترق ايديكم فجأة بخاراً مشدبقاً ، هو روح أبيكم او جـــدكم ؟ ولكن انظروا الي : انني أبسط ذراعي ، وأوسع صدري ، وأتمطى كرجل يستيقظ ، وأحتل مكاني تحت الشمس ، مكاني كله . فهل تسقط السماء على رأسي ؟ انني ارقص ، انظروا ، انني أرقص . ولا أحسّ شيئاً الا نفح الريح في شعري . اين هم الاموات ؟ أتظنّون أنهم يرقصون معي بإيقاع ؟

الكاهن الاكبر – يا سكان أرغوس ، اقول لـــكم إن هذه المرأة مدنسة . اللعنة عليها وعلى الذين يصغون منكم اليها .

الكتر – يا امواتي الاعزاء ، افيجيني ، يا اختي الكبرى ، آغا ممنون يا ابي ويا مليكي الوحيد ، اسمعوا صلاتي . لئن كنت مدنـّسة ، ولئن أهنت ارواحكم المدنّبة ، فارسموا اشارة ، ارسموا لي اشارة على عجل ، لأعرف ذلك . اما اذا كنتم تقرّونني يا أحبّائي ، فأصمتوا ، ارجوكم ، ولا تتحرّك ورقة ، ولا عـرق عشب ، ولا تأت اية ضجة تعكر رقصتي المقدسة ؛ ذلك انني ارقص للفـرح ، ارقص لسلام البشر ، ارقص للسعادة وللحياة . ايها الموتى ، انني أطلب صمتكم ليعرف الناس الذين يحيطون بي أن قلوبكم معي .

(ترقص)

صوت (في الجموع) – انها ترقص ؟ انظروا اليها ، خفيفة كأنهـا الشعلة ، انها ترقص في الشمس ، كأنها قماش عَلَمٍ ملوّح – والموتى يصمتون !

المرأة الصبية – انظروا إلى هيئتها النشوى – ، فليس هـذا وجه كافرة .

ولكن ، يا أجيست ، يا أجيست ! انك لا تقول شيئاً – لماذا لا تجيب ؟

أجيست – هل نتناقش مع حيوانات نتنة ؟ اننا نقضي عليها ! لقد اخطأت في انني وفرتها في الماضي ؛ ولكن هذا خطأ يُصلَح : لا تخافوا ، فانا سأسحقها في الارض ، وسيتلاشى جنسها معها .

الجموع – أن تهدد ليس أن تجيب يا أجيست ! أليس لديك شيء آخر تقوله لنا ؟

المرأة الصبية – انها ترقص ، انها تبتسم ، انها سعيدة ، والموتى يبدون وكأنهم يحمونها . آه ! يا الكتر المحسودة ! انظري ، فأنا ايضاً افتح ذراعي ، واكشف صدري للشمس !

اصوات (في الجموع) – إن الموتى يصمتون : لقد كذبت علينا يا أجيست

اورست – يا الكتر الحبيبة !

جوبيتر – انني سأخرس هذه الطائشة (يمد ذراعه) يوزيدون كاريبو كاريبون لولاباي .

(تتدحرج الصخرة الضخمة التي كانت تسد مدخل الكهف على درجات المعبد في صخب . تكف الكتر عن الرقص) .

الجموع – يا للفظاعة !

(صمت طويل)

الكاهن الاكبر – ايها الشعب الجبان البالغ الطيش : إن الموتى ينتقمون ! انظروا الى الذباب ينقضّ علينا في دوامات كثيفة ! لقد سمعتم صوتاً مدنّساً وقد حلت علينا اللعنة !

الجموع – اننا لم نفعل شيئاً ، وليست هذه غلطتنا : لقد جاءت ، فسحرتنا بكلماتها المسمومة ! الى النهر ، ايتها الساحرة الى النهر ! الى المحرقة !

امرأة عجوز (مشيرة الى المرأة الصبية) – وتلك التي كانت تشرب كلماتها كأنها العسل ، انتزعوا منها ثيابها ، واتركوها عارية وسوطوها حتى يسيل دمها .

(يقبضون على المرأة الصبية ، ويرقى بعض الرجال درجات السلم وينقضون على الكتر .)

أجيست (وقد انتصب) – سكوتاً ، ايها الكلاب ! عودوا الى امكنتكم في نظام ، واتركوا لي امر العقاب (صمت) واذن؟ لقد رأيت ما يكلف عصياني ؟ اتراكم الآن تشكّون في قائدكم ؟ عودوا الى بيوتكم ، فالموتى يرافقونكم ، وسيكونون ضيوفكم طوال الليل والنهار . أفسحوا لهم مكاناً على موائدكم وفي بيوتكم ، وفي مخادعكم ، وحاولوا ان ينسيهم مسلكهم المثالي هذا كله . أما انا ، فبالرغم من ان شكوككم قد جرحتني ، فاني أصفح عنكم . واما انت يا الكتر ...

الكتر – ماذا ؟ لقد أخفقت في محاولتي ، وفي المرة القادمة سأكون اكثر توفيقاً .

أجيست – لن أمنحك فرصة ذلك . ان قوانين المدينة تمنعني من ان اعاقب في يوم العيد هذا . وقد كنت تمرفين ذلك ، فاستغللته . ولكنك لست بعدُ عضواً في المدينة ، وانا اطردك . ستذهبين عارية القدمين وبلا متاع ، وعلى جسمك هذا الثوب المرذول . واذا ظللت بين جدراننا حتى فجر الغد ، فسأعطي الامر لأي انسان يلتقيك ان يقتلك كنعجة جرباء .

(يخرج ، وفي أثره الحرس . تمر الجموع امام الكتر وهي تهددها بقبضتها .)

جوبيتر (لاورست) – وماذا بعدُ ، يا معلمي ؟ هل أخذت عبرة ؟ هي ذي حكاية ذات مغزى ، او لعلني مخطىء : فقد عوقب الأشرار ، وكوفىء الأخيار . (مشيراً الى الكتر) هذه المرأة ...

اورست – هذه المرأة هي اختي ، ايها الرجل ! اذهب ، فانا اريدان أحدثها .

جوبيتر – (ينظر اليه ثم يز كتفيه) – كما تريد .

(يخرج ، وفي أثره المربي .)

المشهد الرابـــع

الكتر (على درجات المعبد) — **اورست**

اورست — الكتر !

الكتر (ترفع رأسها وتنظر اليه) — آه ! هأنت ذا يا فيلاب ؟

اورست — لا يمكنك ان تبقى في هذه المدينة يا الكتر . فأنت في خطر .

الكتر — في خطر ؟ آه ! هذا صحيح. لقد رأيت كيف أخفقتُ في محاولتي. ان بعض التبعة في ذلك يلقى عليك . ولكني لست عاتبة .

اورست — ولكن ماذا فعلت ؟

الكتر — لقد خدعتني (تهبط نحوه) دعني ارى وجهك . أجـل ، لقد تعلقت بعينيك .

اورست — ان الوقت ضيق يا الكتر. اسمعي : اننا سنهرب معاً . ان هناك من سيجلب لي فرسين . وسأردفك على فرسي .

الكتر — لا .

اورست — الا تريدين ان تهربي معي ؟

الكتر — لا اريد ان أهرب .

اورست — سآخذك الى كورنثيا .

الكتر (ضاحكة) — ها ! كورنثيا ... أترى ، انك لا تقصد الى ذلـــك ،

ولكنك تخدعني مرة اخرى . ما عساي ان افعل انا، في كورنثيا ؟ يجب ان اكون عاقلة . فحتى الأمس ، كانت مـــا تزال لدي رغبات متواضعة : فحين كنت أخدم على المائـــدة ، مسدلة الأجفان ، كنت انظر خفيةً الى الزوجين الملكيين ، الجميلة العجوز ذات الوجه الميت، وهو، السمين الممتقع ، بفمه المرتخي وتلك اللحية السوداء التي تركض من اذن الى اذن كفرقة من العناكب، وكنت أحلم بان أرى يوماً غيمة بخار، غيمةً صغيرة مستقيمة، أشبه بنَفَسٍ في صباح بارد ، تصعد من بطنيهما المفتوحين . هذا كل ما كنت اطلبه ، يا فيلاب ، وأقسم لـك على ذلك . وانا لا ادري مـا الذي تريده أنت ، ولكن لا ينبغي ان أصدقك : فليست لك عينان متواضعتان . أتعلم مـا كنت أفكر به ، قبل ان أعرفك ؟ ان العاقـل لا يستطيع ان يتمنى شيئاً على الارض ، الا ان يردَّ يوماً الشر الذي لحق به .

اورست — الكتر ، اذا تبعتني ، فسترين ان باستطاعة المرء ان يتمنى اشياء كثيرة اخرى ، دون ان يكفَّ عن ان يكون عاقلاً .

الكتر — لا أستطيع بعدُ أن أصغي اليك ؛ فقد سببت لي كثيراً من الشر . لقد جئت بعينيك الجائعتين في وجهك الانثوي الرقيق، فجعلتني أنسى حقدي؛ وقد فتحتُ يدي وتركت كنزي الوحيد يسقط على قدمي . لقد اردت ان أعتقد ان بامكاني ان أشفي سكان هـــذه المدينة بالكلمات . وقد رأيتَ ماذا حدث : انهم يحبون مصيبتهم ، وهم بحاجة الى جرح مألوف يغذونه بعناية بأن يحكّوه بأظافرهم القذرة . وانما ينبغي ان يُشفوا بالعنف ، لأنه ليس بالامكان قهر الشر الا بشر آخر . وداعاً يا فيلاب ، اذهب ودعني لأحلامي الرديئة .

اورست — ولكنهم سيقتلونك .

الكتر — يوجد هناك معبـــد ، هو معبد ايولون ؛ والمجرمون يلجأون اليه احياناً ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمس شعرة من رأسهم مـا داموا فيه . وسوف اختبىء فيه .

اورست — لماذا ترفضين مساعدتي ؟

الكتر – ليس لك انت ان تساعدني . فان ثمة شخصاً آخر سيأتي لتخليصي (فترة) إن أخي لم يمت ، وانا إعرف ذلك . وأني بانتظاره .

اورست – واذا لم يأت ؟

الكتر – سوف يأتي ، ولا يمكن ألا يأتي . إنه لو تعلم من طينتنا ؛ فالجريمة والشقاء في دمه ، مثلي أنا . إنه جندي طويل ، وله عينا أبينا الكبيرتان الحمراوان والغضب دائماً يغلي فيهما . انه يتألم ، وهو قد تعثّر بقدره كما تتعثر اقدام الافراس المبقورة بأحشائها ؛ واية حركة يقوم بها الآن تقوده الى ان ينتزع أحشاءه . انه سوف يأتي ، وانا واثقة من ان هذه المدينة تجذبه ، لأنه انما يستطيع هنا ان يُحدث اكبر قدر من الشرّ ، وان يحدث لنفسه اكبر قدر من الشر . سوف يأتي ، منخفض الجبين ، متألماً ، مُكدفاً . إنه يخيفني : فانا اراه كل ليلة في المنام ، فأستيقظ وانا أئنّ . ولكني أنتظره وأحبّه . ويجب ان أبقى هنا لأوجّه غضبه – فأنا حكيمة عاقلة – ولأريه بالاصبع المذنبين ولأقول له : « اضرب يا اورست ، اضرب : ها هم اولاء » !

اورست – واذا لم يكن كما تتصورين ؟

الكتر – وكيف تريده ان يكون ، ابن آغا ممنون وكليتمنسترا ؟

اورست – واذا كان قد تعب من هذا الدم كلّه ، وشبّ في مدينة سعيدة ؟

الكتر – سأبصق اذ ذاك في وجهه وسأقول له : « إذهب ، ايها الكلب ، إذهب الى النساء ، لأنك لست شيئاً آخر إلاّ امرأة . ولكن حسابك خاطىء : فأنت حفيد « اتري » ولن تُفلت من مصير آل إتريد . لقد فضلت العار على الجريمة ، فانت حرّ . ولكن القدر سيأتي ليبحث عنك في سريرك : وسوف تُحسّ العار اولاً ، ثم ترتكب الجريمة ، بالرغم منك » !

اورست – انا اورست ، يا ألكتر .

الكتر (في صرخة) – انت تكذب !

اورست – أقسم لك بروح أبي آغاممنون : انا اورست . (صمت) وإذن ؟ ماذا تنتظرين لتبصقي في وجهي ؟

الكتر – كيف أستطيع ذلك ؟ (تنظر اليه) إن هذا الجبين الجميل هو جبين

أخي . وهاتان العينان اللتان تلمعان هما عينا أخي . اورست ... آه ! كنت أتمنى لو ظللت فيلاب ولو أن أخي قد مات . (بخجل) أصحيح انك عشت في كورنثيا ؟

اورست – لا . وانما رباني بعض بورجوازيي أثينا .

الكتر – كم تبدو فتياً ! اتراك قد تبارزت يوماً مع أحد ؟ وهذا السيف الذي تحملة الى جنبك ، هل استعملته يوماً ؟

اورست – أبداً .

الكتر – كنت أحسّني أقل توحّداً حين لم اكن أعرفك بعد : كنت أنتظر الآخر . لم اكن افكر الا بقوته ، لا بضعفي قط . وهأنت ذا الآن ؛ كنت انت اورست . وانا أنظر اليك فأرى اننا يتيمان (فترة) ولكني أحبك لو اعلم ، اكثر مما كنت سأحبه ، هو .

اورست – تعالي ، ان كنت تحبينني ؛ لنهرب معاً .

الكتر – أهرب؟ معك؟ لا . إن قَدَر الاتريديين يُقرّر هنا ، وأنا أتريدية . انني لا أطلب منك شيئاً . انني لا أريد ان اطلب شيئاً من فيلاب . ولكني باقيةٌ هنا .

(يبدو جوبيتر في داخل المسرح ، ويختبيء ليستمع اليهما)

اورست – انني ، يا الكتر ، اورست ... اخوك . اخوك . انا ايضاً أتريدي ، ومكانك هو الى جانبي .

الكتر – لا ، انت لست اخي ، وانا لا أعرفك . لقد مات اورست ، وهذا من حسن حظه ؛ وسوف أكرّم روحه بعد الآن مع روح ابي وأختي . ولكن انت ، انت الذي تأتي مطالباً باسم الاتريديين ، من انت لتحسب نفسك منا ؟ هل قضيت حياتك في ظل جريمة قتل ؟ كان لا بد لك ان تكون طفلاً هادئاً ذا هيئة رقيقة عاقلة ، بكبرياء ابيك الذي تبنّاك ، طفلاً نظيفاً ، ذا عينين ساطعتين بالثقة . كانت لك ثقة بالأشخاص لأنهم كانوا يوجهون لك بسمات عريضة في الطاولات والأسرّة ودرجات السلم ، لأنهم خدمٌ أمناء للانسان ؛ وفي

الحياة ، لأنك كنت غنياً ، وكانت لك ألعاب كثيرة ؛ وكنت لا بد تفكر احياناً بان العالم ليس سيئاً الى ذلك الحد ، وأنها كانت متعة ان يستسلم المرء فيه ، كما يستسلم لماء مغطس دافىء ، وهو يتنهّد لذة . اما أنا ، فقد كنت في السادسة من عمري خادمة ، وكنت أحذر كل شيء . (فترة) اذهب ، ايتها الروح الجميلة ، فلست ادري ما أصنع بالارواح الجميلة : وانما كنت اريد شريكاً لي في الجرم .

اورست – أتظنين اني سأترك وحيدة ؟ فما عساك تفعلين هنا ، وقد فقدت حتى آخر أمل لك ؟

الكتر – إن هذا شأني . وداعاً يا فيلاب .

اورست – أتطردينني ؟ (يخطو بضع خطوات ويتوقف) ذلك الفارس الحانق الذي كنت تنتظرين ، أهي غلطتي أني لا أشبهه ؟ كنت ستأخذينه من يده وكنت ستقولين له : « اضرب » ! أما انا ، فلم تطلبي مني شيئاً . فمن اكون يا إلهي ، حتى تدفعني أختي بالذات ، حتى من غير ان تجرّبني ؟

الكتر – آه ! يا فيلاب ، انني لن أستطيع أبداً ان أحمّل قلبك الخالي من الحقد مثل هذا العبء .

اورست (متحطماً) – صدقتِ ما قلته : الخالي من الحقد . والخالي من الحب كذلك . كان يوسعي ان أحبك ، انت . **كان يوسعي** ... ولكن ماذا ؟ ان على المرء لكي يحب ولكي يكره ان يهب نفسه . إنه جميل ، ذلك الانسان ذو الدم الغني ، المزروع باحكام وسط ثرواته ، الذي يهب نفسه ذات يوم للحب **وللحقد** ، والذي يهب مع نفسه أرضه وبيته وذكرياته . من أكون ، وماذا لدي لأعطيه ، أنا ؟ انني أكاد لا أوجد : فليس بين الاشباح الذين يملأون اليوم المدينة ، من هو اكثر مني شبحية . لقد عرفت ألواناً من الغرام الشبحي ، والواناً مترددة **ومنقطة** كالأبخرة ، ولكني أجهل أهواء الأحياء المهووسة الكثيفة . (فترة) **يا للعار** ! لقد عدتُ الى مسقط رأسي ، ورفضت أختي ان تعترف بي . فأين تراني سأذهب الآن ؟ اية مدينة ينبغي ان انزل ؟

الكتر – أليس ثمة مدينة تنتظرك فيها فتاة جميلة الوجه ؟

اورست – ليس ثمة أحد ينتظرني . انني انتقل من مدينة الى مدينة ، غريباً عن الآخرين وعن نفسي ، والمدن تنغلق خلفي كباب هادىء . فلماذا تركت أرغوس ، فما الذي سيبقى من عبوري الا خيبة قلبك المريرة ؟

الكتر – لقد حدثتني عن مدن سعيدة ...

اورست – انني أهتم كثيراً بالسعادة . انني اريد ذكرياتي وارضي ومكاني وسط سكان أرغوس (صمت) اسمعي يا الكتر : انني لن اغادر هذا المكان .

الكتر – فيلاب ، أبتهل اليك ان تذهب : انني مشفقة عليك ، اذهب ان كنتُ عزيزة لديك ؛ فلا يمكن ان يلحق بك الا الأذى ، وان براءتك ستودي بمشاريعي الى الاخفاق .

اورست – انني لن أذهب .

الكتر – وتظن أنني سأترك هنا ، في طهرك الغريب ، قاضياً صامتاً وضيفاً لتحكم على أعمالي ؟ لماذا تعاند ؟ ليس ثمة هنا من يريدك .

اورست – ان هذا حظي الوحيد . ولا تستطيعين يا الكتر ان ترفضيه . افهميني : انني اريد ان اكون رجلاً منتمياً الى مكان ، رجلاً بين البشر . اسمعي : فان العبد حين يمر ، متعباً مقطباً ، حاملاً عبئاً ثقيلاً ، جاراً ساقه وناظراً الى قدميه ، الى قدميه وحدهما ، ليتفادى من السقوط ، فإنه في مدينته ، كورقة على غصن ، وكشجرة في الغاب ؛ ان أرغوس حوله ، وازنة وحارّة كل الحرارة ، ممثلة بنفسها ؛ انني اريد ان اكون هذا العبد ، يا الكتر ، اريد ان أشد المدينة حولي وأتسربل بها كالغطاء . انني لن أذهب .

الكتر – حتى ولو بقيت مئة سنة بيننا ، فلن تكون الا غريباً ، اشد توحداً مما لو كنت على طريق كبيرة . سوف يحدجك الناس بعينين نصف مغمضتين ، وسيخفضون أصواتهم حين تمر بالقرب منهم .

اورست – أيكون صعباً الى هذا الحد ان يكون المرء في خدمتك ؟ ان ذراعي تستطيع ان تدافع عن المدينة ، وانا أملك ذهباً لأعالج بؤساءكم .

الكتر – نحن لا يعوزنا النقباء ، ولا الاتقياء لفعل الخير .

اورست – واذن ...

(يخطو بضع خطوات ، خافض الرأس . يظهر جوبيتر وينظر اليه وهو يفرك يديه)

اورست (رافعاً رأسه) – ليتني على الأقل اتبين مـــا أرى ! آه يا زوس ، زوس يا ملك السماء ، نادراً ما ألتفت اليك ، وانت لم تكن يومـاً عطوفاً علي ، ولكنك شاهدٌ على اني لم ارد قط الا «الخير» . اما الآن ، فأنا متعب ، ولست أميّز « الخير » من « الشر » ، وأنا بحاجة الى ان يرسم دربي . أينبغي حقـاً يا زوس ان يستسلم ابن ملك ، مطرود من مسقط رأسه ، للنفي ، وان يُخلي المـكان خافض الرأس ، كأنه كلب ؟ اتكون هـــذه ارادتك ؟ انني لا أستطيـع ان أصدق ذلك . ومع ذلك .. مع ذلك ، منعتَ اراقة الدم ... آه ! من يتحدث عن اراقة الدم ، انني لا ادري بعدُ ما أقول ... يا زوس ، اني ابتهل اليك : اذا كان الخضوع والخنوع الكريه هما القانونين اللذين تفرضهما علي ، فعبّر لي عن ارادتك بعلامةٍ ما لأني بتُّ لا اتبيّن شيئاً البتة .

جوبيتر (محدثاً نفسه) طبعاً ! طبعاً : تحت أمرك ! ابراكساس ، ابراكساس تسي – تسي !

(ينشر النور حول الصخرة)

الكتر (تأخذ في الضحك) – ها ! ها ! السماء تمطر اليوم معجزات ! انظر ، يا فيلاب الورع ، انظر ما الذي يرجمه المرء من استشارة الآلهة ! (تأخذها ضحكة مجنونة) يا للشاب الطيّب ... فيلاب الورع : « أظهر لي علامـــة ، يا زوس ، أظهر لي علامة ! » وها هو النور ينتشر حول الصخرة المقدسة . اذهـب ! الى كورنثيا ! الى كورنثيا ! اذهب !

اورست – (ناظراً الى الصخرة) واذن ... هذا هو الخير ؟ (فترة يظل ينظر الى الصخـرة) يجب ان ينسلّ المرء بهدوء . بهـــدوء . وان يقول دائماً « عفواً » و « شكراً » ... أليس كذلك ؟

(فترة ، يظل ينظر الى الصخرة) **الخير ، خيرهم ...**

(فترة) الكتر !

الكتر – امضِ مسرعاً ، امضِ لا تخيّب أمل هذه المرضع العاقلة الـــتي تحنو عليك من أعلى جبل الاولمب (تتوقف ، مذعورة) ما بك ؟

اورست (بصوت متغير) – ان هناك دربا آخر .

الكتر (مذعورة) – لا تمثّل دور الشرير يا فيلاب . لقد طلبت اوامر من الآلهة وانت تعرفها

اورست – اوامر ؟ .. آه ! نعم .. تقصدين : النور هناك ، حول تلك الصخرة الكبيرة ؟ انه ليس لي ، ذلك النور ؛ وليس ثمة من يستطيع بعـــد ان يعطيني الآن اوامر .

الكتر – انت تتكلم بالألغاز .

اورست – ما أبعدك عني ، فجأة ... وكم تغيّر كل شيء ! لقد كان حولي شيء ما حي وحار . شيء ما مات الساعة . فكم يبدو كل شيء فارغـاً ... آه ، ما اوسعه فراغاً ، على مدى النظر ... (يخطو بضع خطوات) ان الليل يهبط ... الا ترين ان الطقس بارد ؟ ... ولكن ماذا ؟ ما الذي مات ؟

الكتر – فيلاب ...

اورست – أقول لك ان هناك دربا آخر ... دربي . ألا ترينه ؟ انه يبدأ من هنا ويهبط نحو المدينة . لا بد من الهبوط ، لو تفهمين ، الهبوط نحـــوك ، فأنت في قعر ثقب .. (يتقدم من الكتر) انت **اختي يا الكتر** ، وهذه المدينة **مدينتي** .

اختي ؟ (يأخذ ذراعها)

الكتر – دعني ! انك تؤلمني ، انك تخيفني – وانا لا أخصُّك .

اورست – أعرف ذلك . انت لا تخصّينني بعد . فأنا أخفُّ مما ينبغي . يجب ان أتخفف من جرم ثقيل يجعلني أغرق في جوف أرغوس .

الكتر – وماذا تنوي ان تفعل ؟

اورست – انتظري . دعيني اودع هـــذه الخفة البريئة التي كانت خفتي . دعيني اودع شبابي . ان هنـاك امسيات ، امسيات كورنثية او اثينية ، ملآى بالأغاني والعطور ، لن امتلكها بعدُ أبداً . وهناك أصباح ملآى بالأمل كذلك ..

هيا ، وداعاً ! وداعاً ! (يتجه نحو الكتر) تعالي ، يا الكتر ، انظري الى مدينتنا . انها هناك ، محمرة تحت الشمس ، تطنّ بالبشر والذباب ، في خدر عنيد لأصيل صيفي ؛ انها تطردني بكل جدرانها ، وكل سقوفها ، وكل ابوابها المغلقة . وهي مع ذلك للأخذ ، وانا احس ذلك منذ هذا الصباح . وانت ايضاً للأخذ يا الكتر . سوف آخذك سأصبح فأساً وسأشق هذه الجدران العنيدة شقاً ، وسأبقر بطن هذه البيوت التقية ، فتبعث من جراحها المفتوحة رائحة طعام وبخور ؛ وسأصبح فأساً فأتغلغل في قلب هذه المدينة ، كالفأس في قلب شجرة سنديان .

الكتر – كم تغيرت ! لقد كفت عيناك عن البريق ، فأصبحتا باهتتين معتمتين . واحسرتاه ! كم كنت رقيقاً يا فيلاب . وهأنتذا تحدثني كما يحدثني الآخر في الحلم .

اورست – اسمعي : افرضي انني اضطلع بجميع جرائم هؤلاء الاشخاص الذين يرتجفون في غرف معتمة ، يحيط بهم رؤساؤهم الميتون . افرضي أني اريد ان أستحق لقب « سارق الندم » وأدخل في جميع الوان ندمهم : ندم المرأة التي خانت زوجها ، وندم التاجر الذي ترك امه تموت ، وندم الدائن الذي صفّى دائنيه حتى الموت ؟

قولي لي ، حين تغمرني ذلك اليوم الوان من الندم اكثر عدداً من ذباب أرغوس ، الوان الندم في المدينة كلها ، الا اكون قد اكتسبت حق المواطنية بينكم ؟ أتراني لن أكون في بيتي ، بين جدرانكم الدامية ، كما يكون الجزار بمريوله الأحمر في حانوته ، بين الجواميس النازفة التي ذبحها ؟

الكتر – اتريد ان تكفّر نيابة عنا ؟

اورست – أكفّر ؟ قلت اني سأدخل في ندمكم ، ولكني لم اقل ما الذي سأفعله بهذه الطيور الصارخة : فربما كانت نيتي ان ألوي رقابها .

الكتر – وكيف تراك ستستطيع ان تتحمّل آلامنا ؟

اورست – انكم لا تطلبون إلا ان تتخلّصوا منها . إن الملك والملكة وحدهما يسمّرانها قسراً في قلوبكم .

الكتر – الملك والملكة ... فيلاب !

اورست – إن الآلهة تشهد اني لم اكن اريد ان اريق دمها .

(صمت طويل)

الكتر – انك أصغر مما ينبغي ، وأضعف مما ينبغي ...

اورست – هل تراجعين الآن ؟ خبئيني في القصر ، وقوديني هذا المساء الى المدخ الملكي ، وسترين اذا كنت ضعيفاً اكثر مما ينبغي ...

الكتر – اورست !

اورست – الكتر ، لقد دعوتني اورست للمرة الاولى .

الكتر – نعم . هذا انت حقاً . انت اورست . انني لا أتعرفك ، لأنني لم اكن انتظرك على هذا النحو . ولكن هذا المذاق المر في فمي ، مذاق الحمى هذا ، انا أحسست به الف مرة في احلامي ، وانا الآن أتعرفه . لقد جئت اذن يا اورست ، وقد اتخذت قرارك ، وهأنذا ، كما في أحلامي ، على عتبة عمل لا سبيل إلى دفعه ، وانا خائفة – كما في الحلم . فيا للحظة التي انتظرها وأخافها منذ زمن طويل ! إن اللحظات الآن ستتدفق كدواليب آلة ، ولن نصيب بعدها راحة قبل ان يصبحا كلاهما ممددين على الارض يوجهين شبيهين بالتوت المسحوق . هذا الدم كله ! وانت الذي ستريقه ، انت الذي كنت تملك تينك العينين الرقيقتين ! واحسرتاه ، انني لن أرى بعد أبداً تلك العذوبة ، لن ارى بعد أبداً فيلاب . انت يا اورست أخي الأكبر ، ورئيس اسرتنا كلها ، فخذلي بين ذراعيك ، إحمني ، لأننا قادمان على آلام كبيرة جداً .

(يأخذها اورست بين ذراعيه . يخرج جوبيتر من غبائه ، ويمضي متخفياً) .

ستار

اللوحة الثانيـــة

(في القصر ؛ قاعة العرش . تمثال لجوبيتر ، رهيب ودام . المساء يهبط)

المشهد الاول

الكتـــر (وهي تدخل اولاً وتشير الى اورست أن يدخل)

اورست – انهم قادمون .

(يضع السيف في يده)

الكتر – ان هؤلاء جنود يقومون بدورتهم . اتبعني : سوف نختـــبيء من هذه الناحية (يختبآن خلف العرش)

المشهد الثـــاني

الكتر واورست – جنديان

الجندي الاول – لا أدري ما حل بالذباب اليوم : انه مجنون .

الجندي الثاني – إنه يشم رائحة الموتى ، فيستخفه الفرح . وانا لا اجرؤ بعدُ على التثاؤب خشية ان يدخل في فمي المفتوح ويذهب يقـــوم بحفلته في حلقومي (تظهر الكتر لحظة ثم تختبىء) عجباً لقد فرقع شيءٌ ما .

الجندي الاول – هذا آغاممنون يجلس على عرشه .

الجندي الثاني – ومؤخرته العريضة تجعل خشب المقعد يفرقع ؟ هـــذا مستحيل ، ايها الزميل ، فليس للموتى من وزن .

الجندي الاول – العامّة هم الذي لا وزن لهم . اما هو ، فقبل ان يكون ميتاً ملكياً ، كان ملكياً عيّاشاً يكسب كيلواته الخمسة والعشرين كل عام. ومن المستغرب ألا يكون قد بقي له بضعة كيلوات .

الجندي الثاني – تظن إذن ... انه هنا ؟

الجندي الاول – وأين تريده ان يكون ؟ لو كنت أنا ملكاً ميتـــاً ، وكانت لي كل عام إجازة أربع وعشرين ساعة ، فمن المؤكـد أني سأعود لأجلس على عرشي واني سأقضي عليه نهاري وانا استعيد ذكريات الماضـي ، من غير ان اؤذي أحداً .

الجندي الثاني - انت تقول هذا لأنك حي . ولكنك لو لم تكن بعدُ حيّاً لما كانت عيوبك دون عيوب الآخرين (يصفعه الجندي الاول) هولا ! هولا !

الجندي الاول – هذا لصالحك ؛ انظر ، فقد قتلت سبعاً بضربة واحدة ، سرباً برمته .

الجندي الثاني – من الموتى ؟

الجندي الاول – لا ، بل من الذباب . ولا بد ان يدي مليئتان بالدم (يمسح يديه بسرواله) يا للذباب البقري !

الجندي الثاني – حبذا لو كانت مولودة – ميتة . انظر الى جميع هؤلاء الموتى هنا : انهم لا ينبسون ببنت شفة ، وهم يتدبرون أمرهم حتى لا يزعجوا الآخرين . وسيكون شأن الذباب حين يموت مثل هذا .

الجندي الاول – اسكت فلو كنت افكر بان هنا ذباباً شبحياً فوق هذا كله..

الجندي الثاني – ولمَ لا ؟

الجندي الاول – أتتصور ذلك؟ ان هذه الحشرات تموت بالملايين كل يوم. فلو قد أُطلق في المدينة جميع الذباب الذي مات منذ الصيف الماضي ، فسيكون ثمة ثلاثمئة وخمس وستون ذبابة ميتة على ذبابة حية واحدة، وكلها تطوّف حولنا . تصور ! سيكون الهواء مسكّراً بالذباب، وسنأكل ذباباً ونتنفس ذباباً، وسيسيل الذباب ذوباً متدبقاً في شعابنا وامعائنا ... ولعله بسبب هذا تعوم في هذه الغرفة تلك الروائح الفريدة .

الجندي الثاني – عجباً ! قاعة بالف قدم مربع مثل هذه القاعة ، يكفي بضعة اموات لينتنوها .. ويقال إن لأمواتنا أنفاساً كريهة .

الجندي الاول – اسمع ! إن هؤلاء الرجال يأكل بعضهم دم بعض ..

الجندي الثاني – اقول لك ان هناك شيئاً ما : فخشب الارض يفرقع .

(يذهبان لينظرا خلف العرش من اليمين، فيخرج الكتر واورست من اليسار ، ويران امام درجات العرش ، ويعودان إلى مخبئهما من اليمين، في اللحظة التي يخرج فيها الجنديان من اليسار).

الجندي الاول – ترى جيداً ان ليس ثمة أحد . انه كما قلت لك آغاممنون،

آغاممنون الملعون ! لا بد انه جالسٌ على هذه الوسائد ، مستقيماً كأنه الألف، وهو ينظر الينا ؛ وليس له ان يقضي وقته الا بان ينظر الينا .

الجندي الثاني – من الأفضل ان نعدّل موضعنا ، وسواء لدينا ان يدفدغ الذباب أنفينا .

الجندي الاول – كنت اوثر ان اكون في فرقة الحرس ، وأنا مشارك في اية غارة . ان الموتى الذين يعودون هنا اصدقاء لنا ، عسكر عاديون ، مثلنا . ولكني حين أتذكّر ان المرحوم الملك هنا ، وانه يعدّ الازرار التي تنقص سترتي ، أحسّني عجيباً طريفاً ، كما يحدث حين يستعرضنا الجنرال .

(يدخل أجيست ، وكليتمنستر ، وخدم يحملون مصابيح)

أجيست – دعونا وحدنا .

المشهد الثالث

أجيست – كليتمنستر – اورست والكتر (مختبئين)

كليتمنستر – ما بك ؟

أجيست – هـــل رأيت ؟ لو أني لم أصعقهم بالإرهاب لتخلصوا من ندمهم بلحظة واحدة .

كليتمنستر – أهذا وحده مـــا يقلقك ؟ انك مستطيعٌ دائماً ان تثلّج شجاعتهم في الوقت المناسب .

أجيست – هذا ممكن . فأنا شديد البراعة في هذا التمثيل (فترة) انا آسف انه وجب عليّ أن أعاقب الكتر .

كليتمنستر – أيكون ذلك لأنهـــا ابنتي ؟ لقد راق لك ان تعاقبها ، وانا أجد كل ما تفعله جيداً .

أجيست – انا لست آسفاً على ذلك ، من اجلك انت يا امرأة .

كليتمنستر – اذن ، لماذا ؟ انك لم تكن تحب الكتر .

إجيست – انني متعب . ها قد انقضى خمسة عشر عاماً وانا أحمل في الهواء، بطرف ذراعي ، ندم شعبٍ برّمته . ها قد انقضى خمسة عشر عاماً وانا ارتدي لباس الفزّاعة : وقد انتهى الأمر بجميع هذه الثياب السوداء الى ان تحلّ على روحي .

كليتمنستر – ولكني ، يا مولاي ، انا نفسي ...

أجيست – اعرف ، ايتها المرأة ، أعرف : انـك ستحدثينني عن ندمك . حسناً ، اني أحسدك عليه ، فهو يعمرُ لـــك حياتك . اما انا ، فليس عندي ندم ، ولكن ليس في ارغوس من هو في مثل حزني .

كليتمنستر – يا مولاي العزيز ...

(تقترب منه)

أجيست – دعيني ، ايتها الساقطة ! ألا تخجلين ، تحت انظاره ؟

كليتمنستر – تحت انظاره ؟ من هو الذي يرانا ؟

أجيست – عجباً ! انه الملك . لقد أطلق الموتى ، هذا الصباح .

كليتمنستر – ابتهل اليك يا مولاي ... ان الموتى هم تحت الارض ، ولـن يزعجونا في هذا الوقت المبكر . اتراك قد نسيت انك انت نفسك قد اخترعت هذه الأساطير من أجل الشعب ؟

أجيست – انت على حق ايتها المرأة . واذن ؟ انت ترين كم انا متعب ؟ دعيني ، اني اريد ان أتأمل .

(تخرج كليتمنستر)

المشهد الرابع

اجيست – واورست والكتر (مختبئين)

أجيست – أهذا يا جوبيتر هو الملك الذي كنت بحاجة اليه من أجـــل أرغوس ؟ انني اروح وأجيء وأحسن الصياح بصوت قوي، وأحمل في كل مكان مظهري الكبير المرعب ، ويحسّ الذين يرونني انهـــم مذنبون حتى النخاع . ولكني صَدَفة فارغة : لقد أكل وحشٌ مـا داخلي من غير ان أحسّ بذلك . وها أنا الآن انظر في ذاتي ، فأرى اني اكثر موتاً من آغا ممنون . هـل قلت اني كنت حزيناً ؟ لقد كذبت . فليست هي حزينة ولا جذلة ، الصحراء ، وعـدم الرمل الذي لا يُحصى تحت عـدم السماء الصافية : انه مشؤوم . آه ! انني أهب مملكتي مقابل ان اذرف دمعة !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم – جوبيتر

جوبيتر – لا تَشُكّ : فانا ملك شبيه بجميع الملوك .

أجيست – من انت ؟ وماذا انت قادم تفعل هنا ؟

جوبيتر – أتراك لا تعرفني ؟

اجيست – اخرج من هنا ، وإلا أمرت حرسي ان يضربوك .

جوبيتر – اتراك لا تعرفني ؟ لقد رأيتني مع ذلك . كان ذلـك في الحلم . صحيح أني كنت أبدو بهيئة اكثر ترويعاً (رعد وبرق. جوبيتر يتخذ مظهر الترويع) وهكذا !

اجيست – جوبيتر ؟

جوبيتر – ها نحن اذن (يعود فيصبح باسمـاً ، ويقترب من التمثال) أهذا أنا؟ أهكذا يتصورونني حين يقومون بصلواتهم ، سكان أرغوس ؟ إنه لمن النادر ان يستطيـع إلهٌ ان يتأمل صورته وجهاً لوجه (فترة) مـا أبشعني ! لا شك في انهم لا يحبونني كثيراً .

اجيست – انهم يخافونك .

جوبيتر – حسناً . لست بحاجة الى ان أكون محبوباً . أتحبني ، أنت ؟

اجيست – ماذا تريد مني ؟ ألم أدفع بما فيه الكفاية ؟

جوبيتر — لن تدفع ابداً بما فيه الكفاية .

اجيست — اني اموت وانا أقوم بمهمتي .

جوبيتر — لا تبالغ ! إنك في صحة جيدة ، وانت سمين . والحق اني لا أؤاخذك على ذلك . إنه شحم ملكي جميل ، أصفر ، كشمع القنديل . وانت مصنوع لتعيش بعدُ عشرين عاماً .

اجيست — عشرين عاماً ؟

جوبيتر — هل تتمنى ان تموت ؟

اجيست — نعم .

جوبيتر — لو دخل أحد الى هنا يحمل سيفاً مشهراً ، أتراك تمد صدرك لهذا السيف ؟

اجيست — لا أدري .

جوبيتر — أصغِ الي جيداً ، اذا مكنّت لأحدٍ ان يذبحك كالعجل ، فستعاقب عقاباً نموذجياً ؛ ستبقى ملكاً في الجحيم الى أبد الآبدين هذا ما أتيت أبلغك إياه .

اجيست — وهل هناك من يسعى لقتلي ؟

جوبيتر — يبدو ذلك .

أجيست — الكتر ؟

جوبيتر — وشخص آخر ايضاً .

اجيست — من ؟

جوبيتر — اورست !

اجيست — آه ! (فترة) حسناً ، إن هذا منطقي ، فما حيلتي في ذلك ؟

جوبيتر — « فمـا حيلتي فى ذلك ؟ » (يغير لهجته) أصدر أمرك فوراً بالقبض على شاب غريب يدعو نفسه فيلاب . وليُلقَ مع الكتر في نخبأ عميق ، وانا أسمح لك بان تنساها فيه . ولكن ماذا تنتظر ؟ نادِ حَرَسَك .

اجيست — لا .

جوبيتر — هل تتفضّل بان تشرح لي أسباب رفضك ؟

اجيست — انني متعَب .

جوبيتر — لماذا تنظر الى قدميك ؟ أدِرْ نحوي عينيك المخططتين بالدم . انك نبيل وبليد كأنك حصان . ولكن مقاومتك ليست من تلك المقاومات التي تفيظني . إنها الفلفل الذي سيجعل خضوعك ، بعد قليل ، ألذ وأطيب . ذلك اني واثق من انك ستخضع في آخر الأمر .

اجيست — اقول لك اني لا اريد ان أدخل في مشاريعك . لقد فعلت ذلك اكثر مما ينبغي .

جوبيتر — تشجع ! قاوم ! قاوم ! آه ! كم انا متعطش الى نفوس كنفسك ! ان عينيك ترسلان بروقاً ، وانت تحرق الارم وتلقي برفضك في وجه جوبيتر . ولكنك ايها العنيد ، ايها الحصان الصغير ، ايها الحصان الصغير الرديء ، كنت منذ وقت طويل تقول لي نعم . كفى ، وستطيعني . أتظن اني اترك جبل الاولمب بلا سبب ؟ لقد اردت ان أحذّرك من هذه الجريمة ، لأنه يروق لي ان احول دون وقوعها .

اجيست — تحذّرني ... هذا غريب حقاً .

جوبيتر — على العكس ، ليس ثمة ما هو اكثر طبيعية من ذلك : اني اريد ان أبعد هذا الخطر عن رأسك .

اجيست — ومن كان يطلب منك هذا ؟ وآغاممنون ، أتراك قد حذرته ، هو ؟ لقد كان مع ذلك يريد ان يعيش .

جوبيتر — يا للنفس العاقة ، ويا للشخصية البائسة : انت اعزّ عندي من آغاممنون ، وانا اثبت لك ذلك ، فأراك تشكو .

اجيست — أعزّ من آغاممنون ؟ انا ؟ إن اورست هو العزيز لديك . لقد سمحتَ بأن أضيّع نفسي ، وقد تركتني اركض الى حمّام الملك ، والفأس في يدي — ولا شك في انك كنت تلحس شفتيك ، هناك فوق ، وانت تفكّر بان روح المذنب لذيذة . اما اليوم ، فانك تحمي اورست من نفسه — وانت

الذي دفعتني الى قتل الأب ، اخترتني لأمسك ذراع الابن . كنت صالحاً فحسب لأن أكون قاتلاً . اما هو ، فلا شك في انه مرصود لأشياء اخرى في نظرك !

جوبيتر — يا له من حسد عجيب ! اطمئن بالاً : فانا لا أحبّه اكثر مما أحبّك . انني لا أحبّ أحداً .

اجيست — انظر إذن ، ايها الإله الظالم ، ماذا صنعت مني . وأجبني : اذا كنت تمنع اليوم الجريمة التي يفكر اورست بارتكابها، لماذا تراك قد سمحت بجريمتي؟

جوبيتر — ليست جميع الجرائم تسوؤني بالنسبة نفسها . اننا يا أجيست ملكان ، وسأتحدث اليك بصراحة : الجريمة الاولى ، انا الذي ارتكبتها بخلق بشر قابلين للموت . وبعد ذلك ، ما كان بوسعكم ان تعملوه ، انتم القتلة ؟ أن تهبوا ضحاياكم الموت ؟ كفى، كفى ! لقد كانوا يحملون الموت قبلاً في نفوسهم. وقصاراكم انكم كنتم تستعجلون تفتّحه قليلاً . أتدري ما كان يحصل لآغاممنون لو لم تقتله؟ كان سيموت بعد ثلاثة أشهر بالسكتة القلبية على صدر عبدة جميلة . ولكن جريمتك كانت تخدمني .

أجيست — كانت تخدمك ؟ انني اكفّر عنها منذ خمسة عشر عاماً ، وقد كانت تخدمك ؟ يا للمصيبة !

جوبيتر — واي عجب في هذا ؟ انها تخدمني لأنك تكفر عنها ؛ انني احبّ الجرائم التي تطلب التكفير . وقد احببت جريمتك لأنها كانت قتلاً أعمى أصمّ ، مجهولاً من نفسه ، قديماً ، أشبه بالكارثة الطبيعية منه بالمشروع البشري. انك لم تحتقرني لحظة واحدة : لقد ضربت وانت في عنفوان الغضب والخوف ؛ ثم بعد ان سقطت درجة الحرارة، تأملت عملك باستغطاع ولم ترد ان تعترف به. ومع ذلك ، فأية فائدة أصبتُها منه ! كانت النتيجة عشرين الف رجل غارقين في الندم مقابل رجل واحد قتيل . انني لم أعقد صفقة رديئة !

اجيست — انني افهم غايتك من هذه الخطب كلها : إن اورست لن يُعاني الندم .

جوبيتر — لن يعاني ظلاً من ندم . انه في هذه الساعة يضع خططه في

منهجية ، وتواضع . مرتاح الرأس . فما عساني أصنع بجريمة قتل لا يُعقبها ندم ، جريمة وقحة ، جريمة هادئة مطمئنة ، خفيفة كأنها البخار في رأس مرتكبها ؟ سوف أمنع هذا ! آه ! انني أكره جرائم الجيل الجديد : فهي عاقة كالزؤان . انه سيقتلك كالدجاجة ، ذلك الشاب الرقيق ، وسيمضي بيدين حمراوين وضمير نقي ؛ ولو كنت مكانك لشعرت من ذلك بالمذلة . هيّا ! ناد حرسك !

اجيست — قلت لك ان لا . إن الجريمة التي تُهيّأ هي أشدّ إساءة لك من ألا تروق لي !

جوبيتر (مغيراً لهجته)— انت ملك يا أجيست ، وانا أتوجه الى ضميرك الملكي لأنك تحبّ ان تملك .

اجيست — ماذا تقصد ؟

جوبيتر — انت تكرهني ولكننا قريبان ؛ لقد صنعتك على صورتي : ان الملك إله على الأرض ، نبيل وحزين كالإله .

اجيست — حزين ؟ انت حزين ؟

جوبيتر — انظر اليّ (صمت طويل) لقد قلت لك انك مصنوع على صورتي. اننا كلانا نشذ النظام ، انت في ارغوس ، وانا في العالم ؛ والسرّ نفسه يزن ثقيلاً في قلبينا .

اجيست — ليس عندي سرّ .

جوبيتر — بلى . هو سري نفسه . السر المؤلم للآلهة والملوك : وهو أن البشر أحرار . انهم احرار يا اجيست . انت تعرف ذلك ، وهم لا يعرفونه .

اجيست — لو كانوا يعرفونه لأحرقوا القصر من اركانه الأربعة . وها قد مضى خمسة عشر عاماً وانا أمثّل لأقنّع عنهم قدرتهم .

جوبيتر — انت ترى جيداً اننا متشابهان .

اجيست — متشابهان ؟ بأية لهجة ساخرة يدّعي إلهٌ أنه شبيهي؟ إن أعمالي واقوالي ، منذ استوليت على الملك ، تهدف الى تكوين صورتي ؛ وانا اريد من كل رعية من رعاياي ان يحملها في ذاته وان يُحسّ ، حتى في الوحدة ، بنظري

القاسي يثقل على أشدّ افكاره خفاءً . ولكنني انا أوّل ضحاياي : انني لا ارى نفسي بعدُ إلاّ كما يرونني ، وانا المخني فوق بشر نفوسهم الفاغرة ، وصورتي هناك ، في الاعماق ، تنفّرني وتسحرني . فيا ايها الإله القادر ، من عساني أكون ، إلاّ الخوف الذي يكنّه الناس لي ؟

جوبيتر – وانا ، من تظنّني أكون ، (مشيراً الى التمثال) إنّ لي انا ايضاً صورتي . أتظنّ انها لا تحدث لي دواراً ؟ انني منذ مئة الف سنة أرقص امام البشر . رقصة بطيئة مظلمة . ويجب ان ينظروا إليّ : فما دامت عيونهم محدّقة بي ، ينسون ان ينظروا في ذواتهم . واذا نسيت نفسي لحظة ، واذا تركت انظارهم تلتفت قليلاً ...

اجيست – ماذا يحدث ؟

جوبيتر – دعك من هذا . إن هذا لا يعني إلاّ ي . انك متعَبٌ يا أجيست ، ولكن مم ؟ انت تشكو ؟ انك ستموت . اما انا ، فلا . فما دام على هذه الارض بشر ، فانا محكوم عليّ ان أرقص امامهم .

اجيست – واحسرتاه ! ولكن من حكم علينا ؟

جوبيتر – لا أحد الا أنفسنا ؛ ذلك اننا نملك الهوس نفسه . انك تحب النظام ، يا أجيست .

اجيست – النظام . هذا صحيح . ومن أجل النظام أغويت كليتمنستر ، ومن أجل النظام قتلت مليكي ؛ كنت اريد ان يسود النظام ، وان يسود على يدي . لقد عشت بلا رغبة ، بلا امل ، بلا حب : وانما أقمت النظام . فيا للهوس الإلهي الفظيع !

جوبيتر – ليس بوسعنا ان يكون لنا سواه : انني إله ، وقد وُلدت انت لتكون ملكاً .

أجيست – مع الأسف !

جوبيتر – يا أجيست ، يا مخلوقي وأخي البشري ، باسم هذا النظام الذي نخدمه كلانا ، آمرك : اقبض على اورست وعلى اخته .

اجيست – أهما خطيران الى هذا الحد ؟

جوبيتر – ان اورست يعلم أنه حر .

اجيست – (بحيرة) هو يعرف أنه حر . لا يكفي إذن ان يقيَّد بالحديد . إن رجلاً حراً في المدينة هو أشبه بعنزة جرباء في قطيع . فهو سوف يصيب بالعدوى مملكتي كلّها ويهدم عملي . فماذا تنتظر ، ايها الإله القدير ، لكي تصعقه ؟

جوبيتر (بهدوء) – لأصعقه ؟ (فاتر . بلهجة متعبة) اسمع يا أجيست : إن للآلهة سراً آخر .

اجيست – ماذا تراك ستقول لي ؟

جوبيتر – حين تنفجر الحرية يوماً في قلب انسان ، فان الآلهة لا يملكون الا العجز تجاه هذا الانسان . ذلك انها قضية بشر ، ويجب على البشر الآخرين – عليهم وحدهم – ان يتركوه يجري او ان يخنقوه .

اجيست . (ناظراً اليه) – ان يخنقوه ؟ حسناً . انني سأطيعك بلا ريب . ولكن لا تضف شيئاً . ولا تبق هنا وقتاً اطول ، لأنني لا أستطيع احتمال ذلك .

(يخرج جوبيتر)

المشهد السادس

اجيست (يبقى وحده لحظة) **ثم الكتر واورست**

الكتر (قافزة نحو الباب) — إطعنه ! ولا تدع له وقتاً للصراخ ؛ إنني أرتج الباب .

اجيست — أهذا أنت إذن يا اورست ؟

اورست — دافع عن نفسك !

اجيست — لن أدافع عن نفسي . لقد فات الاوان لكي استغيث ، وانا سعيد ان يكون قد فات الاوان . ولكنني لن ادافع عن نفسي : اريد ان تقتلني .

اورست — حسناً . إن الطريقة لديّ سواء . وسأكون قاتلاً .

(يضربه بسيفه)

اجيست (مترنحاً) — لم تكن ضربتك فاشلة (يتثبت باورست) دعني انظرك . أصحيح أنه ليس لديك ندم ؟

اورست — ندم ؟ لماذا ؟ انني افعل ما هو عدل .

اجيست — ما هو عدل ، هذا ما يريده جوبيتر . لقد كنتَ مختبئاً هنا ، وسمعتَه .

اورست — ماذا يهمني جوبيتر ؟ إن العدالة هي قضية بشرية ، ولست

بحاجة الى إله ليعلمني اياها . ان من العدل أن أسحقك ، ايها الفاجر القذر ، وان أهدم مملكتك على سكان أرغوس ، ومن العدل أن أرد لهم شعورهم بالكرامة .

(يدفعه عنه)

اجيست — أحس بالألم .

الكتر — انه يترنح ، ووجهه ممتقع ، يا للفظاعة ! ما أبشعه منظراً ، منظر انسان يموت .

اورست — اسكتي . ولا يحملنّ ذكرى اخرى الى القبر غير ذكرى فرحتنا .

اجيست — لعنتا انتما الاثنين .

اورست — اترى الموت لم يجهز عليك بعد ؟

(يضربه مرة اخرى . يسقط أجيست)

أجيست — حذار من الذباب ، يا اورست ، حذار من الذباب . لم ينسه كل شيء .

(يموت)

اورست (دافعاً اياه بقدمه) — إن كل شيء قد انتهى بالنسبة اليه على اي حال . إصحبيني الى غرفة الملكة .

الكتر — اورست ...

اورست — ماذا ؟ ..

الكتر — انها لا تستطيع بعدُ ان تؤذينا ..

اورست — وإذن ؟ انني لا أتعرّفك . لم تكوني تتحدثين كذلك منذ لحظة .

الكتر — وانا يا اورست لا أتعرفك بعد .

اورست — حسناً ، انا ذاهب وحدي .

(يخرج)

المشهد السابع

الكتر (وحدها)

الكتر – أتراها سوف تصرخ ؟ (فترة ، ترهف سمعها) انـــه يمشي في الممر . وحين يفتح الباب الرابع .. آه ! لقد أردت ذلك ! اني أريده ، ولا بد اني مـا زلت اريده . (تنظر الى أجيست) ان هذا قد مات . هذا إذن ما كنت اريده . لم اكن أعي ذلك . (تقترب منه) مئة مرة رأيته في الحلم ، ممدداً في هذا المكان نفسه والسيف في قلبه . لقد كانت عيناه مغمضتين ، وكان يبدو نائمـاً . وكم كنت حاقدة عليه ، كم كنت مسرورة بأن أحقد عليه . انه لا يبدو نائماً ، وعيناه مفتوحتان ، انه ينظر الي . لقد مات – ومات حقدي معه . وانا هنا، أنتظر، والاخرى ما تزال حية ، في داخل غرفتها ، وهي عما قليل ستصرخ . انهـا ستصرخ كالوحش . آه ! لا أستطيع بعدُ أن أتحمل هذا النظر (تركع وتلقي معطفاً على وجه أجيست) ماذا كنت اريـد اذن ؟ (صمت . ثم صراخ كليتمنستر) لقد طعنها . كانت أمّنا ، وقد طعنها . (تنهض) هأنذا : لقد مات اعدائي . وطوال أعوام ، تمتعت بهذا الموت مسبقاً ، اما الآن ، فان قلبي مضغوط في كلابة . أتراني قـد كذبت على نفسي طوال خمسة عشر عاماً؟ ليس هذا صحيحاً، ليس هذا صحيحاً! لا يمكن ان يكون صحيحاً : فانا لست جبانة ! لقد أردتها ، هـذه الدقيقة ، وما زلت أريدها . اردت ان ارى هـذا الخنزير القذر مطروحاً على قدمي . (تنزع المعطف) ماذا يهمني نظرك ، نظر السمكة الميتة ؟ لقد اردته هـذا النظر . وانا اتمتع به (صراخ أضعف من كليتمنستر) لتصرخ ! لتصرخ ! اني اريـد صراخها المذعور واريد آلامها . (ينقطع الصراخ) يا للفرحة ! يا للفرحة ! انني أبـكي فرحاً : لقد مات اعدائي ، وأدرك أبي ثأره .

(يعود اورست ، وبيده سيف يقطر دمًا . تهرع اليه)

المشهد الثامن

الكتر – اورست

الكتر – اورست !

(ترتمي بين ذراعيه)

اورست – مم انت خائفة ؟

الكتر – لست خائفة ، بل انا ثملة . ثمـلة من الفرح . ماذا قالت ؟ أتراها قد ابتهلت طويلاً للصفح عنها ؟

اورست – اسمعي يا الكتر : انني لست نادماً على مـا قمت به ، ولكني لا ارى من الخير ان أتحدّث عنه : إن هناك ذكريات لا تُشاطر . اعلمي فقـط انها ماتت .

الكتر وهي تلعننا ؟ قلْ لي هذا فقط : وهي تلعننا ؟

اورست – نعم ، وهي تلعننا .

الكتر – خذني بين ذراعيك ، يا حبيبي ، وشُدّني بكل قواك . مـا أكثف الليل ، وكم تجهد أنوار هذه المصابيح في أن تخرقه ! هل تحبني ؟

اورست – ليس هو الليل : بل مطلع النهار . اننا احرار يا الكتر . يخيّل إليّ اني جعلتك تولدين ، واني وُلدت معك ! اني أحبّك وانت تخصّينني . كنت حتى الأمس ما ازال وحيداً ، وانت اليوم تخصّينني . إن الدم يوحد بيننا توحيداً

مزدوجاً لأننا من دم واحد ، وقد أرقنا دماً .

الكتر — ألق سيفك ، وهات يدك هذه . (تأخذ يده وتقبلها) إن أصابعك قصيرة ومربعة . إنها مصنوعة لكي تأخذ وتمسك . ايتها اليد العزيزة ! انها أشدّ بياضاً من يدي . وكم قد ثقلت لتضرب قاتليْ أبينا ! انتظر (تذهب فتحمل مصباحاً وتدنيه من اورست) يجب ان أضيء وجهك ، لأن الليل يتكاثف ، ولا اراك بعدُ في وضوح . انني بحاجة لأن أراك : وحين لا اراك بعد ، أخاف منك ؛ يجب ألاّ أغادرك بعينيّ . انني أحبّك . يجب ان افكر بأني أحبك . ما أشدّ ما تبدو غريباً !

اورست — انني حرّ يا الكتر ؛ لقد انقضّت الحرية عليّ كالصاعقة .

الكتر — حرّ ؟ أما انا فلا أحسني حرة . اكان بامكان هذا ألاّ يحدث ؟ لقد وقع شيء لسنا بعدُ أحراراً في رده . فهل بوسعك ان تحول دون ان نكون الى الابد قاتليْ أمنا ؟

اورست — أتظنين ان بودّي ان أحول دون ذلك؟ لقد قمت بعملي، يا الكتر ، وكان هذا العمل طيباً . وسوف أحمله على كتفيّ كما يحمل عابر الماء المسافرين ، وسوف أنقله الى الشاطىء الآخر واقدّم عنه حساباً . وسأزداد بهجةً ما ازداد ثقلاً على الحمل ، لأن حرّيتي هي إياه . كنت حتى الامس ما ازال أمشي على الارض اتفاقاً ، وكانت آلاف من الدروب تفرّ من تحت قدميّ ، لأنها كانت تخصُّ آخرين . لقد استعرتها كلها ، درب ساحبي المراكب ، ذلك الذي يحاذي النهر ، وزقاق المكاري ، وطريق سائقي العربات المبلّط؛ ولكن لم يكن ثمة ايّ درب لي . اما اليوم فليس ثمة الا درب واحد ، والله يعلم الى اين يفضي : ولكنه دربي . مابك ؟

الكتر — انني لا أستطيع بعدُ أن اراك . فهذه المصابيح لا تضيء . انني اسمع صوتك ، ولكنه يؤلمني ، وهو يقطعني كالسكين . أيكون الظلام شديداً هكذا بعد الآن ، حتى في النهار ؟ اورست ! ها هو ذا !

اورست — مَنْ ؟

الكتر — ها هوذا ! من اين هو آت ؟ انه يتدلى من السقف كعناقيد العنب الأسود ، وهو الذي يسوّد الجدران ؛ إنه ينسلّ بين الأضواء وبين عينيّ ، وظلاله هي التي تسرق مني وجهك .

اورست — الذباب ...

الكتر — اسمع ! .. اسمع طنين أجنحته ، شبيهاً بهدير كور . إنه يحيط بنا يا اورست . انه يترصّدنا ، وهو عمّا قليل سينقضّ علينا ، وسأحسّ الف رجل دبقة على جسمي . فأين المفرّ ، يا اورست ؟ انه ينتفخ ، إنه ينتفخ ، وها هو كبير كالنحل ، وهو سيتبعنا الى كل مكان في دوّامات سميكة . يا للفظاعة ! اني اري عيونه ، ملايين عيونه تنظر الينا .

اورست — ماذا يهمنا الذباب ؟

الكتر — إنه آلهات الندم يا اورست ، إنه « الاريني » .

اصوات (خلف الباب) — افتحوا ! افتحوا ! إذا لم يفتحوا فيجب ان نحطم الباب .

(طرقات عنيفة على الباب)

اورست — إن صراخ كليتمنسترا قد نبّه الحرس . تعالَيْ ! قوديني الى معبد ابولون؛ سنقضي فيه ليلتنا ،بمنجى من البشر والذباب. وغداً سأتحدّث الى شعبي.

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الاول

(معبد ابولون . في الظل . تمثال لابولون في وسط المسرح . الكتر واورست ثائفان عند أسفل التمثال ، محيطين ساقيه بذراعيهما . « الاربني » آلهات الندم تحيط بهما ، وهي نائمة واقفة ، كالطيور طوال الساق . في الداخل ، باب برونزي ثقيل) .

الاهة اولى (متمطية) — هاهه ! لقد نمت واقفة ، مستقيمة من فرط الغضب ، وحلمت أحلاماً مغتاظة هائلة . فيا لزهرة الغضب الجميلة ، يا للزهرة الجميلة الحمراء في قلبي (تدور حول اورست والكتر) إنهما نائمان . ما أشدّ بياضهما ، وما أرقّهما ! سوف ألتفُّ على بطنهما وصدرهما كما يلتفّ غديرٍ على الحصباء . وسوف أصقل بصبر هذه البشرة الدقيقة ، وأدلكها ، وأقشرها حتى العظم . (تقوم ببضع خطوات) يا لصباح الحقد النقيّ ! اية يقظة رائعة : انهما نائمان ، دِبقان ، تنبعث منهما رائحة الحمى ؛ امـــا أنا ، فساهرةٌ ، نضرة ، قاسية ، إن روحي من نحاس — وانا أحسّني مقدّسة .

الكتر (في نومها) — واحسرتاه !

الاهة ثانية — إنّهـا تئن . صبراً ، فستعرفين عمّا قليل لدغاتنا ، وسنجعلك تهمهمين تحت مداعباتنا . سوف أدخل فيك ، كما يدخل الذكر في الانثى ، لأنك

زوجتي وستحسّين ثقل حبي . انك جميلة يا الكتر ، أجمل مني ؛ ولكنك سترين ، إن قبلاتي تدفع الى الشيخوخة ، فلن تمضي ستة أشهر حتى اكون قـد حطمتك كعجوز ، وسأبقى أنا صبيّة (تنحني عليها) انها فريستان جميلتان قابلتان للهلاك وجديرتان بان تؤكلا ؛ انـــي انظر اليهما ، وأتنشّق أنفاسهما فيخنقني الغضب . ويا للذة ان أحسّ نفسي صباحَ حقدٍ صغيراً ، لذة ان أحسّني مخالب وفكّين ، مع نارٍ تسري في العروق . إن الحقد يغرقني ويخنقني ، ويصعد في صدري كأنه الحليب . استيقظي يا اخواتي ، استيقظي : فهذا هو الصباح .

الاهة الثانية — كنت أحلم اني كنت ألدغ .

الاهة الاولى — صبراً : فانّ إلهاً يحميهما اليوم ، ولكن لن يلبث العطش والجوع ان يطردهما من هذا الملجأ . وآنذاك ستلدغينهما بكل اسنانك .

الاهة ثالثة — هاهه ! اريـد أن أحلب .

الاهة الاولى — انتظري قليلاً : فان اظفارك الحديدية ستخطّ عما قريب الف درب أحمر في لحم الآثمين . اقتربن يا أخواتي ، تعالين انظرن اليهما .

الاهة — ما أنضرهما !

الاهة اخرى — ما أجملهما !

الاهة الاولى — ابتهجن : فانالمجرمين هم غالباً عجائز بشعون ؛ ونادرةٌ هي الفرحة اللذيذة للقضاء على ما هو جميل .

الاهات — هياهاه ! هياهاه !

الاهة الثالثة — إن اورست يكاد يكون صبياً . وسيكنُّ حقدي عليه رقةٍ رؤوماً . سوف آخذ على ركبتي رأسه الممتقع واداعب شعره .

الاهة الاولى — وبعد ذلك ؟

الاهة الثالثة — وبعد ذلك أغرز فجأة اصبعيّ هذين في عينيه .

(يأخذن جميعاً في الضحك)

الاهة الاولى — انها يتنهّدان ويتقلّبان ، فيقظتهما قريبة . هيّا ، هيا اخوتي الذباب ، لننزع الآثمين من نومهما بأغانينا .

جوقة الالامات – بز ، بز ، بز ، بز .
سوف نحطّ على قلبك الفاسد كالذباب على قطعة حلوى
ايها القلب الفاسد ، ايها القلب النازف ، ايها القلب اللذيذ
سوف نجني كالنحل نتن قلبك وقذارته
ونجعل منه ، سوف ترى ، عسلا جميلا أخضر
اي حبّ تُراه يملأنا رضى مثل الحقد ؟
بز ، بز ، بز ، بز .
سنكون عيون البيوت المحدّقة .
وهرير كلب الحراسة الذي سيكشّر عن انيابه لدى مرورك
والطنين الذي سيطير في السماء فوق الرأس
وضجيج الغابة
سنكون الصفير والزعيق والنعيب ،
سنكون الليل .
ليل روحك الكثيف
بز ، بز ، بز ، بز .
هياهاه ، هياهاه ، هياهاه .
بز ، بز ، بز ، بز .
نحن مصّاصات النتن ، الذباب
وسنقاسمك كل شيء .
سنذهب بحثاً عن الغذاء في فمك وشعاع النور في قلب عينيك
وسنواكبك حتى القبر
ولن نتنازل عن مكاننا إلاّ للدود
بز ، بز ، بز ، بز .
(يرقص الذباب)
الكتر (مستيقظة) – من يتكلم ؟ من انتنّ ؟

الالامات – بز ، بز ، بز .
الكتر – آه ! ها أنتنّ ذا . ماذا ؟ هل قتلناها حقاً ؟
اورست (مستيقظاً) – الكتر !
الكتر – وانت ، من انت ؟ آه ! انت اورست . إذهب عنّا .
اورست – ولكن ما بك ؟
الكتر – انك تخيفني . لقد حلمت بأن امي سقطت على ظهرها وانها تنزف ، وان دمها كان يجري جداول تحت جميع ابواب القصر . إلمس يدي ، انها باردتان. لا ، دعني . لا تلمسني . أتراها قد نزفت كثيراً ؟
اورست – اسكتي .
الكتر (مستيقظة تماما) – دعني أراك : لقد قتلتها . انت الذي قتلتها . انك هنا ، وقد استيقظت الساعة ، وليس على وجهك شيء مسطور ، ومع ذلك فقد قتلتها .
اورست – واذن ؟ نعم ، لقد قتلتها ! (فترة) انت ايضاً تخيفينني . لقد كنت جميلة جداً ، بالأمس . اما اليوم ، فكأن وحشاً قد خرّب وجهك بمخالبه .
الكتر – وحش ؟ إنه جُرمك . إنه ينتزع وجنتي وجفوني : ويخيّل إلي ان عيني وأسناني عارية . وهؤلاء ، من هن ؟
اورست – لا تفكري بهن . إنهن لا يستطعن شيئاً ضدي .
الالامة الاولى – لقد أتينا ، اذا جرؤت ، وسترى ان كنا لا نستطيع شيئاً ضدها .
اورست – صمتاً ، ايتها الكلاب . عُدْن الى مرقدكن !(تهدر الالامات) تلك التي كانت أمس في ثوبها الأبيض ترقص على درجات المعبد ، أيمكن ان تكون إياك ؟
الكتر – لقد شخت . في ليلة واحدة .
اورست – انك ما تزالين جميلة ، ولكن ... اين تراني قد رأيت هاتين

العينين الميتتين ؟ الكتر ... انك تشبهينها ؛ تشبهين كليتمنسترا . أكان من الجدي أن أقتلها ؟ انني حين ارى جريمتي في هاتين العينين ، أجده فظيعاً مخيفاً .

الالاهة الاولى – ذلك انها تجدك فظيعاً مخيفاً .

اورست – أهذا صحيح ؟ أصحيح اني أثير لديك الاشمئزاز والخوف ؟

الكتر – دعني .

الالاهة الاولى – وإذن ؟ هل يبقى لديك ايّ شك ؟ كيف تراها لن تحقد عليك ؟ كانت تعيش بسلام مع أحلامها ، فأتيت تحمل الذبح والتدنيس . وها هي ذي ، تشاطرك غلطتك ، مسلوبةً على هذه القاعدة ، قطعة الارض الوحيدة الباقية لها .

اورست – لا تصغي إليها .

الالاهة الاولى – ابتعد ! ابتعد ! اطرديه يا الكتر ، ولا تدعي يده تلمسك . إنه جزّار ! وعلى يديه رائحة الدم الرطب . لقد قتل العجوز قتلةً قذرة ، لو تعلمين ، إذ ارتدّ عليها بضع مرات .

ألكتر – ألا تكذبين ؟

الالاهة الاولى – تستطيعين ان تصدقيني . لقد كنت هناك ، وكنت اطير حولها .

الكتر – وقد طعنها عدة طعنات ؟

الالاهة الاولى – ما يقارب العشر . وفي كل طعنة ، كان السيف يحدث صوتاً في الجرح . وكانت تغطّي وجهها وبطنها بيديها ، فقطع لها يديها .

الكتر – هل تألمت كثيراً ؟ ألم تمت على الفور ؟

اورست – كفّي عن النظر اليهن ، وسدّي أذنيك ، وأياك خصوصاً ان تطرحي عليهن الاسئلة ؛ ستهلكين اذا طرحت عليهن الاسئلة .

الالاهة الاولى – لقد تألمت ألماً فظيعاً .

الكتر (مخفية وجهها بيديها) – ها !

اورست – إنها تريد ان تفصل بيننا ، وهي تنصب حولك جدران العزلة .

فحذار ؛ إنك حين تصبحين وحدك ، وحدك وبلا عون ، فسينقضضن عليك . اسمعي يا الكتر : لقد قررنا هذا القتل معاً ، ويجب ان نتحمل نتائجه معاً .

الكتر – تدعي اني أردته ؟

اورست – أليس ذلك صحيحاً ؟

الكتر – لا . ليس صحيحاً .. انتظر ... بلى ! آه ! لست ادري بعد . لقد حلمت بهذه الجريمة . ولكنك انت الذي نفذها ، يا جلاد أمّك بالذات .

الالاهات (صاحكات صارخات) – جلاد ! جلاد ! جزار !

اورست – إن العالم وراء هذا الباب يا الكتر . العالم والصباح . وفي الخارج ، تطلع الشمس على الدروب . اننا سنخرج عما قليل ، وسنسير على الدروب المشمسة ، وستفقد بنات الليل هؤلاء قدرتهن : فان أشعة النهار ستخترقهن كالسيوف .

الكتر – الشمس ...

الالاهة الاولى – إنك لن تري الشمس ابداً يا الكتر . لسوف تتكوم بينها وبينك كومة من الجراد ، وستحملين الليل على رأسك في كل مكان .

الكتر – دعيني ! كفّي عن تعذيبي !

اورست – إن ضعفك هو الذي يكسبهن قوتهن . انظري : انهن لا يجرؤن على ان يقلن لي شيئاً . اسمعي : إن ذعراً ليس له من اسم قد حطّ عليك وهو الذي يفصل بيننا . ومع ذلك ، فما الذي عشتِه ولم أعشه ؟ أتظنّين أن اذني ستكفّان يوماً عن سماع أنّات أمي ؟ وعيناها الهائلتان – محيطان هائجان – في وجهها الطبشوري ، اتظنين ان عينيّ ستكفان يوماً عن رؤيتها ؟ والتمزق الذي بتّ كلك ، أتعتقدين انه سيكف يوماً عن تمزيقي ؟ ولكن ما يهمني : انني حر . فيا وراء التمزق والذكريات . حر . ومنسجم مع نفسي . يجب ألا تحقدي على نفسك يا الكتر . أعطيني يدك : انني لن أتركك .

الكتر – دع يدي ! صحيح أن هاتيك الكلبات السود حولي تخيفني ، ولكن أقل منك .

الالاهة الاولى – أترى ! أترى ! أليس صحيحاً ايتها الدمية الصغيرة اننا أقل إخافة لك منه ؟ إنك بحاجة الينا ، يا الكتر ، انك ابلتنا . انت بحاجة الى مخالبنا لتنقب في لحمك ، وأنت بحاجة الى أسناننا لتعض صدرك ، وانت بحاجة الى حبنا المفتذي بلحم البشر ليصرفك عن الحقد التي تحملينه لنفسك ، وانت بحاجة الى ان تتألمي في جسمك لتنسي آلام روحك . تعالي ! تعالي ! ليس لك الا ان تهبطي درجتين ، وسنتلقاك بأذرعتنا ، وستمزق قبلاتنا لحمك الطري ، وسيحل النسيان ، النسيان على نار الألم النقي .

الالاهات – تعالي ! تعالي ! تعالي !

(يرقصن بهدوء ، كما لو انهن يردن ان يسحرنها . تنهض الكتر) .

اورست (قابضاً على ذراعها) – لا تذهبي ، أبتهل اليك ، سيكون في ذلك هلاكك .

الكتر (متخلصة بعنف) – ها ! انني أكرهك .

(تهبط الدرجات ، فتنقض عليها الالاهات جميعاً) .

الكتر – النجدة ! النجدة !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الثاني

الأشخاص انفسهم – جوبيتر

جوبيتر – إلى مرقدكن ! !

الالاهة الاولى – السيّد !

(تبتعد الالاهات على مضض ، تاركة الكتر ممددة على الارض)

جوبيتر – يا للصبية المسكينة ! (يقترب من الكتر) أهذا هو مصيرك إذن ؟ إن الغضب والشفقة يتنازعان قلبي . إنهضي يا الكتر : فما دمت هنا ، فان كلباني لن يؤذيك (يساعدها على النهوض) اي وجه رهيب . ليلة واحدة ! ليلة واحدة ! اين هي نضارتك القروية ؟ إن كبدك ورئتيك وطحالك قد سامت في ليلة واحدة ، فليس جسمك بعدُ إلاّ جسماً بائساً . آه ! ايها الشباب المدّعي الجنون ! كم قد جلبت على نفسك من مصائب !

اورست – اترك هذه اللهجة يا صاحبي : فهي لا تناسب ملك الآلهة .

جوبيتر – وانت كذلك ، اترك هذه اللهجة المتكبرة : فهي لا تناسب مذنباً يكفّر عن جريمته .

اورست – انا لست مذنباً ، ولن تستطيع ان تحملني على التكفير عما لا أعارف به جرماً .

جوبيتر – ربما كنت على خطأ ، ولكن صبراً : انني لن اتركك في الخطأ طويلاً .

اورست – مهما قلت ما شئت : فانني لست نادماً على شيء .

جوبيتر – حتى ولا على الذلّ الذي غرقت فيه أختك بسبب خطأك ؟

اورست – حتى ولا على هذا .

جوبيتر – هل تسمعينه ، يا الكتر ؟ هوذا من كان يزعم أنه يحبك .

اورست – أحبّها اكثر من نفسي . ولكن آلامها صادرة عنها ، وهي وحدها من تستطيع ان تتخلص منها : انها حرّة .

جوبيتر – وانت ؟ ربما كنت انت ايضاً حراً ؟

اورست – انت تعرف هذا جيداً .

جوبيتر – انظر الى نفسك ، ايها المخلوق الوقح البليد : إن لك في الحقيقة هيئة متعالية ، ملتوية بين سيقان إله منقذ ، مع هذه الكلبات الجائعات اللواتي يحاصرنك . إذا جرؤت على الزعم بانك حر ، فلا بد إذن من الاشادة بحرية الأسير المثقل بأغلاله ، في جوف زنزانة ، وحرية العبد المصلوب .

اورست – ولِمَ لا ؟

جوبيتر – حذار : إنك تتطاوس لأن ابولون يحميك . ولكن ابولون هو خادمي المطيع . فاذا رفعتُ إصبعاً ، تخلّى عنك .

اورست – وماذا تنتظر ؟ إرفع اصبعاً ، ارفع يدك كلّها .

جوبيتر – وما جدوى ذلك ؟ ألم أقل لك اني أنفر من العقاب ؟ لقد جئت أنقذك .

الكتر – تنقذنا ؟ كفّ عن السخرية ، يا سيّد الانتقام والموت ، فليس من المسموح به – حتى لإله – ان يمنح الذين يتألمون أملاً خادعاً .

جوبيتر – تستطيعين بعد ربع ساعة ان تكوني خارج هذا المعبد .

الكتر – سليمة معافاة ؟

جوبيتر – اني أمنحك كلمة الشرف .

الكتر – وما الذي ستطلبه مني بالمقابل ؟

جوبيتر – لا أطلب منك شيئاً ، يا بنيتي .

الكتر – لا شيء ؟ هل ما أسمعه صحيح ، ايها الإله الطيب ، ايها الآله المعبود ؟

جوبيتر – او لا شيء تقريباً . ان ما تستطيعين ان تعطيني اياه بكل سهولة هو بعض الندم .

اورست – حذار يا الكتر : ان هذا اللاشيء سيثقل على روحك كالجبل .

جوبيتر – (للكتر) – لا تصغي اليه . بل أجيبني أنا : كيف تراك لا تقبلين انكار هذا الجرم؟ ان شخصاً آخر هو الذي ارتكبه ولا نكاد نستطيع ان نقول انك كنت ضالعة معه .

اورست – الكتر ! اتراك ستنكرين خمسة عشر عاماً من الحقد والأمل ؟

جوبيتر – من يتحدث عن الإنكار ؟ انها لم ترد قط هذا العمل التدنيسي .

الكتر – واحسرتاه !

جوبيتر – هيّا ! ان بوسعك ان تثقي بي . ألست أقرأ في القلوب ؟

الكتر (غير مصدقة) – وانت تقرأ في قلبي أني لم أرد هذه الجريمة ؟ بينما حلمت طوال خمسة عشر عاماً بالقتل والانتقام ؟

جوبيتر – كفى ! ان تلك الاحلام الدامية التي كانت تهدهدك ، كان لها لون من البراءة : كانت تقنّع عنك عبوديتك ، وكانت تلأم جراح كبريائك . ولكنك لم تفكري قط بتحقيقها . فهل أنا مخطىء ؟

الكتر – آه ! يا إلهي العزيز ، كم أتمنى ألاّ تكون مخطئاً !

جوبيتر – انت فتاة صغيرة جداً يا الكتر . وقد كانت الفتيات الصغيرات الاخريات يتمنين أن يصبحن أغنى النساء جميعاً أو أجملهن . اما أنت ، المسحورة بقدر جنسك الفظيع ، فقد تمنيت أن تصبحي اكثر النساء ألماً واجراماً . انك لم تريدي الشر قط : لم تريدي الا شقاءك بالذات . ان الاولاد ، في مثل سنك ، ما يزالون يلعبون بالدمية او بالقفز ؛ اما انت ، المسكينة الصغيرة التي لا تملك دمى ولا رفاقاً ، فقد لعبت بالقتل ، لأنها لعبة يستطيع المرء ان يلعبها وحده .

الكتر – يا للأسف! يا للأسف! انني أستمع اليك وارى بوضوح أعماق قلبي .

اورست – الكتر ! الكتر ! انما انت الآن مذنبة. من يستطيع ان يعرف ما أردته غيرك انت ؟ فهل تراك تتركين احداً آخر يقرّر ذلك ؟ لماذا تشوّهين ماضياً لا يمكن بعدُ ان يدافع عن نفسه؟ لماذا تنكرين تلك « الالكتر » الحاقدة التي كنتها ، تلك الالاهة الشابة ، إلاهة الحقد ، التي أحببتها كثيراً ؟ أولاً ترين أن هذا الرب القاسي يتلاعب بك ؟

جوبيتر – أتلاعب بكما ؟ بل اسمعا ما الذي اقترحه عليكما : اذا انكرتما جريمتكما ، أقمتكما كليكما على عرش ارغوس .

اورست – بدلاً من ضحيتينا ؟

جوبيتر – هذا ما ينبغي .

اورست – وسأرتدي ثياب المرحوم الملك التي ما تزال دافئة ؟

جوبيتر – هذه الثياب او سواها ، سيّان .

اورست – نعم ؛ شريطة ان تكون سوداء ، أليس كذلك ؟

جوبيتر – ألست في حداد ؟

اورست – الحداد على امي ، كنت أنسى ذلك . ورعيتي ، أينبغي ايضاً ان ألبسها السواد ؟

جوبيتر – إنها ترتديه حالياً .

اورست – هذا صحيح. لندع لها الوقت الكافي لإبلاء ثيابها القديمة . حسناً، هل فهمتِ يا الكتر ؟ اذا ذرفت بعض الدموع ، أعطيت تنانير كليتمنستر وقمصانها – تلك القمصان النتنة الملطخة التي غسلتها بيديك طوال خمسة عشر عاماً . ودورها كذلك ينتظرك ، فليس لك الا ان تأخذيه ؛ وسيكون الوهم ممتازاً ، وسيظنّ الجميع انهم يرون امك ثانية ، لأنك أخذتِ تشبهينها . اما انا، فاني اكثر اشمئزازاً : انني لن ارتدي ثياب المهرج الذي قتلته .

جوبيتر – انك ترفع رأسك عالياً جداً : لقد طعنت رجلاً لم يكن يملك وسيلة الدفاع عن نفسه وعجوزاً كانت تطلب العفو؛ ولكن الذي يسمعك تتكلم

من غير ان يعرفك قد يظن أنك أنقذت مسقط رأسك ، وانت تقاتل وحدك ضد الثلاثين .

اورست – ربما أكون في الواقع قد انقذت مسقط رأسي .

جوبيتر – أنت ؟ أتعرف ما وراء هذا الباب ؟ سكان أرغوس – جميع سكان أرغوس إنهم ينتظرون منقذهم بالحجارة والمناشير والهراوات ليعبروا له عن عرفانهم . انك وحدك كالمصاب بالبرص .

اورست – نعم .

جوبيتر – إذهب ، ولا تفخر بذلك . لقد قذفوك في عزلة الاحتقار والقطاعة ، يا أبجن القاتلين !

اورست – إن أبجن القاتلين هو الذي يعاني الندم .

جوبيتر – اسمع يا اورست ! لقد خلقتك وخلقت كل شيء : فانظر (تنشق جدران المعبد ، وتبدو السماء متلألئة بالنجوم التي تدور . جوبيتر في داخل المسرح ، يصيح صوته هائلاً – مكبّر صوت – ولكن المشاهد يكاد يميزه) إنظر إلى هذه الكواكب التي تدور في نظام ، من غير ان تتصادم أبداً : أنا الذي نظمت مجراها ، وفقاً للعدل . اسمع انسجام الكرات، هذا النشيد المسبّح الهائل الذي يتردد في اربعة ارکان السماء (ميلودرامه) باسمي تخلد الانواع والأجناس ، وقد أمرت ان يولد دائماً انسان من انسان وان يكون طفل الكلب كلباً ، وباسمي يمتد لسان الامواج الرقيق ليلحس الرمل وينسحب في الساعة المحددة ، وأنا الذي أنمي النبات ، وأنقاسي هي التي تقود حول الارض سحائب اللقاح السوداء . انت لست في بيتك ايها الدخيل ؛ وانما انت في العالم كالشظية في اللحم ، كالصيّاد الذي لا يحق له الصيد في الغابة الملكية : ذلك أن العالم طيّب ؛ ولقد خلقته وفق رغبتي وانا الخير . اما انت ، فقد فعلت الشر ، والاشياء تتهمك بصوتها المتحجّر : إن الخير قائم في كل مكان ، إنه نخاع البيلسان ، ونداوة الينبوع ، وحبّة الصوان ولقل الحجارة ؛ إنك واجده حتى في طبيعة النار والنور ، بل ان جسمك نفسه يكشف عنه ، لأنه ينسجم مع اوامري . إن « الخير » في نفسك ، وخارج

نفسك ، وهو يخترقك كمنجل ، ويسحقك كجبل ، ويحملك ويدفعك كبحر ؛ وهو الذي أتاح نجاح مشروعك السيء، لأنه كان ضوء الشموع، وصلابة سيفك ، وقوة ذراعك . وهـذا « الشر » الذي تفاخر بـه ، والذي تسمّي نفسك فاعله ، ما يكون إن لم يكن إنعكاس الوجود ، إن لم يكن حجةً ومبرراً ، إن لم يكن صورة خادعة وجودها نفسه مدعوم « بالخير » . عُدْ فادخل في نفسك يا اورست : إن الكون يخطّئك ، وانت نفاية في الكون . عُـدْ فادخل في الطبيعة ، ايها الابن المشوّه : اعرف خطأك ، واحتقرْه ، وانتزعـه من نفسك كسنّ مسوّسة منتنة . او اخش ان ينحسر البحر امامك، وان تنضب الينابيع على دربك ، وان تتدحرج الحجارة والصخور خارج طريقك ، وان تتفتّت الارض تحت قدميك .

اورست – لتتفتّت ! ولتُدْنِني الصخور ، ولتذبل الزهور لدى مروري: ان عالمـك كلّه لن يكفي لتخطئتي . انت ملك الآلهـة يا جوبيتر ، ملك الصخور والنجوم ، ملك امواج البحر . ولكنك لست ملك البشر .

(تتقارب الجدران ، ويبدو جوبيتر من جديد ، متعباً ، مقوس الظهر ؛ يستعيد صوته الطبيعي) .

جوبيتر – لست ملكك ، ايها الشبح الوقح . فمن خلقك اذن ؟

اورست – انت . ولكن ما كان ينبغي لك ان تخلقني حرّاً .

جوبيتر – لقد أعطيتك الحرية لتخدمني .

اورست – هذا ممكن ، ولكنها ارتدّت عليك ، ولا حيلة لنـا بها ، لا انا ولا انت .

جوبيتر – أخيراً ، ها هو الاعتذار .

اورست – انني لا اعتذر .

جوبيتر – حقاً ؟ أتعرف انها تشبه كثيراً الاعتذار ، تلك الحرية التي تقول انك عبدٌ لها ؟

اورست – انا لست السيد ، ولا العبد ، يا جوبيتر. إنني حريتي ! فما كدت

تخلقني حتى كففت عن أن أخصّك .

الكثر – أستحلفك بأبينا يا اورس ، لا تضيفنّ التجديف الى الجريمة .

جوبيتر – إسمعها ، وافقد الأمل في ان تستردّها بحججك : إن هـذه اللهجة تبدو جديدة بما فيه الكفاية على سمعها – وهي تصدمها بما فيه الكفاية .

اورست – وعلى سمعي ايضاً ، يـا جوبيتر . وعلى حلقي الذي يهمس بالكلمات ، ولساني الذي يكوّنها عندما تمرّ بـه : انني أجد مشقّة في فهم نفسي . لقد كنتَ حتى الأمس غشاوة على عينيّ ، وسدادةً من شمع في أذني ؛ وبالأمس كان عندي عُذر : كنتَ عُذري بان أوجد ، لأنك كنت قـد خلقتني في العالم لأخدم أغراضك ، وكان العالم حسارة عجوزاً تحدثني عنك بلا انقطاع. لم تركني بعد ذلك .

جوبيتر – أتركك ، أنا ؟

اورست – أمس ، كنتُ قرب الكثر ؛ وكانت طبيعتك كلّها تحيط بي ؛ كانت الجبّة تنشد أغاني « خيرك » وتحضني نصائحها. وكان النهار المحرق يرقّ كما يتقشّى النظر ، ليحرّضني على الرّقـة ؛ ولكي تدعوني السماء الى نسيان الإهانات ، كانت تعذُب وتحلو كأنها الصفح . كان شبابي ، ليطيع اوامرك ، قد نهض فوقف امـام نظري ، مبتهلاً كخطيبة يهمّ خطيبها بتركها : وكنت ارى شبابي للمرة الأخيرة . ولكن فجأة ، انقضّت الحريّة عـليّ فأرعدت في نفسي ، وقفزت الطبيعة الى خلف ، فلم يكن لي بعدُ من عُمر ، وأحسستني وحيداً كل الوحدة ، وسط عالمي الصغير التافه ؛ كمن فقد ظله ؛ ولم يكن ثمة شيءٌ بعدُ في السماء ، لا « خير » ولا « شر » ، ولا أحد ليصدر إليّ اوامره .

جوبيتر – وإذن ؟ أيجب عـليّ أن أعجب بالنعجة التي يعزلها الجربُ عن القطيع ، او بالأبرص الذي هو محبوس في حجره؟ تذكر يا اورست : لقد كنت واحداً من قطيعي ، وكنت ترعى كلأ حقولي وسط نعاجي . وليست حريتك الا جرباً بثّاً كلك ، انها ليست الا منفى .

اورست – حقٌ ما تقول : منفى .

جوبيتر – ليس الشرّ شديد العمق : فقد بدأ بالأمس فحسب . عُدْ الينا . عُدْ : وانظر كم انت وحيد ، فحتى أختك تتركك . إنك ممتقع اللون ، والقلق يوسع عينيك . أتؤمل أن تعيش ؟ هأنت ذا متأكل بشرّ لا بشري ، ايها الغريب على طبيعتي والغريب على نفسك ذاتها . عُدْ : فأنا النسيان ، انا الراحة .

اورست – غريب على نفسي ، أعرف هذا . خارج الطبيعة ، ضد الطبيعة ، بلا عذر ولا ملجأ إلا فيّ . ولكنني لن أعود تحت شريعتك : فأنا محكومٌ علي بألا تكون لي شريعة اخرى غير شريعتي . انني لن أعود الى طبيعتك : إن هناك الف درب مرسومة فيها تؤدي اليك ، ولكني لا أستطيع ان أتبع إلا دربي . ذلك اني انسان يا جوبيتر ، وعلى كل انسان ان يخترع دربه . إن الطبيعة تشمئز من الانسان ، وانت ، انت ، رب الأرباب ، انت ايضاً تشمئز من البشر .

جوبيتر – انك لا تكذب : فحين يشبهونك ، أكرههم .

اورست – حذار : لقد اعترفت بضعفك . اما انا ، فلا اكرهك . ما شأني بك ؟ إننا نتساب أحدنا بوازاة الآخر ، من غير ان نتماسّ ، كسفينتين . انك رب ، وانا حر : فنحن متشابهان في الوحدة ، وضيقنا متشابه . من ذا الذي قال لك إني لم أبحث عن الندم ، في اثناء هذه الليلة الطويلة ؟ الندم . النوم . ولكني لا أستطيع بعدُ أن أعاني الندم . ولا أن أنام .

(صمت)

جوبيتر – ماذا تنوي أن تفعل ؟

اورست – إن سكان ارغوس هم ناسي . ويجب ان أفتح عيونهم .

جوبيتر – يا للناس المساكين ! انك ستهدي إليهم الوحدة والعار ، إنك ستنزع الأقمشة التي غطيتهم بها ، وستريهم فجأة حياتهم ، حياتهم القذرة الباهتة التي أعطوها من أجل لا شيء .

اورست – لماذا تراني ارفض أن أقدّم لهم اليأس الذي أعانيه ، ما دام هذا نصيبهم ؟

جوبيتر – وما عساهم يصنعون به ؟

اورست – ما يشاءون : انهم أحرار ، والحياة الانسانية تبدأ في الجانب الآخر من اليأس .

(صمت)

جوبيتر – الحق ان هذا كله كان متوقعاً يا اورست . كان لا بد لرجل من ان يأتي ليعلن غروبي . أفهذا أنت ؟ من الذي كان يمكن ان يصدق هذا ، أمس ، لدى رؤية وجهك الانثوي ؟

اورست – وهل كنت أصدّق هذا انا نفسي ؟ ان الكلمات التي أقولها هي اكبر من ان يستوعبها فمي ، فهي تمزّقه ؛ والقدَر الذي أحمله هو أثقل من ان يحمله شبابي ، وقد حطّمه .

جوبيتر – انني لا أحبّك قط ، وانا مع ذلك أرثي لك .

اورست – وكذلك انا أرثي لك .

جوبيتر – وداعاً ، يا اورست . (يخطو بضع خطوات) وأما انت يا الكتر ، فكّري بهذا : إن مملكتي لم تنته بعد ، مهما كان الأمر ، وانا لا اريد ان اترك الصراع . فانظري إن كنت معي او ضدي . وداعاً .

اورست – وداعاً .

(يخرج جوبيتر)

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم (ما عدا جوبيتر)

(الكتر تنهض على مهل)

اورست — الى اين انت ذاهبة ؟

الكتر — دعني . ليس لديّ ما أقوله لك .

اورست — انتِ التي عرفتك أمس فقط ، أينبغي ان أفقدك الى الأبد ؟

الكتر — ليتني لم أعرفك قط .

اورست — الكتر ! يا اختي ! يا اختي الحبيبة ! حبيبتي الوحيدة ، عذوبة حياتي الفريدة ، لا تتركيني وحدي ، إبقيْ معي .

الكتر — ايها السارق ! لم أكن املك شيئاً ، الا قليلاً من الهدوء وبعض الأحلام . وقد سلبتني كل شيء ، سرقت فتاة فقيرة . كنت أخي ، ورئيس أسرتنا ، وكان عليك ان تحميني : ولكنك أغرقتني في الدم ، فأنا حمراء كبقرة مذبوحة ؛ ان كل الذباب يلاحقني ، الذباب الأكول ، وقلبي قفيرٌ فظيع !

اورست — صحيح هذا يا حبيبتي ، لقد أخذت منك كل شيء ، وليس لديّ ما اعطيك اياه — الا جريمتي . ولكنها هدية عظيمة . أتظنّين أنها لا تثقل على ضميري كالرصاص ؟ لقد كنّا خفيفين اكثر مما ينبغي يا الكتر : أما الآن ، فان أقدامنا تنغرسُ في الأرض كما تنغرسُ عجلات عربة في الأثلام . تعالي ، سوف

نذهب ، وسنسير بخطىً ثقيلة ، منحنيين تحت عبئنا الثمين . ستعطينني يدك وسنمضي ..

الكتر — الى اين ؟

اورست — لا ادري ؛ نحو أنفسنا . ان في الجهة المقابلة من الانهار والجبال اورستاً والكتراً ينتظراننا . فيجب ان نبحث عنها في صبر .

الكتر — انني لا اريد ان أسمعك بعد . انك لا تقدّم لي الا المصيبة والاشمئزاز . (تقفز على المسرح . تقترب الالاهات ببطء) النجدة ! النجدة ! يا جوبيتر ، يا ملك الآلهة والبشر ، يا مليكي ، خذني بين ذراعيك ، احملني . احمني . انني سأتبع شريعتك ، سأكون عبدتك وملكك ، وسأعانق قدميك ركبتيك . احمني من الذباب ، من أخي ، من نفسي ، ولا تدعني وحيدة ، انني سأكرس حياتي كلها للتكفير . انني أتوب ، يا جوبيتر ، أتوب .

(تخرج وهي تعدو)

المشهد الرابع

اورست – الالاهات

(تقوم الالاهات بحركة ليتبعن الكتر ، فتوقفهن الالاهة الاولى)

الالاهة الاولى – دَعْنها يا اخواتي ، انها تفلت منا . ولكن هذا يبقى لنا ، ولأجل طويل ، كما أعتقد ، لأن روحه الصغيرة صلبة . وهو سيتألم من أجل اثنين .

(تأخذ الالاهات في الطنين ويقتربن من اورست)

اورست – انني وحيد .

الالاهة الاولى – ولكن لا ، يا أجمل القتلة ، فانا باقية لك : وسترى اي لُعَبٍ سأخترعها لأسليك .

اورست – سأبقى وحيداً حتى الموت . فبعد ..

الالاهة الاولى – تشجعن يا أخواتي ، انه يضعف . أنظرن : ان عينيه تلمعان : وعما قليل ستصدي أعصابه كاوتار قيثارة تحت عصف الارهاب .

الالاهة الثانية – ولن يلبث الجوع ان يطرده من ملجإه : وسنعرف مذاق دمه قبل ان يحل هذا المساء .

اورست – يا لألكتر المسكينة .

(يدخل المربي)

المشهد الخامس

اورست – الالاهات – المربّي

المربي – هذا انت ، يا معلمي ، اين انت ؟ أنني لا أرى شيئاً . وقد حملت لك بعض الطعام : ان سكان ارغوس يحاصرون المعبد ، ولا تستطيع ان تفكر بالخروج منه : وهذه الليلة ، سنحاول ان نفرّ . وبانتظار ذلك ، كل . (تسد الالاهات الطريق عليه) ها ! من هنّ هؤلاء ؟ وساوس اخرى ؟ كم أحنُّ الى بلد « الأتيك » الرقيق ، حيث كان عقلي على حق .

اورست – لا تحاول ان تقترب مني ، والا فانهنّ سيمزّقنك شرّ ممزّق .

المربي – مهلاً يا جميلاتي . خُذْن هذه اللحوم وهذه الفاكهة ، اذا كان باستطاعة عطاياي ان تهدئكن .

اورست – تقول ان سكان ارغوس متجمعون امام المعبد ؟

المربي – وكيف ! ولن استطيع ان اقول لك أيها أشد ضراوة في الرغبة باذائك : اهؤلاء الفتيات الجميلات او اتباعك الاعزاء اولئك .

اورست – حسناً (فترة) . افتح هذا الباب .

المربي – هل انت مجنون ؟ انهم هنا ، خلفه ، يحملون اسلحتهم .

اورست – افعل ما اقوله لك .

المربي – سنسمح لي هذه المرة ان أعصاك . أقول لك انهم سيمزقونك .

اورست – انني معلمك ايها العجوز ، وآمرك بان تفتح الباب .

(يشق المربي الباب)

المربي – اولالا ! اولالا !

اورست – على مصراعيه !

(يفتح المربي الباب ويختبيء وراء احد المصراعين . تدفع الجموع المصراعين بعنف وتقف مذهولة على العتبة . نور قوي)

المشهد السادس

الاشخاص انفسهم – الجموع

(صراخ في الجموع : الموت له ! الموت له ! قطعوه ! مزقوه ! الموت له !)

اورست (من غير ان يصغي اليهم) – الشمس !

الجموع – ايها المدنس ! ايها القاتل ! ايها الجزار ! سوف نقطعك إربـــاً ! وسنصب الرصاص المذوّب في جروحك .

امرأة – سأقتلع عينيك .

رجل – سآكل كبدك .

اورست (ينتصب) ها أنتم اولاء ، يا اتباعي المخلصين ؟ انني اورست ، ملككم ، ابن آغاممنون ، وهذا اليوم هو يوم تتويجي .

(تهدر الجموع ، مبلبلة مشوشة)

لقد كففتم عن الصيـــاح ؟ (تسكت الجموع) أعرف : انني أخيفـــكم . منـــذ خمسة عشر عاماً تماماً ، انتصب امـــامكم قاتل آخر ، وكان يرتدي قفازين أحمرين حتى المرفقين ، قفازين من دم ، ولم تخـــافوا منه ، لانـــكم قرأتم في عينيه أنه كان منكم ، وانه لم يكن يحمل شجاعة أعماله . ان الجريمـــة التي لا يستطيع مرتكبها ان يتحملها ، ليست جريمة أحد ، أليس كذلك ؟ انها حادث عرضي تقريباً . ولقد استقبلتم القاتل كأنه ملككم ، وأخذت الجريمة القديمـة

تروح وتجيء بين جدران المدينة ، وهي تئن في رقة ، كـكلب فقد معلمه . انكم تنظرون الي يا سكان أرغوس ، وقـــد فهمتم أن جريمتي تخصني وحدي ؛ انني اطالب بها في وجه الشمس ، انها سبب حياتي وفخري ، وانتم لا تستطيعون أن تعاقبوني ولا أن ترثوا لي ، ومن أجل هذا تخافون مني . ومع ذلك، فاني أحبكم ، يا أتباعي ، ومن أجلكم انـتم قتلت . من أجلكم . لقـد جئت اطالب بملكتي ، فطردتموني لأنني لم أكن منكم . اما الآن ، فأنا منكم ، يا رعاياي ، اننا مرتبطون بالدم ، وانا أستحق ان اكون ملككم . ان أخطاءكم وندمكم ووساوسكم الليلية ، وجريمة أجيست ، ان ذلك كله لي ، وأنا آخذ كل شيء على عاتقي . فـلا تخافوا بعدُ موتاكم ، فانهم موتاي . وانظروا : لقد تركتكم ذبابكم المخلص وأقبل عليّ . ولكن لا تخافوا يا سكان أرغوس : فانني لن أجلس والدم يقطر مـني على عرش ضحيتي : فقد قدّمه لي إله فقلت لا اريد ان اكون ملكاً بلا ارض ولا رعايا . فوداعاً يا شعبي ، وحاولوا ان تعيشوا : ان كل شيء جديد هنـــا ، وكلُّ شيء للبدء والحياة تبدأ كذلك بالنسبة لي . وانها لحياة غريبة . اسمعوا هـذا ايضاً : ذات صيف ، هاجم الجرذان جزيرة سكيروس ، فأخذت تقضم كل شيء، وكان ذلك وباءً عظيماً ؛ وقد حسب سكان المدينة انهم يموتون من جرّاء ذلك . ولكن أقبـــل ذات يوم عازف ناي ، فانتصب في قلب المدينة — على هـــذا النحو (ينهض واقفاً) وأخذ يعزف على الناي ، فـــاذا بالجرذان كله يتجمع حوله . ثم أخذ يمشي بخطى واسعة ، على هذا النحو (يهبط عن القاعدة) وهو يصيح في سكان سكيروس : « ابتعدوا ! » (تبتعد الجماهير) ورفعت جميع الجرذان رؤوسها مترددة ، كما يفعل الذباب . انظروا ! انظروا الى الذباب ! وفجـــأة ، لحقت الجرذان به . واختفى عازف الناي مع جرذانه الى الابد . على هذا النحو .

(يخرج ؛ ترتفي الالاهات على أثره وهي تهدر وتصيح)

(ستار)

جلسة سرّية

مسرحية في فصل واحد

الى تلك « السيدة » .

مسرحيات سارتر

الجزء الأول

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

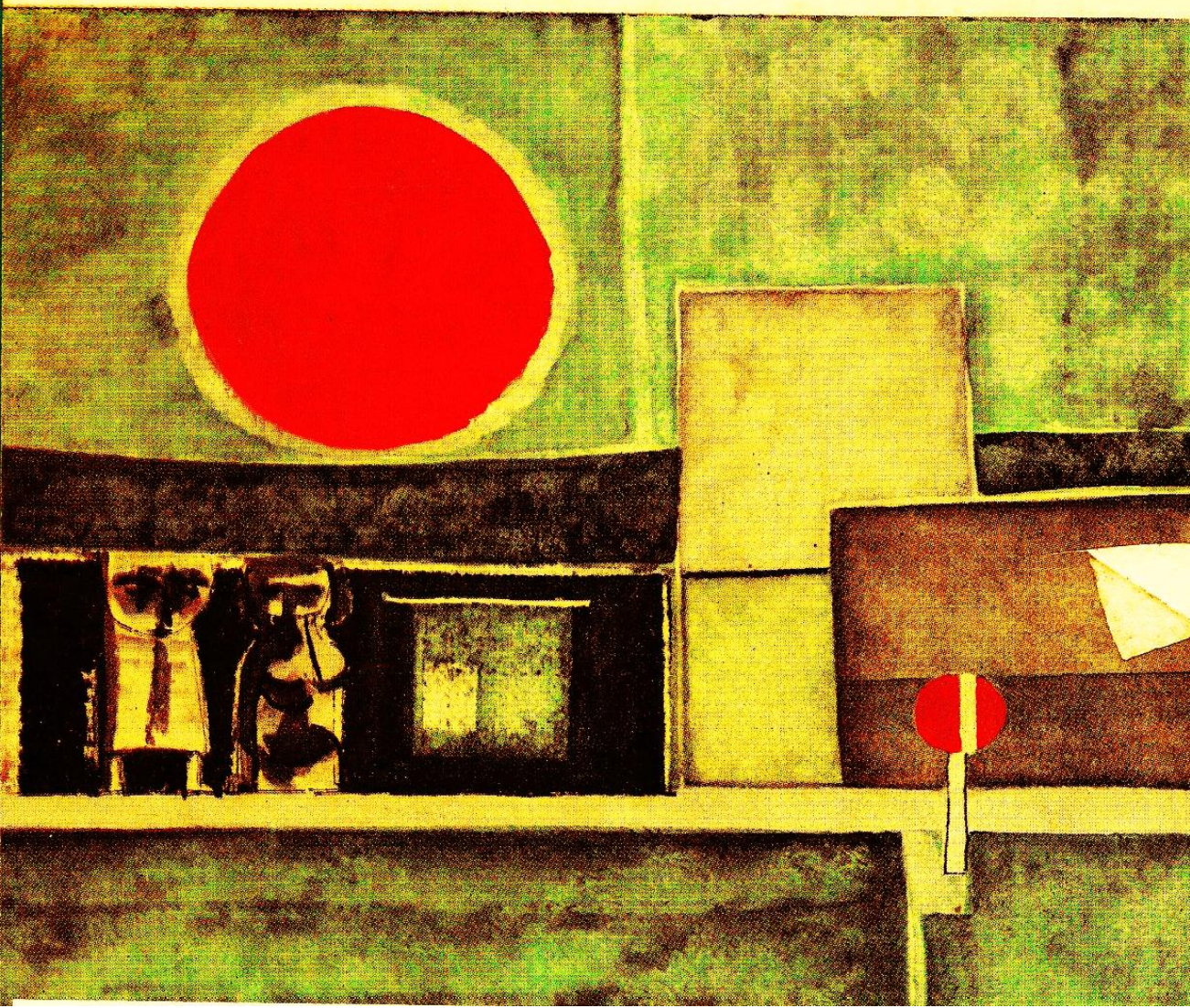

جان بول سارتر

مسرحيات

الجزء الأول

نقدها عن الفرنسية
الدكتور سهيل ادريس

منشورات دار الآداب - بيروت

الحقوق محفوظة
لـ « دار الآداب » – بيروت

الذبابُ

دراما في ثلاثة فصول

الفصل الأول

ساحة في أرغوس . تمثال لجوبيتر ، إله الذباب والموت . عينان بيضاوان ووجه ملطّخ بالدم .

المشهد الأول

(نساء عجائز مرتديات السواد يدخلن في الطواف ويسكبن الخمر أمام التمثال. أبله جالس على الأرض في الداخل . يدخل اورست والمربي ، ثم جوبيتر .)

اورست – هيه ، ايتها النساء الطيّبات !

(يلتفتن جميعاً وهن يرسلن صرخة)

المربي – هل تستطعن ان تقلن ؟ . . .

(يبصقن على الارض وهن يتراجعن خطوة .)

المربي – إسمعن انتنّ . نحن مسافران تائهان . ولا اطلب منكـــنّ إلا إرشاداً .

(تفر العجائز بينما تسقط منهن الجرار .)

المربي – يا للعجائز الحقيرات ! لـكأني حاقد على مفاتنهنّ ! آه يا سيدي، يا للرحلة اللطيفة ! كم كنتَ ملهماً بالمجيء هنا حين يكون هناك اكثر من خمسمئة

الأشخاص

جوبيتر
أورست
أجيست
المربّي
الحارس الاول
الحارس الثاني
الـكاهن الأكبر
الكتر
كليتمنستر
إلاهة يونانية
امرأة صبية
امرأة عجوز
رجال ونساء من الشعب
إلاهات ، خدم
حرس القصر

المربّي – هل تتفضل فترشدنا إلى بيت أجيست ؟

الأبله – اش !

المربّي – اجست ، ملك ارغوس .

الأبله – اش ! اش !

(يخرج جوبيتر في الداخل)

المربّي – لا حظّ لنا ! إن الوحيد الذي لا يفرّ هو أبله (يخرج جوبيتر مرة اخرى) عجباً ! لقد لحق بنا حتى هنا .

اورست – من ؟

المربّي – ذو اللحية .

اورست – انت تحلم .

المربّي – لقد رأيته يمرّ .

اورست – انت على خطأ .

المربّي – محال . انني طوال حياتي لم أر مثل هذه اللحية ، باستثناء واحدة من البرونز تزيّن وجه جوبيتر اهانو بارنوس ، في باليرمو . انظر . هوذا يمرّ ثانية . ماذا يريد منا ؟

اورست – انه مسافرٌ مثلنا .

المربّي – عجباً ! لقد التقيناه على طريق دلف . وحين أبحرنا ، في ايطيا ، كان قد بدأ يعرض لحيته على السفينة . وفي نوبلي ، ما كنّا نخطو خطوة إلاّ وعثرنا به ، وها هوذا الآن هنا . اترى يبدو لك ذلك من قبيل المصادفات ؟

(يطرد الذباب بيده) آه ! إن ذباب أرغوس يبدو لي أشدّ حفاوةً من البشر . انظر هذا ، ولكن انظر هذا ! (يشير الى عين الأبله) انها اثنتا عشرة ذبابة على عينه ، كما لو انها على قطعة حلوى ، وهو في هذه الاثناء تائه مفتون ، ويبدو كما لو انه يحب ان تمصّ عيناه . والواقع انه يخرج لك من هذين البؤبؤين مُصالة بيضاء تشبه الحليب المتخثّر (يطرد الذباب) كفى ! ايها الذباب ، كفى ! ها هي ذي تحوم حولك (يطردها) حسناً ، إنّ ذلك يعود عليك بالرضى والراحة : انت

عاصمة ، في اليونان كما في ايطاليا ، ممتلئة بالخمر الجيد والفنادق الحقيرة والشوارع الآهلة . أما هؤلاء الجبليون ، فيبدون وكأنهم لم يروا قطّ سوّاحاً : لقد سألت مئة مرة عن دربنا في هذه القرية الملعونة التي تشويها الشمس . وفي كل مكان تنطلق صيحات الذعر نفسها ، وعمليات الهرب نفسها ، والجري الاسود الثقيل في الشوارع المعمية . تفه ! تلك الشوارع الخالية ، والهواء الذي يرتعش ، وهذه الشمس ... أي شيء أشأم من الشمس ؟

اورست – لقد وُلدت هنا ...

المربي – هذا ما يبدو . ولكني لو كنت مكانك ، لما افتخرت بذلك .

اورست – لقد وُلدت، هنا وعليّ أن أسأل عن طريقي كعابر سبيل. اطرق هذا الباب !

المربّي – ماذا تأمل ؟ أن يردّوا عليك ؟ انظر اليها قليلاً ، هذه البيوت ، وحدّثني عن هيئتها . أين هي نوافذها ؟ انهنّ يفتحنها على باحات مغلقة ومظلمة جداً ، على ما أتصوّر ، ويُدرن نحو الشارع مؤخراتهن ... (حركة من اورست) حسناً . انني ادقّ الباب . ولكن بلا أمل .

(يطرق الباب . صمت . يطرق مرة اخرى ؛ يشق الباب .)

صوت – ماذا تريد ؟

المربّي – استعلام بسيط . أتعرفين أين يسكن ...

(يغلق الباب من جديد فجأة)

المربّي – إنك تستحقين الشنق ! هل انت مسرور ، يا سيد اورست ، وهل تكفيك التجربة ؟ ان باستطاعتي ، إذا شئت ، أن أدقّ جميع الأبواب .

اورست – لا . دعْك من هذا .

المربّي – عجباً ! ولكنّ هنا شخصاً . (يقترب من الابله) أيها السيد !

الأبله – اش !

المربّي – (بتحية جديدة) أيها السيد !

الأبله – اش !

الذي كنت كثيراً ما تشكو انك غريب في بلدك بالذات ، ترى هذه الحشرات تحتفل بك ، كما لو انها تتعرّفك . (يطردها) هيّا ، كفى ! حسبُنا تدفّقاً ! من اين تراها آتية ؟ انها أشدّ ضجيجاً من الطواحين ، واكبر حجماً من اليعاسيب .

جوبيتر (وكان قد اقترب) — انه ليس الا ذبابـاً سميناً بعض الشيء يقتات اللحم . إن رائحة جيفة قوية قد اجتذبته منذ خمسة عشر عاماً إلى المدينة . وهو منذ ذلك الحين يزداد سمنة . وبعد خمسة عشر عاماً سيبلغ حجم الضفادع الصغيرة .

(صمت) .

المربي — هل لنا أن نعرف بحضرة من نحن ؟

جوبيتر — ان اسمي هو ديتريوس . وانا قادم من اثينا .

اورست — أحسب أني رأيتك على السفينة ، في الخمسة عشر يوماً الأخيرة .

جوبيتر — لقد رأيتك انا أيضاً .

(صراخ فظيع في القصر) .

المربي — هيلا ! هيلا ! انني لا أفهم من هذا كلّه شيئاً ذا قيمة ، وفي رأيي ، يا معلّمي ، انه خيرٌ لنا ان نمضي .

اورست — اسكت .

جوبيتر — ليس لكما ما تخافان . ان اليوم هو عيد الموتى . وهذا الصراخ يعني بدء الاحتفال .

اورست — يبدو انك خبير جداً بشؤون ارغوس .

جوبيتر — انني غالباً ما أقصدها . وقد كنت فيها لدى عودة الملك آغاممنون حين رسا اسطول الاغريق المنتصر في حوض نوبلي . وقد كان بامكان المرء ان يلمح الاشرعة البيضاء من أعلى الأسوار . (يطرد الذباب) ولم يكن ثمة من ذباب بعد . لم تكن أرغوس الا مدينة ريفية صغيرة تعاني الضجر تحت الشمس بتناقل . وقد صعدت الى الافريز مع الآخرين ، في الايام التالية ، وتأملنا طويلاً الموكب الملكي الذي كان يسير في السهل . ومساء اليوم الثاني ، ظهرت الملكة كليتمنستر

على الأسوار بصحبة أجيست ، الملك الحالي . وقد رأى سكان أرغوس وجهيهما مورّدين بالشمس الغاربة ، ورأوهما يطلاّن من فوق الشرفات وينظران طويلاً جهة البحر ، فكان ان فكروا : « لا بدّ أن هناك شراً » ، ولكنهم لم يقولوا شيئاً . ولا بدّ أنك تعرف ان أجيست هو عشيق الملكة كليتمنستر . انه فاجرٌ كان يميل ، في تلك الفترة ، الى الكآبة . انك تبدو متعباً ؟

اورست — إنه السير الطويل الذي قمت به ، وهذه الحرارة اللعينة . ولكنك تثير اهتمامي .

جوبيتر — لقد كان آغاممنون رجلاً طيباً ، ولكنه ارتكب خطأ فادحاً لو تعلم . إنه لم يسمح بأن تُنفّذ أحكام الإعدام علناً . ويا للأسف . فان الشنق ، في الريف ، عملٌ يسلّي ويعوّد الناس قليلاً على الموت . والسكان هنا لم يقولوا شيئاً لأنهم كانوا يعانون السأم وكانوا يريدون ان يشاهدوا ميتةً عنيفة . لم يقولوا شيئاً حين رأوا ملكهم يظهر على أبواب المدينة . وحين رأوا كليتمنستر تمدّ له ذراعيها الجميلتين المعطّرتين ، لم يقولوا شيئاً . وفي تلك اللحظة كانت تكفي كلمة واحدة ، كلمة واحدة ، ولكنهم صمتوا ، وكان في رأس كل منهم صورة جثة كبيرة ذات وجه محطّم .

اورست — وانت ، ألم تقل شيئاً ؟

جوبيتر — أهذا يغضبك ايها الفتى ؟ انني مسرورٌ بذلك كل السرور ، فهذا دليل على عواطفك الطيبة . أجل ، انني لم أتكلم : فانا لست من سكان هذه المدينة ، ولم يكن ذلك مما يعنيني . واما سكان أرغوس ، فانهم حين سمعوا ملكهم في اليوم التالي يئنّ ألماً في القصر ، ظلّوا على صمتهم ، وأغمضوا جفونهم على عيونهم المهتاجة من الشهوة ، وكانت المدينة كلها أشبه بامرأة في حالة الشبق .

اورست — والقاتل يستولي على الحكم . لقد عرف خمسة عشر عاماً من السعادة . وقد كنت أحسب الآلهة عادلين .

جوبيتر — هيه ! لا تلق التبعة على الآلهة بهذه السرعة . هل العقاب واجب ابداً ؟ أليس من الافضل تحويل هذا الاضطراب لصالح النظام الخلقي ؟

اورست – وهذا ما قد فعلوه ؟

جوبيتر – لقد ارسلوا الذباب .

المربي – وماشأن الذباب بهذا ؟

جوبيتر – اوه ! إن هذا رمز . اما ما فعلوه ، فاحكم عليه من هذا : إنك ترى تلك العجوز ، هناك ، تنطنط بأرجلها القصيرة السوداء ، محاذية الجدران . إنه نموذج جميل لتلك الحشرة السوداء المسطحة التي تنغل في شقوق الجدران . انني أقفز على الحشرة ، فأقبض عليها وأحملها اليك (يقفز على العجوز ويعود بها إلى مقدم المسرح) هوذا صيدي . انظر هذه الفظاعة ! أراك تطرف بعينيك ، ومع ذلك فأنتم الآخرين معتادون على السيوف التي تحمرُّ في الشمس . انظر إلى انتفاضات السمكة هذه في طرف الصنارة . أخبريني ايتها العجوز ، لا بدّ انك قد فقدت عشرات الاود : فأنت سوداء من رأسك إلى قدميك . هيّا ، تكلمي وربما اطلقت سراحك . على من انت تلبسين الحداد ؟

العجوز – هذا لباس أرغوس .

جوبيتر – لباس أرغوس ؟ آه ! فهمت . انك تلبسين الحداد على ملكك ، ملكك المقتول .

العجوز – اصمت ! بحق الرب ، اصمت !

جوبيتر – ذلك انك لابد ، وقد بلغت هذه السنّ ، ان تكوني قد سمعت تلك الصرخات المريعة التي طافت طوال ذلك الصباح في شوارع المدينة . فماذا فعلت ؟

العجوز – كان زوجي في الحقل ، فما كان بوسعي ان افعل ؟ لقد اقفلت بابي بالمفتاح .

جوبيتر – نعم وشققت نافذتك لتسمعي على نحوٍ افضل ، وكمنت خلف الستائر ، مقطوعة النفَس ، وانت تحسّين بدغدغة غريبة في جنبيك .

العجوز – اسكت !

جوبيتر – ولا بدّ انك تلك الليلة قمت بفعل الحب على افضل وجه . كان

اليوم عيداً ، أليس كذلك ؟

العجوز – اه ! يا إلهي ... كان عيداً فظيعاً .

جوبيتر – عيد أحر لم تستطيعي دفن ذكراه .

العجوز – يا إلهي ! هل تكون ميتاً ؟

جوبيتر – ميت ! كفى ايتها المجنونة ! لا تهتمّي بما عسى أن اكون ، وخيرٌ لك أن تهتمّي بنفسك وان تكسي صفح السماء بندمك .

العجوز – آه ! انني أندم ، يا إلهي ، وليتك تعرف كم انا نادمة ، وابنتي كذلك نادمة ، وصهري يضحّي كل عام ببقرة ، وحفيدي الذي يناهز السابعة من عمره ، لقد ربّيناه في الندم : إنه عاقل كالصورة ، شديد الشقرة ، وهو ممتلىء بشعور خطيئته الأصلية .

جوبيتر – حسناً ، اذهبي ، ايتها العجوز القذرة ، وحاولي ان تموتي في الندم . إن هذه هي فرصتك الوحيدة للخلاص (تفر العجوز) إما انني ، يا سادتي ، على خطأ فادح ، وإما أن هذه تقوى ، على الطريقة القديمة ، قائمة على الإرهاب .

اورست – أي رجل تكون ؟

جوبيتر – من يهتمّ بي ؟ كنا نتحدث عن الآلهة . حسناً ، أكان ينبغي صرع أجيست ؟

اورست – كان ينبغي ... آه ! لا أدري ماذا كان ينبغي ، وأنا أسخر من ذلك ، فانا لست من هنا . وهل أجيست نادم ؟

جوبيتر – أجيست ؟ إن ذلك يدهشني لو حدث . ولكن ما يهمّ . إن مدينةً برمّتها نادمةٌ من أجله . والندم شيءٌ يُحسَب بالوزن (صراخ فظيع في القصر) اسمع ! حتى لا ينسوا أبداً صراخ احتضار ملكهم . فقد اختير بقارٌ ذو صوت قوي ليصيح هكذا ، في كل ذكرى سنوية ، في قاعة القصر الكبرى (يقوم اورست بحركة اشمئزاز) ولكن هذا ليس بشيء ؛ فما عساك تقول عما قليل حين يُطلَقُ الموتى ؟ لقد اغتيل آغا ممنون منذ خمسة عشر عاماً تماماً . آه ! وكم قد

تغيّر منذ ذلك الحين شعب ارغوس الخفيف ، وما اقربه الآن من قلبي !

اورست – من قلبك ؟

جوبيتر – دعك من هذا ، دعك ، ايها الفتى . كنت أحدّث نفسي . كان عليّ ان اقول : ما اقربه من قلب الآلهة .

اورست – حقاً ؟ جدران ملطخة بالدم ، وملايين من الذباب ، ورائحة مجزرة ، وحرارة حشرات ، وشوارع مقفرة ، ورب ذو وجه مسحوق ، وبقايا مذعورة تضرب صدورها في جوف بيوتها – وهذا الصراخ ، هذا الصراخ الذي لا يطاق : أهذا ما يروق لجوبيتر ؟

جوبيتر – آه ! لا تحكم على الآلهة ، ايها الفتى ، إن لهم أسراراً مؤلمة .

(صمت)

اورست – لقد كان لآغا ممنون ابنة ، أليس كذلك ؟ ابنة تحمل اسم الكترا؟

جوبيتر – نعم . انها تعيش هنا . في قصر أجيست الذي تراه هنا .

اورست – آه ! هذا قصر أجيست ؟ وما رأي الكترا بهذا كله ؟

جوبيتر – انها ما تزال صغيرة . ثم إن هناك ابناً ايضاً ، يدعى اورست . ويقال انه قد مات .

اورست – مات ! عجباً ...

المربي – أجل ، يا معلمي ، انت تعلم جيداً انه مات . وقد روى لنا سكان نوبلي أن أجيست كان قد أصدر أمره بقتله، بعد فترة قصيرة من موت آغاممنون.

جوبيتر – لقد ادّعى البعض انه كان على قيد الحياة ، وأنّ من كانوا يدفنون قتله قد أخذتهم الشفقة عليه فتركوه في الغابة . ويقال إن بعض الرعاة اثنينا البورجوازيين قد التقطوه وربّوه . اما انا ، فأتمنّى أن يكون قد مات .

اورست – ولماذا ، من فضلك ؟

جوبيتر – تصوّر أن يَمثُل ذات يوم على ابواب هذه المدينة ...

اورست – وإذن ؟

جوبيتر – عجباً ! إذا التقيته فسأناديه ايها الفتى، لأنه في سنّك، تقريباً،

إن كان يعيش . وبالمناسبة ، هل تقول لي اسمك يا سيدي ؟

اورست – اسمي « فيلاب » وانا من كورنثيا . انني اقوم برحلة للتثقف ، يصحبني عبدٌ كان مؤدّبي .

جوبيتر – حسناً . في هذه الحالة سأقول اذن : « إمضِ ، ايها الشاب ! فمّ تبحث هنا ؟ إنك تريد أن تحقق حقوقك ؟ إنك قويّ نشيط ، وانت تصلح لتكون نقيباً في جيشٍ مقاتل ، وان امامك عملاً أفضل من أن تحكم مدينة نصف ميتة . جثة مدينة يعذّبها الذباب . إن السكان هناك هم خطاةٌ كبار ، ولكنهم يسلكون الآن درب التوبة . فدعهم ايها الفتى ، دعهم ، واحترم مشروعهم المؤلم ، وابتعد على رؤوس أصابعك . إنك لن تستطيع أن تشاطرهم ندمهم ، لأنك لم تشترك في جريمتهم ، وبراءتك الوقحة تفصلك عنهم كحفرة عميقة . إذهب من هنا إن كنت تحبّهم قليلاً . إمضِ عنهم ، لأنك ستفقدهم : فيكفي أن توقفهم في الطريق ، وان تصرفهم ، ولو لحظة ، عن ندمهم ، حتى تتسمّر عليهم خطيئاتهم جميعاً كالشحم البارد. إن ضميرهم يبكتهم وهم خائفون، وللخوف وتبكيت الضمير رائحة لذيذة لأنوف الآلهة . أجل ، انهم يروقون الآلهة ، هذه النفوس التي تثير الشفقة . فهل تريد أن تنزع عنهم الحظوة الإلهية ؟ وماذا تعطيهم بديلاً عنها ؟ ألواناً من الطعام السهل الهضم وأمن الأرياف الضجر والسأم ، آه ، سأم السعادة اليومي . رحلة سعيدة ، ايها الفتى ، رحلة سعيدة ؛ إن نظام المدينة ونظام النفوس غير ثابتين : فاذا لمستها ، أحدثتَ كارثة . (ناظراً اليه في عينيه) كارثة هائلة ترتدّ عليك .

اورست – حقاً ؟ أهذا ما كنت تقوله ؟ حسناً ، إن كنت انا هذا الفتى ، فسأجيبك ... (يتبادلان النظر ؛ يسعل المربي) انني لا أعرف ما الذي سأردّ عليك به . فلعلّك على حق ، وانا لا شأن لي بهذا .

جوبيتر – هذا أفضل . وأتمنّى ان يكون اورست ايضاً عاقلاً على هذا النحو . هيّا ، السلام عليك ! يجب أن أنصرف إلى أعمالي .

اورست – السلام عليك .

جوبيتر – بالمناسبة ، إن كان هذا الذباب يزعجك ، فاليك الطريقة التي تتخلص بها منه : انني اكوّر قبضتي ، وارفع ذراعي قائلاً : « ابراكسا ، غالا ، غالا ، تسي ، تسي . » وانظر الآن : ها هوذا يتدحرج ويأخذ يزحف على الأرض كالدود .

اورست – بفضل جوبيتر !

جوبيتر – ليس هذا بذي شأن . إنه موهبة إجتماعية صغيرة . انني في اوقات فراغي ساحر الذباب . سلاماً . سوف اراك ثانية .

(يخرج)

المشهد الثاني

اورست – المربّي

المربي – حذار . إن هذا الرجل يعرف من أنت .

اورست – أهو رجل ؟

المربي – آه ! كم انت تتعبني يا معلّمي ! ماذا تفعل إذن بدروسي وبنزعة الشك الباسم التي أعلّمك إياها ؟ « أهو رجل ؟ » عجباً ، ليس ثمة الا رجال ، وهذا ما يكفي . إن صاحب اللحية هذا رجل ، جاسوس لأجيست .

اورست – دعني من فلسفتك . فقد أصابني منها أذى بليغ .

المربي – أذى ! أيكون منح الناس حريتهم الفكرية ايذاءً لهم ؟ اه ! كم قد تغيرّت ! كنت فيما مضى أقرأ فيك ... أتقول لي اخيراً ما الذي تنويه ؟ لماذا قُدتني إلى هنا ؟ وماذا تريد أن تفعل ؟

اورست – وهل قلتُ لك إن عندي شيئاً اريد أن أفعله هنا ؟ كفى ، اسكت . (يقترب من القصر) هوذا «قصري». هنا وُلد أبي، وهنا اغتالته مومس وعشيقها . وقد وُلدت انا ايضاً فيه . وكنت في الثالثة من عمري حين أخذني جنود أجيست المرتزقة . وقد مررنا بلاشك من هذا الباب ؛ كان أحدهم يحملني بين ذراعيه ، وكانت عيناي مفتوحتين على سعتهما ، ولا شك في اني كنت أبكي... آه ! ليس ثمة من ذكرى ؟ انني ارى بناءً كبيراً أبكم منتصباً بأبهّته الريفية . « أراه » للمرة الاولى .

المربي – ليس من ذكرى ، ايها المعلم العاقّ ، في حين اني كرّست عشرة اعوام من حياتي وانا اعطيك الذكريات ؟ وجميع هذه الرحلات التي قمنا بها ؟ وتلك المدن التي زرناها ؟ ودروس علم الآثار تلك التي كنت ألقيها عليك وحدك ؟ ليس من ذكرى ؟ لقد كان ثمة كثير من القصور والمعابد التي تعمر ذاكرتك ، حتى انه كان بوسعك ، كالعالم الجغرافي بوسانياس ، ان تؤلّف دليلاً لليونان .

اورست – قصور ! هذا صحيح . قصور واعمدة وتماثيل ! لماذا لا اكون اكثر ثقلا ، انا الذي أحمل في رأسي هذه الصخور الكثيرة ؟ والدرجات الثلاثمئة والسبع والثمانون في معبد « افيز » لماذا لا تتكلم عنها ؟ لقد رقيتها درجة درجة، واني لأتذكرها جميعها . واظنّ ان السابعة عشرة منها كانت مكسورة . آه ! إن كلباً ، كلباً عجوزاً يتدفأ ، مستلقياً قرب موقد ، وينهض قليلاً لدى دخول سيّده، وهو يمنّ بعذوبة ليحييّه، إن كلباً كهذا يملك ذاكرة اقوى من ذاكرتي . إنه يتعرّف معلّمه . معلّمه هو . وماذا لي أنا ؟

المربي – ماذا تصنع بالثقافة ، يا سيدي ؟ إنها لك ، ثقافتك ، ولقد نظّمتها لك في حبّ ، كباقة ورد ، جامعاً فيها ثمار حكمتي وكنوز خبرتي . ألم أجعلك تقرأ ، في وقت مبكر ، جميع الكتب لأعوّدك على تنوّع الآراء البشرية ، وأجتاز بك مئة حالة مدللاً لك في كل ظرف كم هي متقلّبة أخلاق الناس ؟ هأنت ذا الآن شاب غنيّ وجميل ، حكيم كالشيوخ ، متحرّر من جميع الوان العبودية والمعتقدات ، بلا اسرة ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، حرّ أمام جميع الالتزامات، ومدركٌ انه ينبغي ألاّ تلتزم أبداً ، انسانٌ أعلى بالاختصار، قادر بالاضافة إلى ذلك على تدريس الفلسفة او علم الآثار في مدينة جامعية كبيرة ، وانت مع ذلك تشكو !

اورست – لا : انني لا أشكو . لا أستطيع ان أشكو : لقد تركت لي حرية هذه الخيوط التي تنتزعها الريح من نسيج العنكبوت والتي تتطاير على ارتفاع عشرة اقدام من الأرض ؛ انني لا أزن اكثر مما يزن الخيط ، وأعيش في

الهواء . وانا أعلم ان هذا حظّ ، وأقدره حق قدره (فترة) إن هناك أشخاصاً يولدون ملازمين : ليس لهم الخيار ، فقد ألقوا في درب ، وفي آخر الدرب عملٌ ينتظرهم ، هو « عملهم » ؛ إنهم يمضون ، واقدامهم العارية تضغط بقوة على الأرض وتتجرّح بالحصى . أفتبدو لك مبتذلة ، انت ، فرحة ان يذهب المرء الى جهة ما ؟ وهناك آخرون ، صموتون ، يحسّون في أعماق قلوبهم ثقل الصور الأرضية المعتكرة ؛ لقد تغيّرت حياتهم لأنّه في يوم من طفولتهم ، حين كانوا في الخامسة ، او السابعة ... حسناً : انهم ليسوا بشراً أغلبيّن . لقد كنت بدأت ادرك ، وانا في السابعة ، اني كنت منفياً ؛ ان الروائح والأصوات ، ونقر المطر على السقوف ، وارتعاشات النور – كنت اترك ذلك كلّه ينزلق على جسمي ويسقط حولي ؛ كنت اعرف انها تخصّ الآخرين ، واني لن أستطيع ابداً ان أجعل منها ذكرياتي . ذلك ان الذكريات أغذية ٌ دسمة لمن يملك البيوت والماشية والخدم والحقول . اما أنا ... فاني حرّ ، والحمدلله . آه ! كم انا حرّ . وأية غيبة رائعة هي روحي . (يقترب من القصر) كان المفروض ان أعيش هنا . وما كان لي أن اقرأ اي كتاب من كتبك ، بل ربما لم اكن احسن القراءة : فمن النادر ان يعرف أمير القراءة . ولكني كنت سأدخل من هذا الباب وأخرج عشرة آلاف مرة . وكنت وانا صبيّ سألعب بمصراعيه ، وأتكوّر عندهما ، فيصرّان من غير ان ينفتحا ، وتعرف ذراعاي درجة مقاومتهما . وفيما بعد ، كنت سأدفعهما ليلاً ، خفيةً ، لأذهب إلى لقاء الفتيات . وفيما بعد ايضاً ، يوم بلوغي سنّ الرشد ، كان العبيد سيفتحون الباب على سعته فأجتاز عتبته ممتطياً ظهر الجواد . يا لبابي الخشبيّ القديم ! كنت سأعرف موضع قفلك ، وانا مغمض العينين . وذلك الخدش ، هناك في الأسفل ، ربما كنت انا الذي أحدثته ، بحركة خرقاء ، في اليوم الاول الذي سلّموني فيه سهماً . (يبتعد) طراز دوريدي ، أليس صحيحاً؟ وما رأيك بالنقوش الذهبية؟ لقد رأيت شبيهها في « دودون » : إنه فنّ دقيق . هيّا ، انني سأسرّك : ليس هذا قصري ، ولا بابي . وليس لنا ما نفعله هنا .

المربّي – هأنت ذا تعود إلى رشدك . ما كنت ستربح لو عشت فيه ؟ إن روحك ، في هذا الوضع الذي هو فيه ، كانت تكون تحت إرهاب ندمٍ كريه .

اورست (في انفجار) – كان يكون لي على الأقلّ . وهذه الحرارة التي تلقي الاحمرار على شعري، كانت تكون لي. ولي طنين هذا الذباب. وفي هذه الساعة، كنتُ أكون عارياً في غرفة معتمة بالقصر ، أراقب من شق مصراع لون النور الأحمر ، وانتظر ان تغيب الشمس وان يرتفع من الأرض ظلٌّ نديّ لأمسية من اماسي ارغوس ، كأنه الرائحة ، شبيهة بمئة الف امسية اخرى، وجديدة دائماً، ظلّ امسية يخصّني أنا . لنمضِ ايها المربّي ؛ اتراك لا تدرك اننا ننتن في حرارة الآخرين ؟

المربي – آه ! كم تطمئنني يا سيّدي ! انني كنت اراك في هـــذه الأشهر الأخيرة – وبكلمة أدقّ منذ ان كشفت لك سرّ مولدك – تتغيّر يوماً فيوماً ، وكنت أكفُّ عن النوم . كنت أخشى ...

اورست – ماذا ؟

المربّي – ولكنك ستغضب .

اورست – لا ! تكلّم .

المربي – كنت أخشى – إن المـــرء يجهد في ألاّ ينساق مبكراً للسخرية الارتيابية . ولكن تأتيـه احياناً افكارٌ بليدة – وبالاختصار ، كنت اتساءل ألا تنوي ان تطرد أجيست وتحلّ محله ؟

اورست (على مهل) – أطرد أجيست ؟ (فترة) يوسعك ان تطمئن ايها الرجل الطيب ، فلقد فات الاوان . إن الرغبة لا تنقضي في أن أقبض على لحية هـــذا الماجن السكرستي وان انتزعه من على عرش ابي. ولكن ماذا ؟ ماذا أفعل بهؤلاء الناس ؟ انني لم أشهد مولد واحدٍ من اولادهم ، ولم أحضر عرس بناتهم ، وانا لا أشاطرهم ندمهم، ولا أعرف اسماً من اسمائهم . إن الحقّ هو صاحب اللحية : ان على الملك ان تكون له ذكريات رعاياه نفسها . لنتركهم ، يا صاحبي . ولنمض . على رؤوس اصابعنا . آه ! ليت هناك عملٌ يمنحني حق المواطنية بينهم ؛ ليتني

كنت أستطيع ان استولى ، حتى ولو بجريمة ، على ذكرياتهم وذعرهم وآمالهم لأملأ فراغ قلبي ، ولو وجب عليّ ان أقتل امي بالذات ...

المربّي – سيدي !

اورست – أجل . انها احلام وخيالات . لنذهب . انظر ان كان بالامكان ان نحصل على جوادين ، لنمضِ حتى اسبرطة ، حيث لي أصدقاء .

(تدخل الكتر) .

المشهد الثالث

اورست ، المربي ، الكتر

الكتر (حاملة صندوقاً ، مقتربة من تمثال جوبيتر من غير ان تراهما) — قذارة ! انك تستطيع ان تنظر إليّ ، هيّا ، بعينيك المستديرتين في وجهك الملطّخ بعصير الفرز ، فانت لا تخيفني . قل لي ، لقد جاءت هذا الصباح النساء القديسات ، العجائز اللابسات السواد . ولقد صفقن نعالهن الضخمة حولك . وقد كنتَ مسروراً ، أيّها الفزّاعة ، فأنت تحبهنّ ، هاتيك العجائز ؛ إن حبك يزداد لهنّ ما ازددن شبهاً بالأموات . لقد أرقن على قدميك أغلى خمورهن ، لأن هذا هو عيدك ، وكانت تجشّؤات عفنة تصعد إلى أنفك من تنانيرهن ؛ وما يزال منخراك مدغدغيْن بذلك العطر اللذيذ (تحتك به) حسناً ، شُمّني الآن ، شُمّ رائحة لحمي الندي . انني صبيّة أنا ، انني حيّة ، ولا بدّ ان ذلك يثير لديك الاشمئزاز . وانا ايضاً ، قدمت أهبك عطاياي ، والمدينة كلّها تصلّي . عجباً : هذه قشور ، ورماد الموقد كلّه ، وقطع من اللحم ينغل فيها الدود ، وكسرة خبز ملطخة ، لم تُغفر خنازيرنا ، فهي تحبّ هذا ، ذبابك . عيداً سعيداً ، عيداً سعيداً ، ولتتمنّ ان يكون آخر عيد . انني لست قوية جداً . ولا أستطيع ان أسقطك إلى الأرض . ولكني أستطيع ان أبصق عليك ، هذا كل ما أستطيعه . ولكنه سيأتي ، ذلك الذي انتظره ، مع سيفه الكبير وسينظر اليك مقهقهاً ،

هكذا ، ويداه على خاصرتيه ، ورأسه منقلب الى خلف . ثم يستلّ حسامه فيشقّك من أعلى إلى أسفل ، هكذا ! واذ ذاك سيتدحرج نصفا جوبيتر ، الاول إلى اليسار ، والثاني إلى اليمين ، وسيرى الجميع انه من الخشب الأبيض . اما الإشمئزاز والدم على الوجه ، والحضرة المعتمة في العينين ، فليس ذلك كله الا طلاءٌ ، أليس هذا صحيحاً ؟ وانت تعلم انك في الداخل ابيض كل البياض ، ابيض كجسم طفل رضيع ؛ انت تعلم ان ضربة سيف ستشقّك شقاً ، ولن تستطيع حتى ان تنزف . خشب ابيض ! خشب جيّد أبيض : يحترق جيداً . (تلمح اورست) آه !

اورست — لا تخافي .

الكتر — لست خائفة . لست خائفة على الاطلاق . من أنت ؟

اورست — غريب

الكتر — أهلاً بك . ان كل ما هو غريب عن هذه المدينة أثيرٌ لديّ . ما اسمك ؟

اورست — اسمي « فيلاب » وانا من « كورنثيا » .

الكتر — آه ؟ من كورنثيا ؟ اما انا ، فيسمونني الكتر .

اورست — الكتر (للمربي) دعنا وحدنا .

(يخرج المربي)

المشهد الرابع

أورست – الكتر

الكتر – لماذا تنظر إليّ هكذا ؟

اورست – انت جميلة . انك لا تشبهين سكان هذه المدينة .

الكتر – جميلة ؟ انت واثق من اني جميلة ؟ في مثل جمال فتيات كورنثيا ؟

اورست – نعم .

الكتر – اني لا اسمع احداً هنا يقول لي ذلك . انهم لا يريدون ان أعرف هذا . وماعسى ذلك ان يجديني ، حقاً ؟ انني لست الا خادمة .

اورست – خادمة ؟ انت ؟

الكتر – آخر الخادمات . انني أغسل ثياب الملك والملكة . وهي ثياب قذرة ملآى بالاوساخ . كل ملابسهم الداخلية ، القمصان التي سربلت جسمها الفاسدين ، والثوب الذي ترتديه كليتمنسترا حين يقاسمها الملك الفراش : يجب أن أغسل هذا كلّه . انني أُغمض عيني ، وأدْعَك بكل قواي . واغسل الصحون . كذلك . ألا تصدقني ؟ انظر إلى يديّ . إن فيهما جروحاً وشقوقاً ، اليس كذلك؟ ما أغرب نظراتك ! اتكون يداي شبيهتين بأيدي الاميرات ؟

اورست – يا لليدين المسكينتين ! لا . انهما لا تشبهان ايدي الاميرات . ولكن تابعي . لأيّ شيء يستخدمانك ايضاً ؟

الكتر – إنّ عليّ كل صباح أن افرغ القمامة . فانا أجرّها خارج القصر ثم .. لقد رأيتَ ماذا أفعلُ بها ، تلك القذارات . أن صاحبنا الخشيّ هذا هو جوبيتر ملك الموت والذباب . ومنذ ايام ، قَدِم الكاهن الاكبر الذي يأتي ليقدّم له آيات التبجيل ، فمشى على بقايا الملفوف والجزر وعلى قشور الصَدَف . وقد حسب انه سيضيع رشده . قلْ لي هل تراك ستشي بي ؟

اورست – لا .

الكتر – شرِ بي ان اردت ، فانا لا أبالي بذلك . ماذا يستطيعون ان يفعلوا بي اكثر من ذلك ؟ ان يضربوني ؟ لقد سبق ان ضربوني . ان يسجنوني في برج كبير ، هناك فوق ؟ إن هذه لن تكون فكرة سيئة ، فأنا لن ارى في هذه الحالة وجوههم تصوّر انهم ، حين افرغ من عملي في المساء ، يكافئونني : يجب ان اقترب من امرأة سمينة وطويلة ذات شعر مصبوغ . إن لها شفتين منتفختين ويدين شديدتي البياض ، يدي ملكة تنبعث منها رائحة العسل . وهي تضع يديها على كتفيّ ، وتلصق شفتيها على جبيني وتقول : « مساء الخير ، يا الكتر » كل مساء . انني أحسُّ هذا اللحم الحارّ الريان يعيش على بشرتي كل مساء . ولكني اتماسك ، وانا لم اسقط يوماً . انها امي ، لو تعلم . فاذا كنت في البرج ، فانها لن تقبلّني بعد .

اورست – الم تفكري قطّ بأن تفرّي ؟

الكتر – انني لا أملك هذه الجرأة : فسيأخذني الخوف وحدي ، على الطرقات .

اورست – أليست لك صديقة تستطيع أن ترافقك ؟

الكتر – لا ، ليس لي إلاّي . انني وبأ ، طاعون : وهذا ما سوف يقوله لك الناس هنا . ليس لي من صديقات .

اورست – ماذا ، حتى ولا مُرضع ، امرأة عجوز شهدت مولدك ، وهي تحبك قليلاً ؟

الكتر – حتى ولا هذا . إسأل أمي : انني سأثبّط حتى أرقّ القلوب .

اورست – وستبقين هنا طوال حياتك ؟

الكتر (في صرخة) – آه ! لا طوال حياتي ! كلا ؛ اسمع ! انني انتظر شيئاً.

اورست – شيئاً ام أحداً ؟

الكتر – لن اقول لك هذا . بل تحدّث انت . انك انت ايضاً جميل . هل انت باقٍ مدة طويلة ؟

اورست – كان المفروض ان أذهب اليوم بالذات . اما الآن ...

الكتر – الآن ؟

اورست – لا أدري بعد .

الكتر – أهي مدينة جميلة ، كورنتيا ؟

اورست – جميلة جداً .

الكتر – هل تحبّها كثيراً ؟ وهل انت فخور بها ؟

اورست – نعم .

الكتر – سيبدو لي غريباً ان اكون انا فخوراً بسقط رأسي . إشرح لي .

اورست – الحق ... لست ادري . انني لا أستطيع ان أشرح لك .

الكتر – لا **تستطيع** ؟ (فترة) أصحيح أن في كورنتيا ساحات مظلّلة ؟ ساحات يتنزّه فيها الناس مساءً ؟

اورست – صحيح .

الكتر – وجميع الناس في الخارج ؟ الجميع ينتزهون ؟

اورست – الجميع .

الكتر – الفتيان مع الفتيات ؟

اورست – الفتيان مع الفتيات .

الكتر – ولديهم دائماً ما يتبادلون قوله ؟ وتروق للبعض صحبة الآخرين ؟ وهم يُسَمعون ، في ساعة متأخرة من الليل ، يتضاحكون ؟

اورست – نعم .

الكتر – انني ابدو لك ساذجة ؟ ذلك اني اعاني مشقّة كبيرة في تصوّر

النزهات والاغاني والبسمات . إن الخوف يأكلّ الناس هنا . وأنا ...

اورست – انت ؟

الكتر – يتأكلني الحقد . وما الذي يفعلنه طوال النهار ، فتيات كورنتيا ؟

اورست – انهنّ يتزينّ ، ثم يغنيّن او يعزفن على المزاهر ، ثم يزرن صديقاتهن . وفي المساء يذهبن الى المرقص .

الكتر – وليس لديهنّ ايّ همّ ؟

اورست – إن لهن هموماً صغيرة جداً .

الكتر – آه ؟ اسمعني : هل يعاني سكان كورنتيا الندم ؟

اورست – احياناً ، لا غالباً .

الكتر – انهم اذن يفعلون ما يريدون ، ثم لا يفكرون بعد ذلك بشيء ؟

اورست – هو ذلك .

الكتر – هذا غريب (فترة) قل لي هذا ايضاً ، لأني محتاجة إلى معرفته بسبب شخص مـا ... شخص أنتظره : افرض أن فتى من كورنتيا ، فتى من اولئك الذين يضحكون مساء مع الفتيات ، يعود من رحـلة فيجد اباه مقتولاً ، وأمّه في سرير القاتل ، واخته في العبودية ، أتراه سيمضي مطمئناً ، فتى كورنتيا ؟ هل يعود القهقري ، وهو يقوم بالحناءات الاحترام ، باحثاً عـن التعازي بالقرب من صديقاته ؟ ام تراه سيُخرج سيفه ، وينقضّ على القاتل حتى يحطّم رأسه ؟ ألا تجيب ؟

اورست – لا ادري .

الكتر – كيف ؟ لا تدري ؟

صوت كليتمنستر – الكتر .

الكتر – هُس .

اورست – ماذا هناك ؟

الكتر – انها امي ، الملكة كليتمنستر .

المشهد الخامس

اورست - الكتر - كليتمنستر

الكتر – ماذا يا فيلاب ؟ انها تخيفك إذن ؟

اورست – ذلك الوجه ، حاولت مئة مرة ان أتصوّره ، وكنت قد توصلت الى ان أراه ، متعباً ورخواً تحت بهرة المساحيق . ولكني لم أكن انتظر هاتين العينين الميتتين .

كليتمنستر – الكتر ، إن الملك يأمرك ان تتأهبي للحفلة . إلبسي ثوبك الاسود ومجوهراتك . ولكن ماذا ؟ ماذا تعني هاتان العينان المنخفضتان ؟ إنك تشدّين مرفقيك على خاصرتيك الهزيلتين ، وان جسمك يربكك ... إنك غالباً هكذا في حضرتي ؛ ولكني لن أؤخذ بعدُ بهذا التهريج : فمنذ لحظات ، رأيت من النافذة الكتراً اخرى ، ذات حركات واسعة ، وعينين مليئتين بالنار ... فهل تنظرين لي مواجهة ؟ هل تجيبينني ، في آخر المطاف ؟

الكتر – هل انت بحاجة الى غاسلة لصحون المطبخ لكي تُعلي من قيمة عيدك ؟

كليتمنستر – كفى تمثيلاً . انت اميرة يا الكتر ، والشعب ينتظرك ، ككل عام .

الكتر – هل انا حقاً أميرة ؟ وانت تتذكرين ذلك مرة في العام ، حين يطلب الشعب لوحة عن حياتنا العائلية من أجل تقواه ؟ يا للأميرة الجميلة التي

تغسل الصحون وتحرس الخنازير ! أترى أجيست سيحيط كتفيّ بذراعه ، كالعام الماضي ، ويبتسم قرب خدّي وهو يتمتم في أذني كلمات تهديد ؟

كليتمنستر – يتوقّف عليك ان يكون الأمر مختلفاً .

الكتر – نعم ، اذا تركت لعدوى ندمك ان تصيبني ، وطلبت صفح الآلهة لجرم لم أرتكبه . نعم ، اذا قبّلت يدي أجيست وانا أدعوه أبي تفه ! إن تحت أظافره دماً مجمّداً !

كليتمنستر – افعلي ما تشائين . لقد انقضى وقت طويل على امتناعي عن اعطائك اوامر باسمي . انما نقلت لك أوامر الملك .

الكتر – ما الذي أفعله بأوامر أجيست ؟ انه زوجك ، يا امي ، زوجك العزيز جداً ، لا زوجي .

كليتمنستر – ليس لديّ ما أقوله لك يا الكتر . فأنا أرى انك تسعين الى هلاكك والى هلاكنا . ولكن كيف لي أن أنصحك ، انا التي هدمت حياتي في صباح واحد ؟ انك حاقدة عليّ يا ابنتي ، ولكن ما يزيدني قلقاً هو انك تشبهينني : لقد كان لي هذا الوجه الطويل ، وذلك الدم القلق ، وهاتان العينان الكتومان – ولم يخرج من ذلك كله شيء حسن .

الكتر – انني لا اريد ان أشبهك ! قل لي يا فيلاب ، انت الذي تراانا نحن الاثنتين ، احدانا قرب الاخرى ، ليس صحيحاً انني أشبهها ؟

اورست – ماذا أقول ؟ ان وجهها يبدو حقلاً خربته الصاعقة والبَرَد . ولكن على وجهك ما يشبه الوعد بالعاصفة : ولسوف يحرقه الهوس يوماً حتى العظم .

الكتر – وعد بالعاصفة ؟ ليكن . انني أقبل هذا الشَبَه . فليكن ما تقوله صحيحاً !

كليتمنستر – وانت ؟ انت الذي تستطلع وجوه الناس على هذا النحو ، من تراك تكون ؟ دعني أنظر اليك بدوري . وما الذي تفعله هنا ؟

الكتر (بجيوبة) – انه كورنتي يُدعى فيلاب . وهو في سفر .

كليتمنستر – فيلاب ؟ آه !

الكتر – كان يبدو انك تخافين اسماً آخر ؟

كليتمنستر – أخاف ؟ لئن ربحت شيئاً في فقد نفسي ، فهو اني لا يمكن بعدُ أن أخشى شيئاً الآن . اقترب ، ايها الغريب ، وأهلاً بك . ما أفتاك ! فكم تبلغ من العمر ؟

اورست – ثمانية عشر عاماً .

كليتمنستر – وهل والداك على قيد الحياة ؟

اورست – لقد مات أبي .

كليتمنستر – وامك ؟ ربما كانت في مثل عمري تقريباً ؟ ألا تجيب ؟ يبدو انها أصغر مني بلا شك ، وهي ما تزال تستطيع ان تضحك وتغنّي بصحبتك . هل تحبّها ؟ ولكن أجب ! لماذا تركتها ؟

اورست – اني ذاهب الى سبارطة لأنخرط في جيش المرتزقة .

كليتمنستر – ان المسافرين يقومون عادة بسلوك طريق منحرفة عشرين ميلاً ليتجنّبوا المرور بمدينتنا . أتراهم لم يُطلعوك على ذلك ؟ إن سكان السهول قد وضعونا في الحجر : فهم ينظرون الى ندمنا كما لو انه الطاعون ، وهم يخافون ان تصيبهم العدوى .

اورست – أعرف ذلك .

كليتمنستر – أفالوا لك إن جريمة لا تغتفر ، ارتكبت منذ خمسة عشر عاماً ، كانت تسحقنا ؟

اورست – قالوا لي ذلك .

كليتمنستر – وان الملكة كليتمنستر كانت أشد الجميع اجراماً ؟ وان اسمها كان ملعوناً بين الجميع ؟

اورست – قالوا لي ذلك .

كليتمنستر – ومع ذلك فقد أتيت ؟ ايها الغريب ، انا الملكة كليتمنستر .

الكتر – لا تأخذك الشفقة يا فيلاب ، فالملكة تتسلى بلعبتنا الوطنية : لعبة

الاعترافات العلنية . . ان كل فرد هنا يصرخ بآثامه في وجه الجميع ؛ وليس من النادر ، في ايام الأعياد ، ان يُرى تاجر ، بعد ان يكون قد أسدل ستار حانوته الحديدي ، وهو يجرّ نفسه على ركبتيه في الشوارع ، ويدلك شعره بالغبار ويهدر بأنه قاتل ، او زانٍ ، او مخالف واجباته . ولكن سكان ارغوس بدأوا يسأمون : ان كل فرد يحفظ عن ظهر قلب جرائم الآخرين ؛ وجرائم الملكة بصورة خاصة لا تسلّي أحداً ، بعد ، انها جرائم رسمية ، جرائم تأسيسية ، اذا صح التعبير . وانا اترك لك ان تقدر فرحتها حين رأتك شاباً فتياً ، جديداً ، جاهلاً حتى اسمها : اية فرصة استثنائية ! انه يبدو لها أنها تعارف المرة الاولى .

كليتمنستر – اسكتي . إن بوسع كل شخص ان يبصق في وجهي ، منادياً اياي بالمجرمة او المومس . ولكن لا يحق لأحد ان يحكم على ندمي .

الكتر – اترى يا فيلاب : انها قاعدة اللعبة . إن الناس يبتهلون اليك لكي تدينهم . ولكن حذار أن تحكم عليهم بالاخطاء التي يعترفون بها فقط : ان الاخطاء الاخرى لا تعني أحداً ، وسيسوءهم ان تكتشفها

كليتمنستر – كنت منذ خمسة عشر عاماً اجمل امرأة في اليونان . فانظر إلى وجهي واحكم كم عانيت . انني اقول لك بلا طلاء : ليس موت التيس المجوز هو ما آسف عليه ؛ فاني حين رأيته ينزف في مغطسه ، غنيّت فرحاً ورقصت . واليوم ايضاً ، بعد انقضاء خمسة عشر عاماً ، لا افكر بذلك من غير رعشة لذة . ولكن كان لي ابن – كان يكون في مثل سنّك . وحين سلّمه أجيست للجنود المرتزقة ، كنت . . .

الكتر – لقد كانت لك ايضاً بنتٌ يا أمّي ، كما يخيّل إليّ . وقد جعلت منها غسّالة صحون . ولكن هذه الخطيئة لا تُبرمك كثيراً .

كليتمنستر – انت فتيّة يا الكتر . لقد كان بوسعه ومن حظه ان يدين من كان فتياً ، ومن لم يتح له بعد ان يرتكب الشرّ . ولكن صبراً : فسوف تجرّبين خلفك يوماً جريمة لا سبيل الى العفو عنها . ستحسّين لدى كل خطوة انك

تبتعدين عنها ، ومع ذلك ، فستظلّ دائماً ثقيلةً على الاحتمال . ستلتفتين وسترينها خلفك ، لا تُدرك ، مظلمةً ونقية كبلورة سوداء . بل انك لن تفهميها بعد ، وستقولين : « لم اكن انا التي ارتكبتها ، لم اكن انا » . ومع ذلك ، فستكون هنا ، منكورة مئة مرة ، دائماً هنا ، تجرّك الى خلف . وستعرفين في آخر المطاف انك كرّست حياتك بضربة زهرٍ واحدة ، مرةً والى الأبد ، وانه لم يبق لك ما تفعلينه إلا ان تجرّي جريمتك حتى موتك . ذلك هو قانون الندم ، العادل والظالم . وسنرى آنذاك ما الذي ستؤول اليه كبرياؤك الفتيّة .

الكتر – كبريائي **الفتية** ؟ كفى ، انما انت آسفةٌ على شبابك ، أكثر من اسفك على جريمتك ؛ وانت انما تحقدين على شبابي اكثر من حقدك على براءتي .

كليتمنستر – إن ما احقد عليه فيك يا الكتر ، انما هو انا نفسي . لا شبابك – كلا – بل شبابي .

الكتر – اما انا ، فانما احقد عليك انت ، نعم انت .

كليتمنستر – يا للعار ! اننا نتبادل الشتائم كامرأتين في سن واحد تنصبُ منافسةً غرامية احداهما تجاه الاخرى . ومع ذلك ، فأنا أمك . انني لا أعرف من تكونين ، ايها الشاب ، ولا ما اتيت تفعله بيننا ، ولكن حضورك مشؤوم . انني لا أجهل ان الكتر تحتقرني ، ولكننا طوال خمسة عشر عاماً لزمنا الصمت ، وكانت نظراتنا وحدها تخوننا . وقد اتيتِ فتحدّثت الينا ، فاذا نحن نكشّر عن اسناننا ونهدر كأننا كلبتان . إن قوانين المدينة توجب علينا ان نقدّم لك الضيافة ، ولكني لا أخفي عنك اني أتمنى أن تذهب . اما أنت يا ابنتي ، يا صورتي ، المفرطة الأمانة ، فصحيح أنني لا أحبك . ولكني أؤثر ان اقطع يدي اليمنى على ان اؤذيك ، وانت تعرفين ذلك ، فتستغلّين ضعفي . ولكني لا أنصحك ان تنصبي في وجه أجيست رأسك الصغير السامّ : فهو يعرف كيف يحطّم ، بضربة عصا واحدة ، أجنحة الأفاعي . افعلي ما يأمرك به ، والاّ فصدّقيني انك ستندمين .

الكتر – تستطيعين ان تجبي الملك أني لن أظهر في الاحتفال . أتعرف ما

الذي يفعلونه يا فيلاب ؟ إن فوق المدينة كهفاً لم يعثر شبّاننا قط على جوفه ، ويقال إنه متصل بجهنم ، وقد سدّه الكاهن الأكبر بصخرة ضخمة . أتصدّق ان الشعب ، في كل ذكرى سنوية ، يجتمع امام هذا الكهف ، وأن جنوداً يدفعون الصخرة التي تسدّ مدخله جانباً ، فيخرج موتانا من جهنم ، على ما يُقال ، وينتشرون في المدينة . وتُقدّمُ لهم المآدب ، وتُقدّم لهم الكراسي والسرر ، ويتكاثف الناس قليلاً ليفسحوا لهم مكاناً في السهرة ، ويركضون في كل مكان ، فلا يكون الشأن الا لهم . وانت تتصوّر نحيب الأحياء : « يا ميتي العزيز ، يا ميتي العزيز ، إنني لم أرد ان أهينك ، فاصفح عني » ، وغداً صباحاً ، لدى صياح الديك ، يعودون تحت الأرض ، وتدحرج الصخرة على باب المغارة ، وينتهي الاحتفال ، حتى العام القادم . انني لا اريد ان اشارك في هذا التمثيل ، إن هؤلاء موتاهم ، لا موتاي .

كليتمنستر – اذا لم تطيعي بملء ارادتك ، فقد أعطى الملك اوامره بأن تقادي قسراً .

الكتر – قسراً ؟ .. ها ! ها قسراً ؟ حسناً . أكذّبي الملك ، يا أمي الطيبة ، انني سأطيعه . سوف أظهر في الاحتفال ، ولما كان الشعب يريد ان يراني فيه ، فلن يخيب . اما أنت يا فيلاب ، فأرجوك ان توجّل ذهابك ، وان تحضر عيدنا . فربما وجدت فيه فرصة للضحك ، فالى اللقاء ، اني ذاهبة لأتهيأ .

(تخرج)

كليتمنستر (لأورست) – إذهب . انني واثقة من انك ستحمل لنا شراً . وليس من الممكن ان يكون لك علينا ثأر ، فنحن لم نفعل لك شيئاً . إذهب . انني استحلفك بأمك ، اذهب .

(تخرج)

أورست – بأمي ...

(يدخل جوبيتر)

المشهد السادس

اورست ـ جوبيتر

جوبيتر ـ أعلمني خادمك انك على وشك الذهاب . وهو يبحث عبثاً عن جوادين عبر المدينة كلها. ولكني أستطيع ان احصل لكما على فرسين مسرجين بسعر معتدل .

اورست ـ لقد عدلت عن الذهاب .

جوبيتر ـ (بهدوء) عدلت عن الذهاب ؟ (فترة . بحيرة) انني اذن لا أتركك ، فأنت ضيفي . إن في أسفل المدينة نزلاً طيباً سننزله معاً . ولـــن تأسف انك اخترتني مرافقـــاً . انني اولاً – ابراكساس ، غالا ، غالا ، تسه ، تسه – أخلصك من ذبابك . ثم إن رجلاً في سني هو أحياناً رجل نصوح : فان بوسعي ان اكون أباك ، وستروي لي قصتك ، تعالَ ايها الفتى ، ودعنـي أقودك : ان مثل هذا اللقاء هو أحياناً أجدى مما قد يظن الناس اولا . انظر مثـل تيليماك ، ابن الملك يوليس . لقد التقى يوماً رجلاً مسناً يُدعى مانتور ، وربط مصـيره به وتبعه في كل مكان ، فهل تراك تعرف من كان مانتور هذا ؟

(يجره وهو يتحدث ، فيا الستار يسدل .)

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

(ساحة في الجبل . الى اليمين ، يقوم الكهف ، ومدخله مسدود بصخرة كبيرة سوداء ، الى اليسار ، درجات سلم تؤدي الى معبد .)

المشهد الاول

المجوع ، ثم جوبيتر واورست والمربي

امرأة (راكع امام ابنها الصغير) – ربطة عنقك . هذه هي المرة الثالثـــة التي أعقدهـــا لك (تنفض بيدها) هكذا . انك نظيف . كن عاقلا وابكِ مـــع الآخرين حين تؤمر بذلك .

الصبي – أهم من هنا قادمون ؟

المرأة – نعم .

الصبي – انا خائف .

المرأة – يجب ان تخاف، يا حبيبي . ان تخاف كثيراً . فهكذا تصبح رجلاً شريفاً .

رجل – سينعمون اليوم بطقس جميل .

آخر – من حسن الحظ ! يجب الاعتقاد بأنهم ما يزالون يتـأثرون بحرارة الشمس . كان المطر يهطل في العام الماضي ، وقد كانوا . . فظيعين .

الاول – فظيعون .

الثاني – واحسرتاه !

الثالث – حين يعودون الى كهفهم ويتركوننا وحدنا ، فيا بيننا ، فسأصعد هنا ، وسأنظر الى هذه الصخرة واقول لنفسي : « ذلك زاد لمدة عام »

رابع – ماذا ؟ اما انا ، فان هذا لن يعزيني . فابتداء من الغـد ، سأبدأ أقول : « كيف تراهم سيكونون في العام القادم » انهم في كل عام يزدادون خبثاً .

الثاني – اسكت ، ايها الشقي . افرض أنّ احدهم كان قـد تسلل من شق الصخرة وكان يروح ويجيء بيننا . . . ان هناك اموات يأتون الى الموعد في ساعة مبكرة . . .

(يتبادلون النظر في قلق)

امرأة صبية – ليت الاحتفال يبدأ فوراً على الأقل . ماذا تراهم يصنعون ، رجال القصر ؟ انهم غير مستعجلين . اما انا ، فأجد هذا الانتظار أقسى الامور وأشقها : اننا هنا ، نراوح تحت سماء من نار ؛ من غير ان نغادر بانظارنا هذه الصخرة السوداء . . . ها ! انهم هناك ؛ خلف الصخرة ؛ وهم ينتظرون مثلنا ؛ مبتهجين كل الابتهاج بفكرة الألم الذي سيحدثونه لنا .

عجوز – كفى ؛ ايتها الفاجرة ! اننا نعرف ما الذي يخيفهـا تلك . ان رجلها قد مات ؛ في الربيع الماضي ؛ وها قد مضت عشر سنوات وهي تركب له قرنين .

المرأة الصبية – نعم ؛ اعـترف اني خنته ما استطعت الى ذلك سبيـلا ؛ ولكني كنت أحبه كثيراً وأجعل حياته لذيذة ؛ انـه لم يشك قط بشيء ؛ وقد مات وهو يلقي عليّ نظرة رقيقة أشبه بنظرة كلب يحسّ بالعرفـان . انه يعرف الآن كل شيء ؛ لقـد افسدوا عليه لذتـه ؛ فهو حاقد عـلي

وهو متألم . وهو عمّا قليل سيكون لصيقي ؛ وسيقارن جسمه الدخاني بجسمي القارّ اناراً شديداً محكماً لم يبلغه قبل ذلك حي . آه ! انني سأحمله الى بيتي ؛ ملتفاً حول عنقي ؛ كأنه فرو . لقـد هيأت له طعاماً لذيذاً ؛ وحلويات طحلبية ؛ ورجبة خفيفة كالتي يحب . ولكن شيئاً لن يخفف ضغيلته ؛ وهذه الليلة . . . هذه الليلة سيكون في سريري .

رجل – انها على حق . ماذا يفعل أجيست ؟ ثم يفكر ؟ انني لا أستطيع أن أحتمل هذا الانتظار .

آخر – هل تشكو ؟ أتحسب أن أجيست أقل خوفاً منا ؟ أتود ان تكون في محله ، وتقضي اربعاً وعشرين ساعة وجهاً لوجه مع آغا ممنون ؟

المرأة الصبية – فظيع ، فظيع هذا الانتظار . يخيل إليّ انكم جميعاً تبتعدون بهدوء عني . إن الصخرة لم تزح بعد ؛ ومع ذلك فقد أصبح كل فرد فريسة موتاه ؛ وحيداً كقطرة مطر .

(يدخل جوبيتر واورست والمربي)

جوبيتر – تعالَ من هنا ؛ فالموضع هنا أفضل .

اورست – ها هم اولاء إذن ؛ مواطنو أرغوس ؛ رعايا الملك آغا ممنون الاوفياء جداً ؟

المربي – ما أقبحهم ! انظر يا معلمي الى سحنتهم الشمعية وعيونهم الجوفاء . ان هؤلاء الأشخاص يكادون يموتون خوفاً . هوذا تأثير الوسواس . انظر اليهم ، وان كنت ما تزال بحاجة الى دليل على كمال فلسفتي ، فتأمّل بعد ذلك وجهي المزهر .

جوبيتر – يا للوجه المزهر ! ان بعض المنثور على خديـك ، يا صاحبي ، لا يمنعك من ان تكون ، في عيني جوبيتر ، زبلاً كجميع هؤلاء . كفى ، انك تثثن ، ولا تـدري ذلك . اما هم ، فأنوفهم ملآى بروائحهم الخاصـة ، وهم يعرفون أنفسهم خيراً منك .

(الجوع تهدر)

رجل – (يصعد درجات المعبد ، ويتوجه الى الجمهور) – ايريدون ان يجعلونا مجانين ؟ لنوحّد اصواتنا ايها الرفاق ولننادِ أجيست ؛ اننا لا نستطيع ان نحتمل ان يؤجل الاحتفال اكثر من ذلك .

الجموع – أجيست ! أجيست ! رحماك !

امرأة – آه نعم ! رحماك ! رحماك ! ألا يشفق علي أحد إذن؟ انه آتٍ برقبته المفتوحة ، الرجل الذي حقدت عليه طويلاً ، وهو سيضمني بذراعيه الدبقتين اللامرئيتين ، وسيكون عشيقي طوال الليل ، طوال الليل . ها !

(يغمى عليها)

اورست – اي جنون هذا ! يجب ان يقال لهؤلاء الناس ...

جوبيتر – ماذا ، ايها الشاب ، أيكون هذا الضجيج كله بسبب امرأة تفقد وعيها ؟ انك سترى أخريات .

رجل – (يرتمي راكعاً) – انني نتن ، انني نتن ، انا جيفة قذرة . انظروا : ان الذباب علي كأنه الغربان ! انقر واحفر ايها الذباب المنتقم ، وعثْ في لحمي حتى قلبي القذر . لقد أثمت ، أثمت مئة ألف مرة ، وانا بالوعة ، مرحاض ...

جوبيتر – يا للرجل الشجاع !

رجال – (يرفعونه) – كفى ، كفى . انك سترى ذلك فيما بعد ، حين يصبحون هنا .

(يظل الرجل مخبولا ، وهو يصفر وهو يدير عينيه)

الجموع – أجيست ! أجيست ! رحماك ! مر ان يبدأ الاحتفال . اننا لا نطيق بعدُ صبراً .

(يظهر أجيست على درجات المعبد ، وخلفه كليتمنستر والكاهن الأكبر . وبعض الحرس) .

المشهد الثاني

الأشخاص أنفسهم – أجيست – كليتمنستر – الكاهن الاكبر – الحرس

أجيست – ايها الكلاب ! أتجرؤون على الشكوى ؟ هل فقدتم ذكرى حقارتكم ؟ أقسم بجوبيتر اني سأرطّب ذكرياتكم (يلتفت الى كليتمنستر) يجب ان نعزم على ان نبدأ بدونها . ولكن لتحذرْ . إن عقابي سيكون نموذجياً .

كليتمنستر – لقد وعدتني ان تطيع . انها تتهيأ ، وانا واثقة من ذلك ، ولا بدّ انها تأخّرت امام مرآتها .

أجيست (للحرس) اذهبوا فاطلبوا الكاهن من القصر وجيئوا بها رضى او قسراً (يخرج الحرس . للجموع) كلّ في مكانه . الرجال إلى يميني . وإلى يساري النساء والاولاد . حسناً .

(صمت . أجيست ينتظر) .

الكاهن الأكبر – إن هؤلاء الأشخاص لا يطيقون بعد صبراً .

أجيست – أعرف . إذا كان حرسي ...

(يعود الحرس)

حارس – بحثنا يا مولاي عن الاميرة في كل مكان . ولكن القصر مقفر .

أجيست – حسناً . سنصفّي غداً هذا الحساب (للكاهن الأكبر) ابدأ .

الكاهن الأكبر – أزيحوا الصخرة .

الجموع – ها !

(يتزع الحرس الصخرة . يقترب الكاهن الأكبر حتى مدخل الكهف) .

الكاهن الأكبر – انتم ، المنسيين ، المهجورين ، المنقضي الاوهام والاحلام ، أنتم المتمدّدين أرضاً ، في الظلام ، كأنكم الأبخرة ، ولا تملكون بعدُ إلاّ حزنكم العظيم ، انتم الموتى ، وقوفاً ، فهذا عيدكم ! تعالوا ، اصعدوا من الارض كبخار هائل من الكبريت تطرده الريح ؛ اصعدوا من احشاء العالم ، أيهـــا الموتى مئة مرة موتى ، انتم الذين تميتكم من جديد كل خفقة من قلوبنا ، انما ادعوكم بالغضب والمرارة وروح الانتقام ، تعالوا اروا حقدكم على الأحياء ! تعالوا فانتشروا في ضباب كثيف عبر شوارعنا ، ولتنسلّ قوافلكم المزدحمة بين الام والطفل ، بين العاشق وعشيقته ، واجعلونا نتحسّر أننا لسنا اموتاً . وقوفاً ، ايتها الأشباح ، ايها الدود ، ايتها الأطياف ، ايتها المسوخ ، يا رعب لياليا . وقوفاً ايها الجنود الذين ماتوا وهم يجدفون ، وقوفاً يا سيئي الحظ ، ايها المذلّون ، وقوفاً يا موتى الجوع الذين كانت صرخة نزاعهم لعنة . انظروا ، ها هم الاحياء هنا ، القرائس السمينة الحيّة ! وقوفاً وانقضّوا عليهم في دوّامة ، وانحتوهم حـــتى العظم ! وقوفاً! وقوفاً ! وقوفاً ! ...

(قرع طبل . يرقص امام مدخل الكهف ، متمهلاً اولاً ، ثم يزداد سرعة حتى يسقط مرهقاً)

أجيست – انهم هنا .

الجموع – يا للفظاعة !

اورست– هذا أشدّ من ان يُحتمل ، وانا ذاهب ...

جوبيتر – انظر إليّ ، ايها الفتى ، انظر إليّ وجهاً لوجه ، هنا . لقد فهمتَ فاصمت الآن .

اورست – من انت ؟

جوبيتر – ستعرف ذلك فيما بعد .

(يهبط أجيست على مهل درجات القصر)

أجيست – انهم هنا (صمت) إنه هنا ، أريسى ، الزوج الذي هزّأته . إنه

هنا ، بلصقك ، بعانقك . كم هو يشدّك اليه ، كم يحبّك ، كم يكرهك ! وانهـا هنا ، ايجيا ، إنها هنا ، امّك التي ماتت نتيجة الإهمال . وانت يا سيجيست ، ايها الرابي الكريه ، انهم هنا جميع مدينيك المساكين ، اولئـك الذين ماتوا في البؤس ، واولئك الذين شنقوا أنفسهم لأنك كنت تدفعهم إلى الافلاس . انهم هنا ، وهم اليوم دائنوك . اما انتم ايها الاقارب ، الاقارب الأرقـاء ، فاخفضوا قليلاً عيونكم ، انظروا إلى اسفل ، نحو الأرض : انهم هنا ، الاطفال الميتون ، وهم يمدّون أيديهم الصغيرة ؛ وإن جميع البهجات التي منعتموها عنهم ، وجميع الآلام التي كبّدتموها إياهم ، تثقل كالرصاص على نفوسهم الصغيرة الحاقدة الحزينة .

الجموع – الرحمة !

أجيست – آه ، نعم ، الرحمة ! الا تعرفون ان الموتى لا رحمة لديهم ؟ إن مآخذهم لا تمحى ، لأن حسابهم قـد توقّف إلى الابد . ابا لأعمال الطيبة تنوي يا ليسياس ان تمحو الألم الذي سببّته لأمك ؟ ولكن اي عمـل طيّب يمكن ان يبلغك يوماً ؟ إن روحه ظهرٌ محرق ، لا ترطبه نسمة ريح ، ولا يتحرك فيه شيء ، ولا يتغيّر ، ولا يعيش فيه شيء . ان شمساً كبيرة هزيلة ، شمساً جامدة تنهكه إلى الأبد . إن الموتى غير موجودين بعدُ – هل تفهمون هذه الكلمة التي لا سبيل إلى تخفيفها – انهم غير موجودين بعد، ومن أجل هذا جعلوا من انفسهم حرّاساً لجرائمكم غير قابلين للفساد .

الجموع – الرحمة !

اجيست – الرحمة ! آه ، ايها الممثلون الاردياء ، إن لكم اليوم مشاهدين . فهل تحسّون على وجوهكم وعلى ايديكم ثقل نظرات هذه الملايين من العيون المحدّقة التي لا يُرعشها أمل ؟ إنهم يروننا ، ونحن عُراةٌ امام مجمع الأموات . ها ! ها ! ها أنتم أولاء اليوم شديدو الارتباك ؛ انه يحرقك ، هـــذا النظر اللامرئيّ الصافي ، الذي هو اشدّ صفاءً من ذكرى نظر .

الجموع – الرحمة !

الرجال – اغفروا لنا أننا أحياء بينما انتم أموات .

النساء – الرحمة ! اننا محاطات بوجوهكم وبالاشياء التي كانت ملككم ، ونحن نرتدي عليكم ثوب الحداد الى الأبد ، ونبكي من الفجر حتى الليل ، ومن الليل حتى الفجر . لقد حاولنا كثيراً ، ولكن عبثاً ، فان ذكراكم تتمزّق وتنساب بين أصابعنا؛ وهي كل يوم تزداد امتقاعاً، فنصبح اكثر اجراماً. انكم تتركوننا، انكم تتركوننا ، وانتم تتدفقون منا كالنزيف . ومـــع ذلك ، فاعلموا يا موتانا الاعزّاء ، ان كان ذلك يهديء نفوسكم المتغاظة ، انكم أفسدتم علينا الحياة .

الرجال – اغفروا لنا أننا احياء بينما انتم اموات .

الاطفال – الرحمة ! اننا لم نتقصّد ان نولد ، ويخجلنا كثيراً أن نكـــبر وننمو . فكيف كان بامكاننا ان نذلّكم ؟ انظروا ، اننـــا نكاد لا نعيش ، فنحن هزيلون ، مصفرّون ، قصار ؛ اننا لا نحدث ضجّة ، ونحن نتساب حتى من غير ان نهزّ الهواء الذي يحيط بنا . ونحن نخشاكم ، اوه ، نخافكم خوفاً شديـــداً .

الرجال – اغفروا لنا أننا احياء بينما انتم اموات .

أجيست – السلام ! السلام ! إذا كنتم انتم تنتحبون على هذا النحو ، فماذا أقول انا ، ملككم ؟ ذلك أن عذابي قد بدأ : إن الأرض تهتزّ والهواء قد أظلم ، إن اكبر الموتى سيظهر ، ذلك الذي قتلته بيدي ، آغا ممنون .

اورست – (شاهراً سيفه) – ايها الفاجر ! انني لا أسمح لـك بان تمزج اسم ابي في خزعبلاتك !

جوبيتر – (قابضاً عليه من وسطه) – قف ، ايها الشاب ، قف !

أجيست (ملتفتاً) – من يجرؤ ؟ (تظهر الكتر بثوب أبيض على درجات المعبد . يدعوها أجيست) الكتر !

الجموع – الكتر !

المشهد الثـــالث

الاشخاص أنفسهم – الكتر

أجيست – الكتر ، أجيبي ، ما معنى هذا اللباس ؟

الكتر – لقد ارتديت اجمل اثوابي . أليس هذا يوم عيد ؟

الكاهن الاكبر – أجئت تهنئين الأموات ؟ إن هذا عيدهم، كما تعلمين جيداً ، وكان ينبغي لك ان تظهري بثياب الحداد .

الكتر – ثياب الحداد ؟ لماذا الحداد ، انني لا أخـاف من اموات ، وليس لي شأن بأمواتكم !

أجيست – انت على حق ؛ إن اموات ليسوا اموتانا . انظروا اليهـا ، في ثوبها ، ثوب البغيّ ، حفيدة « اتري » ، « اتري » الذي ذبح احفاده يجـبن . من تكونين اذا لم تكوني آخر طرحٍ من جنس ملعون ؟ لقد قبلتك في قصري بدافع الشفقة ، ولكني اعترف اليوم بخطئي ، لأن دم آل الأتريد القـــديم الفاسد هو الذي ما زال يجري في عروقك ، وسوف تُعدينا جميعاً اذا لم اضع لذلك نظاماً سليماً . اصبري قليـلاً ، ايتها الكلبة ، وسترين اذا كنت أحسن العقاب . إن عينيك وحدهما لن تكفياك للبكاء .

الجموع – يا للمدّنسة !

أجيست – أتسمعين ايتها الشقية هدير هـذا الشعب الذي أهنته ، أتسمعين

الاسم الذي يطلقونه عليك ؟ لو لم اكن موجوداً لأقيك غضبه لمزّقك شر ممزّق.

الجموع – يا للمدنّسة !

الكتر – أمن التدنيس ان اكون جذلة ؟ لمـــاذا لا يكونون هم جذلين ؟ من الذي يمنعهم من ذلك ؟

أجيست – إنها تضحك وأبوها الميت هنا ، وعلى وجهه دم متخثّر ..

الكتر – كيف تجرؤ على ان تتحدث عن آغا ممنون ؟ الا تعرف انه يأتي ليلا ليحد ثني في أذني ؟ أتعرف كلمات الحب والحسرة تلك التي يهمسها لي صوتـــه المحطم الأبحّ ؟ صحيح انـني أضحك للمرة الاولى في حياتي ، انني أضحك ، فانا سعيدة . أتراك تزعم ان سعادتي لا تبهج قلب أبي ؟ آه ، لو كان هنـا ، لو رأى ابنته بالثوب الأبيض، ابنته التي دفعت بهـــا الى صف العبدة الكريه ، لو رآها ترفع جبينها عالياً ورأى أن الشقاء لم يحطم كبرياءها، فانا واثقة من انه لن يفكر في ان يلعنني ؛ ان عينيه تلتمعان في وجهه المعذّب ، وشفتاه الداميتان تحاولان الابتسام .

المرأة الصبيّة – أتراها لا تقول الحقيقة ؟

أصوات – ولكن لا ، إنها تكذب ، انها مجنونة . رحماك يا الكتر ، اذهبي قبل ان يرتدّ علينا كفرك .

الكتر – مم تراكم تخافون ؟ انني انظر حولكم فلا أرى الا أشباحكم. ولكن اسمعوا هذا الذي عرفت الساعة ولعلكم لا تعرفونه: ان في اليونان مدناً سعيدة، مدناً بيضاء هادئة تتدفأ في الشمس كالحراذين . ففي هـذه الساعة نفسها وتحت هذه السماء ذاتها ، هناك اطفال يلعبون في ساحات كورنثيا . ولا تطلب أمهاتهم الصفح . أنهن قد وضعنهم . انهنّ ينظرن اليهم باسمات ، وهنّ فخورات بهم . يا نساء ارغوس ، هل تفهمن ؟ أبوسعكن بعـدُ أن تفهمن فخر امرأةٍ تنظر الى طفلها وتفكـّر : « انا التي حملته في أحشائي » ؟

أجيست – أتراك ستسكتين أخيراً او أعيد الكلام الى حلقك ؟

أصوات (في الجموع) – نعم ، نعم ! لتصمت . كفى ، كفى !

اصوات اخرى – لا ، دعوها تتكلّم ! ان آغا ممنون هو الذي يلهمها .

الكتر – الطقس جميل . وفي كل مكان ، في السهل ، رجال يرفعون رؤوسهم ويقولون . « الطقس جميل » وهم مسرورون . يا جلادي نفوسكم ، هـل نسيتم ذلك الرضى المتواضع للفلاح الذي يمشي على ارضه ويقول : « الطقس جميل » ؟ ها انتم اولاء بأذرعكم المتدلية ، ورؤوسكم المنخفضة ، وانفاسكم المكبوتة . ان امواتكم يلتصقون بكم ، وانتم تظلمون مسمرين ، خشية ان تدفعوهم عند ادنى حركة . سيكون فظيعاً ، أليس كذلك ، ان تخترق ايديكم فجأة بخاراً مشدبقاً ، هو روح أبيكم او جـــدكم ؟ ولكن انظروا الي : انني أبسط ذراعي ، وأوسع صدري ، وأتمطى كرجل يستيقظ ، وأحتل مكاني تحت الشمس ، مكاني كله . فهل تسقط السماء على رأسي ؟ انني ارقص ، انظروا ، انني أرقص . ولا أحسّ شيئاً الا نفح الريح في شعري . اين هم الاموات ؟ أتظنّون أنهم يرقصون معي بإيقاع ؟

الكاهن الاكبر – يا سكان أرغوس ، اقول لـــكم إن هذه المرأة مدنسة . اللعنة عليها وعلى الذين يصغون منكم اليها .

الكتر – يا امواتي الاعزاء ، افيجيني ، يا اختي الكبرى ، آغا ممنون يا ابي ويا مليكي الوحيد ، اسمعوا صلاتي . لئن كنت مدنـّسة ، ولئن أهنت ارواحكم المدنّبة ، فارسموا اشارة ، ارسموا لي اشارة على عجل ، لأعرف ذلك . اما اذا كنتم تقرّونني يا أحبّائي ، فأصمتوا ، ارجوكم ، ولا تتحرّك ورقة ، ولا عـرق عشب ، ولا تأت اية ضجة تعكر رقصتي المقدسة ؛ ذلك انني ارقص للفـرح ، ارقص لسلام البشر ، ارقص للسعادة وللحياة . ايها الموتى ، انني أطلب صمتكم ليعرف الناس الذين يحيطون بي أن قلوبكم معي .

(ترقص)

صوت (في الجموع) – انها ترقص ؟ انظروا اليها ، خفيفة كأنهـا الشعلة ، انها ترقص في الشمس ، كأنها قماش عَلَمٍ ملوّح – والموتى يصمتون !

المرأة الصبية – انظروا إلى هيئتها النشوى – ، فليس هـذا وجه كافرة .

ولكن ، يا أجيست ، يا أجيست ! انك لا تقول شيئاً – لماذا لا تجيب ؟

أجيست – هل نتناقش مع حيوانات نتنة ؟ اننا نقضي عليها ! لقد اخطأت في انني وفرتها في الماضي ؛ ولكن هذا خطأ يُصلَح : لا تخافوا ، فانا سأسحقها في الارض ، وسيتلاشى جنسها معها .

الجموع – أن تهدد ليس أن تجيب يا أجيست ! أليس لديك شيء آخر تقوله لنا ؟

المرأة الصبية – انها ترقص ، انها تبتسم ، انها سعيدة ، والموتى يبدون وكأنهم يحمونها . آه ! يا الكتر المحسودة ! انظري ، فأنا ايضاً افتح ذراعي ، واكشف صدري للشمس !

اصوات (في الجموع) – إن الموتى يصمتون : لقد كذبت علينا يا أجيست

اورست – يا الكتر الحبيبة !

جوبيتر – انني سأخرس هذه الطائشة (يمد ذراعه) يوزيدون كاريبو كاريبون لولاباي .

(تتدحرج الصخرة الضخمة التي كانت تسد مدخل الكهف على درجات المعبد في صخب . تكف الكتر عن الرقص) .

الجموع – يا للفظاعة !

(صمت طويل)

الكاهن الاكبر – ايها الشعب الجبان البالغ الطيش : إن الموتى ينتقمون ! انظروا الى الذباب ينقضّ علينا في دوامات كثيفة ! لقد سمعتم صوتاً مدنّساً وقد حلت علينا اللعنة !

الجموع – اننا لم نفعل شيئاً ، وليست هذه غلطتنا : لقد جاءت ، فسحرتنا بكلماتها المسمومة ! الى النهر ، ايتها الساحرة الى النهر ! الى المحرقة !

امرأة عجوز (مشيرة الى المرأة الصبية) – وتلك التي كانت تشرب كلماتها كأنها العسل ، انتزعوا منها ثيابها ، واتركوها عارية وسوطوها حتى يسيل دمها .

(يقبضون على المرأة الصبية ، ويرقى بعض الرجال درجات السلم وينقضون على الكتر .)

أجيست (وقد انتصب) – سكوتاً ، ايها الكلاب ! عودوا الى امكنتكم في نظام ، واتركوا لي امر العقاب (صمت) واذن؟ لقد رأيت ما يكلف عصياني ؟ اتراكم الآن تشكّون في قائدكم ؟ عودوا الى بيوتكم ، فالموتى يرافقونكم ، وسيكونون ضيوفكم طوال الليل والنهار . أفسحوا لهم مكاناً على موائدكم وفي بيوتكم ، وفي مخادعكم ، وحاولوا ان ينسيهم مسلكهم المثالي هذا كله . أما انا ، فبالرغم من ان شكوككم قد جرحتني ، فاني أصفح عنكم . واما انت يا الكتر ...

الكتر – ماذا ؟ لقد أخفقت في محاولتي ، وفي المرة القادمة سأكون اكثر توفيقاً .

أجيست – لن أمنحك فرصة ذلك . ان قوانين المدينة تمنعني من ان اعاقب في يوم العيد هذا . وقد كنت تمرفين ذلك ، فاستغللته . ولكنك لست بعدُ عضواً في المدينة ، وانا اطردك . ستذهبين عارية القدمين وبلا متاع ، وعلى جسمك هذا الثوب المرذول . واذا ظللت بين جدراننا حتى فجر الغد ، فسأعطي الامر لأي انسان يلتقيك ان يقتلك كنعجة جرباء .

(يخرج ، وفي أثره الحرس . تمر الجموع امام الكتر وهي تهددها بقبضتها .)

جوبيتر (لاورست) – وماذا بعدُ ، يا معلمي ؟ هل أخذت عبرة ؟ هي ذي حكاية ذات مغزى ، او لعلني مخطىء : فقد عوقب الأشرار ، وكوفىء الأخيار . (مشيراً الى الكتر) هذه المرأة ...

اورست – هذه المرأة هي اختي ، ايها الرجل ! اذهب ، فانا اريدان أحدثها .

جوبيتر – (ينظر اليه ثم يز كتفيه) – كما تريد .

(يخرج ، وفي أثره المربي .)

المشهد الرابـــع

الكتر (على درجات المعبد) — **اورست**

اورست — الكتر !

الكتر (ترفع رأسها وتنظر اليه) — آه ! هأنت ذا يا فيلاب ؟

اورست — لا يمكنك ان تبقى في هذه المدينة يا الكتر . فأنت في خطر .

الكتر — في خطر ؟ آه ! هذا صحيح. لقد رأيت كيف أخفقتُ في محاولتي. ان بعض التبعة في ذلك يلقى عليك . ولكني لست عاتبة .

اورست — ولكن ماذا فعلت ؟

الكتر — لقد خدعتني (تهبط نحوه) دعني ارى وجهك . أجـل ، لقد تعلقت بعينيك .

اورست — ان الوقت ضيق يا الكتر. اسمعي : اننا سنهرب معاً . ان هناك من سيجلب لي فرسين . وسأردفك على فرسي .

الكتر — لا .

اورست — الا تريدين ان تهربي معي ؟

الكتر — لا اريد ان أهرب .

اورست — سآخذك الى كورنثيا .

الكتر (ضاحكة) — ها ! كورنثيا ... أترى ، انك لا تقصد الى ذلـــك ،

ولكنك تخدعني مرة اخرى . ما عساي ان افعل انا، في كورنثيا ؟ يجب ان اكون عاقلة . فحتى الأمس ، كانت مـــا تزال لدي رغبات متواضعة : فحين كنت أخدم على المائـــدة ، مسدلة الأجفان ، كنت انظر خفيةً الى الزوجين الملكيين ، الجميلة العجوز ذات الوجه الميت، وهو، السمين الممتقع ، بفمه المرتخي وتلك اللحية السوداء التي تركض من اذن الى اذن كفرقة من العناكب، وكنت أحلم بان أرى يوماً غيمة بخار، غيمةً صغيرة مستقيمة، أشبه بنَفَسٍ في صباح بارد ، تصعد من بطنيهما المفتوحين . هذا كل ما كنت اطلبه ، يا فيلاب ، وأقسم لـك على ذلك . وانا لا ادري مـا الذي تريده أنت ، ولكن لا ينبغي ان أصدقك : فليست لك عينان متواضعتان . أتعلم مـا كنت أفكر به ، قبل ان أعرفك ؟ ان العاقـل لا يستطيع ان يتمنى شيئاً على الارض ، الا ان يردَّ يوماً الشر الذي لحق به .

اورست — الكتر ، اذا تبعتني ، فسترين ان باستطاعة المرء ان يتمنى اشياء كثيرة اخرى ، دون ان يكفَّ عن ان يكون عاقلاً .

الكتر — لا أستطيع بعدُ أن أصغي اليك ؛ فقد سببت لي كثيراً من الشر . لقد جئت بعينيك الجائعتين في وجهك الانثوي الرقيق، فجعلتني أنسى حقدي؛ وقد فتحتُ يدي وتركت كنزي الوحيد يسقط على قدمي . لقد اردت ان أعتقد ان بامكاني ان أشفي سكان هـــذه المدينة بالكلمات . وقد رأيتَ ماذا حدث : انهم يحبون مصيبتهم ، وهم بحاجة الى جرح مألوف يغذونه بعناية بأن يحكّوه بأظافرهم القذرة . وانما ينبغي ان يُشفوا بالعنف ، لأنه ليس بالامكان قهر الشر الا بشر آخر . وداعاً يا فيلاب ، اذهب ودعني لأحلامي الرديئة .

اورست — ولكنهم سيقتلونك .

الكتر — يوجد هناك معبـــد ، هو معبد ايولون ؛ والمجرمون يلجأون اليه احياناً ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمس شعرة من رأسهم مـا داموا فيه . وسوف اختبىء فيه .

اورست — لماذا ترفضين مساعدتي ؟

الكتر – ليس لك انت ان تساعدني . فان ثمة شخصاً آخر سيأتي لتخليصي (فترة) إن أخي لم يمت ، وانا إعرف ذلك . وأني بانتظاره .

اورست – واذا لم يأت ؟

الكتر – سوف يأتي ، ولا يمكن ألا يأتي . إنه لو تعلم من طينتنا ؛ فالجريمة والشقاء في دمه ، مثلي أنا . إنه جندي طويل ، وله عينا أبينا الكبيرتان الحمراوان والغضب دائماً يغلي فيهما . انه يتألم ، وهو قد تعثّر بقدره كما تتعثر اقدام الافراس المبقورة بأحشائها ؛ واية حركة يقوم بها الآن تقوده الى ان ينتزع أحشاءه . انه سوف يأتي ، وانا واثقة من ان هذه المدينة تجذبه ، لأنه انما يستطيع هنا ان يُحدث اكبر قدر من الشرّ ، وان يحدث لنفسه اكبر قدر من الشر . سوف يأتي ، منخفض الجبين ، متألماً ، مُكدفاً . إنه يخيفني : فانا اراه كل ليلة في المنام ، فأستيقظ وانا أئنّ . ولكني أنتظره وأحبّه . ويجب ان أبقى هنا لأوجّه غضبه – فأنا حكيمة عاقلة – ولأريه بالاصبع المذنبين ولأقول له : « اضرب يا اورست ، اضرب : ها هم اولاء » !

اورست – واذا لم يكن كما تتصورين ؟

الكتر – وكيف تريده ان يكون ، ابن آغا ممنون وكليتمنسترا ؟

اورست – واذا كان قد تعب من هذا الدم كلّه ، وشبّ في مدينة سعيدة ؟

الكتر – سأبصق اذ ذاك في وجهه وسأقول له : « إذهب ، ايها الكلب ، إذهب الى النساء ، لأنك لست شيئاً آخر إلاّ امرأة . ولكن حسابك خاطىء : فأنت حفيد « اتري » ولن تُفلت من مصير آل إتريد . لقد فضلت العار على الجريمة ، فانت حرّ . ولكن القدر سيأتي ليبحث عنك في سريرك : وسوف تُحسّ العار اولاً ، ثم ترتكب الجريمة ، بالرغم منك » !

اورست – انا اورست ، يا ألكتر .

الكتر (في صرخة) – انت تكذب !

اورست – أقسم لك بروح أبي آغاممنون : انا اورست . (صمت) وإذن ؟ ماذا تنتظرين لتبصقي في وجهي ؟

الكتر – كيف أستطيع ذلك ؟ (تنظر اليه) إن هذا الجبين الجميل هو جبين

أخي . وهاتان العينان اللتان تلمعان هما عينا أخي . اورست ... آه ! كنت أتمنى لو ظللت فيلاب ولو أن أخي قد مات . (بخجل) أصحيح انك عشت في كورنثيا ؟

اورست – لا . وانما رباني بعض بورجوازيي أثينا .

الكتر – كم تبدو فتياً ! اتراك قد تبارزت يوماً مع أحد ؟ وهذا السيف الذي تحملة الى جنبك ، هل استعملته يوماً ؟

اورست – أبداً .

الكتر – كنت أحسّني أقل توحّداً حين لم اكن أعرفك بعد : كنت أنتظر الآخر . لم اكن افكر الا بقوته ، لا بضعفي قط . وهأنت ذا الآن ؛ كنت انت اورست . وانا أنظر اليك فأرى اننا يتيمان (فترة) ولكني أحبك لو اعلم ، اكثر مما كنت سأحبه ، هو .

اورست – تعالي ، ان كنت تحبينني ؛ لنهرب معاً .

الكتر – أهرب؟ معك؟ لا . إن قَدَر الاتريديين يُقرّر هنا ، وأنا أتريدية . انني لا أطلب منك شيئاً . انني لا أريد ان اطلب شيئاً من فيلاب . ولكني باقيةٌ هنا .

(يبدو جوبيتر في داخل المسرح ، ويختبيء ليستمع اليهما)

اورست – انني ، يا الكتر ، اورست ... اخوك . اخوك . انا ايضاً أتريدي ، ومكانك هو الى جانبي .

الكتر – لا ، انت لست اخي ، وانا لا أعرفك . لقد مات اورست ، وهذا من حسن حظه ؛ وسوف أكرّم روحه بعد الآن مع روح ابي وأختي . ولكن انت ، انت الذي تأتي مطالباً باسم الاتريديين ، من انت لتحسب نفسك منا ؟ هل قضيت حياتك في ظل جريمة قتل ؟ كان لا بد لك ان تكون طفلاً هادئاً ذا هيئة رقيقة عاقلة ، بكبرياء ابيك الذي تبنّاك ، طفلاً نظيفاً ، ذا عينين ساطعتين بالثقة . كانت لك ثقة بالأشخاص لأنهم كانوا يوجهون لك بسمات عريضة في الطاولات والأسرّة ودرجات السلم ، لأنهم خدمٌ أمناء للانسان ؛ وفي

الحياة ، لأنك كنت غنياً ، وكانت لك ألعاب كثيرة ؛ وكنت لا بد تفكر احياناً بان العالم ليس سيئاً الى ذلك الحد ، وأنها كانت متعة ان يستسلم المرء فيه ، كما يستسلم لماء مغطس دافىء ، وهو يتنهّد لذة . اما أنا ، فقد كنت في السادسة من عمري خادمة ، وكنت أحذر كل شيء . (فترة) اذهب ، ايتها الروح الجميلة ، فلست ادري ما أصنع بالارواح الجميلة : وانما كنت اريد شريكاً لي في الجرم .

اورست – أتظنين اني سأترك وحيدة ؟ فما عساك تفعلين هنا ، وقد فقدت حتى آخر أمل لك ؟

الكتر – إن هذا شأني . وداعاً يا فيلاب .

اورست – أتطردينني ؟ (يخطو بضع خطوات ويتوقف) ذلك الفارس الحانق الذي كنت تنتظرين ، أهي غلطتي أني لا أشبهه ؟ كنت ستأخذينه من يده وكنت ستقولين له : « اضرب » ! أما انا ، فلم تطلبي مني شيئاً . فمن اكون يا إلهي ، حتى تدفعني أختي بالذات ، حتى من غير ان تجرّبني ؟

الكتر – آه ! يا فيلاب ، انني لن أستطيع أبداً ان أحمّل قلبك الخالي من الحقد مثل هذا العبء .

اورست (متحطماً) – صدقتِ ما قلته : الخالي من الحقد . والخالي من الحب كذلك . كان يوسعي ان أحبك ، انت . **كان يوسعي** ... ولكن ماذا ؟ ان على المرء لكي يحب ولكي يكره ان يهب نفسه . إنه جميل ، ذلك الانسان ذو الدم الغني ، المزروع باحكام وسط ثرواته ، الذي يهب نفسه ذات يوم للحب **وللحقد** ، والذي يهب مع نفسه أرضه وبيته وذكرياته . من أكون ، وماذا لدي لأعطيه ، أنا ؟ انني أكاد لا أوجد : فليس بين الاشباح الذين يملأون اليوم المدينة ، من هو اكثر مني شبحية . لقد عرفت ألواناً من الغرام الشبحي ، والواناً مترددة **ومنقطة** كالأبخرة ، ولكني أجهل أهواء الأحياء المهووسة الكثيفة . (فترة) **يا للعار** ! لقد عدتُ الى مسقط رأسي ، ورفضت أختي ان تعترف بي . فأين تراني سأذهب الآن ؟ اية مدينة ينبغي ان انزل ؟

الكتر – أليس ثمة مدينة تنتظرك فيها فتاة جميلة الوجه ؟

اورست – ليس ثمة أحد ينتظرني . انني انتقل من مدينة الى مدينة ، غريباً عن الآخرين وعن نفسي ، والمدن تنغلق خلفي كباب هادىء . فلماذا تركت أرغوس ، فما الذي سيبقى من عبوري الا خيبة قلبك المريرة ؟

الكتر – لقد حدثتني عن مدن سعيدة ...

اورست – انني أهتم كثيراً بالسعادة . انني اريد ذكرياتي وارضي ومكاني وسط سكان أرغوس (صمت) اسمعي يا الكتر : انني لن اغادر هذا المكان .

الكتر – فيلاب ، أبتهل اليك ان تذهب : انني مشفقة عليك ، اذهب ان كنتُ عزيزة لديك ؛ فلا يمكن ان يلحق بك الا الأذى ، وان براءتك ستودي بمشاريعي الى الاخفاق .

اورست – انني لن أذهب .

الكتر – وتظن أنني سأترك هنا ، في طهرك الغريب ، قاضياً صامتاً وضيفاً لتحكم على أعمالي ؟ لماذا تعاند ؟ ليس ثمة هنا من يريدك .

اورست – ان هذا حظي الوحيد . ولا تستطيعين يا الكتر ان ترفضيه . افهميني : انني اريد ان اكون رجلاً منتمياً الى مكان ، رجلاً بين البشر . اسمعي : فان العبد حين يمر ، متعباً مقطباً ، حاملاً عبئاً ثقيلاً ، جاراً ساقه وناظراً الى قدميه ، الى قدميه وحدهما ، ليتفادى من السقوط ، فإنه في مدينته ، كورقة على غصن ، وكشجرة في الغاب ؛ ان أرغوس حوله ، وازنة وحارّة كل الحرارة ، ممثلة بنفسها ؛ انني اريد ان اكون هذا العبد ، يا الكتر ، اريد ان أشد المدينة حولي وأتسربل بها كالغطاء . انني لن أذهب .

الكتر – حتى ولو بقيت مئة سنة بيننا ، فلن تكون الا غريباً ، اشد توحداً مما لو كنت على طريق كبيرة . سوف يحدجك الناس بعينين نصف مغمضتين ، وسيخفضون أصواتهم حين تمر بالقرب منهم .

اورست – أيكون صعباً الى هذا الحد ان يكون المرء في خدمتك ؟ ان ذراعي تستطيع ان تدافع عن المدينة ، وانا أملك ذهباً لأعالج بؤساءكم .

الكتر – نحن لا يعوزنا النقباء ، ولا الاتقياء لفعل الخير .

اورست – واذن ...

(يخطو بضع خطوات ، خافض الرأس . يظهر جوبيتر وينظر اليه وهو يفرك يديه)

اورست (رافعاً رأسه) – ليتني على الأقل اتبين مـــا أرى ! آه يا زوس ، زوس يا ملك السماء ، نادراً ما ألتفت اليك ، وانت لم تكن يومـاً عطوفاً علي ، ولكنك شاهدٌ على اني لم ارد قط الا «الخير» . اما الآن ، فأنا متعب ، ولست أميّز « الخير » من « الشر » ، وأنا بحاجة الى ان يرسم دربي . أينبغي حقـاً يا زوس ان يستسلم ابن ملك ، مطرود من مسقط رأسه ، للنفي ، وان يُخلي المـكان خافض الرأس ، كأنه كلب ؟ اتكون هـــذه ارادتك ؟ انني لا أستطيـع ان أصدق ذلك . ومع ذلك .. مع ذلك ، منعتَ اراقة الدم ... آه ! من يتحدث عن اراقة الدم ، انني لا ادري بعدُ ما أقول ... يا زوس ، اني ابتهل اليك : اذا كان الخضوع والخنوع الكريه هما القانونين اللذين تفرضهما علي ، فعبّر لي عن ارادتك بعلامةٍ ما لأني بتُّ لا اتبيّن شيئاً البتة .

جوبيتر (محدثاً نفسه) طبعاً ! طبعاً : تحت أمرك ! ابراكساس ، ابراكساس تسي – تسي !

(ينشر النور حول الصخرة)

الكتر (تأخذ في الضحك) – ها ! ها ! السماء تمطر اليوم معجزات ! انظر ، يا فيلاب الورع ، انظر ما الذي يرجمه المرء من استشارة الآلهة ! (تأخذها ضحكة مجنونة) يا للشاب الطيّب ... فيلاب الورع : « أظهر لي علامـــة ، يا زوس ، أظهر لي علامة ! » وها هو النور ينتشر حول الصخرة المقدسة . اذهـب ! الى كورنثيا ! الى كورنثيا ! اذهب !

اورست – (ناظراً الى الصخرة) واذن ... هذا هو الخير ؟ (فترة يظل ينظر الى الصخـرة) يجب ان ينسلّ المرء بهدوء . بهـــدوء . وان يقول دائماً « عفواً » و « شكراً » ... أليس كذلك ؟

(فترة ، يظل ينظر الى الصخرة) **الخير ، خيرهم ...**

(فترة) الكتر !

الكتر – امضِ مسرعاً ، امضِ لا تخيّب أمل هذه المرضع العاقلة الـــتي تحنو عليك من أعلى جبل الاولمب (تتوقف ، مذعورة) ما بك ؟

اورست (بصوت متغير) – ان هناك دربا آخر .

الكتر (مذعورة) – لا تمثّل دور الشرير يا فيلاب . لقد طلبت اوامر من الآلهة وانت تعرفها

اورست – اوامر ؟ .. آه ! نعم .. تقصدين : النور هناك ، حول تلك الصخرة الكبيرة ؟ انه ليس لي ، ذلك النور ؛ وليس ثمة من يستطيع بعـــد ان يعطيني الآن اوامر .

الكتر – انت تتكلم بالألغاز .

اورست – ما أبعدك عني ، فجأة ... وكم تغيّر كل شيء ! لقد كان حولي شيء ما حي وحار . شيء ما مات الساعة . فكم يبدو كل شيء فارغـاً ... آه ، ما اوسعه فراغاً ، على مدى النظر ... (يخطو بضع خطوات) ان الليل يهبط ... الا ترين ان الطقس بارد ؟ ... ولكن ماذا ؟ ما الذي مات ؟

الكتر – فيلاب ...

اورست – أقول لك ان هناك دربا آخر ... دربي . ألا ترينه ؟ انه يبدأ من هنا ويهبط نحو المدينة . لا بد من الهبوط ، لو تفهمين ، الهبوط نحـــوك ، فأنت في قعر ثقب .. (يتقدم من الكتر) انت **اختي يا الكتر** ، وهذه المدينة **مدينتي** .

اختي ؟ (يأخذ ذراعها)

الكتر – دعني ! انك تؤلمني ، انك تخيفني – وانا لا أخصُّك .

اورست – أعرف ذلك . انت لا تخصّينني بعد . فأنا أخفُّ مما ينبغي . يجب ان أتخفف من جرم ثقيل يجعلني أغرق في جوف أرغوس .

الكتر – وماذا تنوي ان تفعل ؟

اورست – انتظري . دعيني اودع هـــذه الخفة البريئة التي كانت خفتي . دعيني اودع شبابي . ان هنـاك امسيات ، امسيات كورنثية او اثينية ، ملآى بالأغاني والعطور ، لن امتلكها بعدُ أبداً . وهناك أصباح ملآى بالأمل كذلك ..

هيا ، وداعاً ! وداعاً ! (يتجه نحو الكتر) تعالي ، يا الكتر ، انظري الى مدينتنا . انها هناك ، محمرة تحت الشمس ، تطنّ بالبشر والذباب ، في خدر عنيد لأصيل صيفي ؛ انها تطردني بكل جدرانها ، وكل سقوفها ، وكل ابوابها المغلقة . وهي مع ذلك للأخذ ، وانا احس ذلك منذ هذا الصباح . وانت ايضاً للأخذ يا الكتر . سوف آخذك سأصبح فأساً وسأشق هذه الجدران العنيدة شقاً ، وسأبقر بطن هذه البيوت التقية ، فتبعث من جراحها المفتوحة رائحة طعام وبخور ؛ وسأصبح فأساً فأتغلغل في قلب هذه المدينة ، كالفأس في قلب شجرة سنديان .

الكتر – كم تغيرت ! لقد كفت عيناك عن البريق ، فأصبحتا باهتتين معتمتين . واحسرتاه ! كم كنت رقيقاً يا فيلاب . وهأنتذا تحدثني كما يحدثني الآخر في الحلم .

اورست – اسمعي : افرضي انني اضطلع بجميع جرائم هؤلاء الاشخاص الذين يرتجفون في غرف معتمة ، يحيط بهم رؤساؤهم الميتون . افرضي أني اريد ان أستحق لقب « سارق الندم » وأدخل في جميع الوان ندمهم : ندم المرأة التي خانت زوجها ، وندم التاجر الذي ترك امه تموت ، وندم الدائن الذي صفّى دائنيه حتى الموت ؟

قولي لي ، حين تغمرني ذلك اليوم الوان من الندم اكثر عدداً من ذباب أرغوس ، الوان الندم في المدينة كلها ، الا اكون قد اكتسبت حق المواطنية بينكم ؟ أتراني لن أكون في بيتي ، بين جدرانكم الدامية ، كما يكون الجزار بمريوله الأحمر في حانوته ، بين الجواميس النازفة التي ذبحها ؟

الكتر – اتريد ان تكفّر نيابة عنا ؟

اورست – أكفّر ؟ قلت اني سأدخل في ندمكم ، ولكني لم اقل ما الذي سأفعله بهذه الطيور الصارخة : فربما كانت نيتي ان ألوي رقابها .

الكتر – وكيف تراك ستستطيع ان تتحمّل آلامنا ؟

اورست – انكم لا تطلبون إلا ان تتخلّصوا منها . إن الملك والملكة وحدهما يسمّرانها قسراً في قلوبكم .

الكتر – الملك والملكة ... فيلاب !

اورست – إن الآلهة تشهد اني لم اكن اريد ان اريق دمها .

(صمت طويل)

الكتر – انك أصغر مما ينبغي ، وأضعف مما ينبغي ...

اورست – هل تراجعين الآن ؟ خبئيني في القصر ، وقوديني هذا المساء الى المدخ الملكي ، وسترين اذا كنت ضعيفاً اكثر مما ينبغي ...

الكتر – اورست !

اورست – الكتر ، لقد دعوتني اورست للمرة الاولى .

الكتر – نعم . هذا انت حقاً . انت اورست . انني لا أتعرفك ، لأنني لم اكن انتظرك على هذا النحو . ولكن هذا المذاق المر في فمي ، مذاق الحمى هذا ، انا أحسست به الف مرة في احلامي ، وانا الآن أتعرفه . لقد جئت اذن يا اورست ، وقد اتخذت قرارك ، وهأنذا ، كما في أحلامي ، على عتبة عمل لا سبيل إلى دفعه ، وانا خائفة – كما في الحلم . فيا للحظة التي انتظرها وأخافها منذ زمن طويل ! إن اللحظات الآن ستتدفق كدواليب آلة ، ولن نصيب بعدها راحة قبل ان يصبحا كلاهما ممددين على الارض يوجهين شبيهين بالتوت المسحوق . هذا الدم كله ! وانت الذي ستريقه ، انت الذي كنت تملك تينك العينين الرقيقتين ! واحسرتاه ، انني لن أرى بعد أبداً تلك العذوبة ، لن ارى بعد أبداً فيلاب . انت يا اورست أخي الأكبر ، ورئيس اسرتنا كلها ، فخذلي بين ذراعيك ، إحمني ، لأننا قادمان على آلام كبيرة جداً .

(يأخذها اورست بين ذراعيه . يخرج جوبيتر من غبائه ، ويمضي متخفياً) .

ستار

اللوحة الثانيـــة

(في القصر ؛ قاعة العرش . تمثال لجوبيتر ، رهيب ودام . المساء يهبط)

المشهد الاول

الكتـــر (وهي تدخل اولاً وتشير الى اورست أن يدخل)

اورست – انهم قادمون .

(يضع السيف في يده)

الكتر – ان هؤلاء جنود يقومون بدورتهم . اتبعني : سوف نختـــبيء من هذه الناحية (يختبآن خلف العرش)

المشهد الثـــاني

الكتر واورست – جنديان

الجندي الاول – لا أدري ما حل بالذباب اليوم : انه مجنون .

الجندي الثاني – إنه يشم رائحة الموتى ، فيستخفه الفرح . وانا لا اجرؤ بعدُ على التثاؤب خشية ان يدخل في فمي المفتوح ويذهب يقـــوم بحفلته في حلقومي (تظهر الكتر لحظة ثم تختبىء) عجباً لقد فرقع شيءٌ ما .

الجندي الاول – هذا آغاممنون يجلس على عرشه .

الجندي الثاني – ومؤخرته العريضة تجعل خشب المقعد يفرقع ؟ هـــذا مستحيل ، ايها الزميل ، فليس للموتى من وزن .

الجندي الاول – العامّة هم الذي لا وزن لهم . اما هو ، فقبل ان يكون ميتاً ملكياً ، كان ملكياً عيّاشاً يكسب كيلواته الخمسة والعشرين كل عام. ومن المستغرب ألا يكون قد بقي له بضعة كيلوات .

الجندي الثاني – تظن إذن ... انه هنا ؟

الجندي الاول – وأين تريده ان يكون ؟ لو كنت أنا ملكاً ميتـــاً ، وكانت لي كل عام إجازة أربع وعشرين ساعة ، فمن المؤكـد أني سأعود لأجلس على عرشي واني سأقضي عليه نهاري وانا استعيد ذكريات الماضـي ، من غير ان اؤذي أحداً .

الجندي الثاني - انت تقول هذا لأنك حي . ولكنك لو لم تكن بعدُ حيّاً لما كانت عيوبك دون عيوب الآخرين (يصفعه الجندي الاول) هولا ! هولا !

الجندي الاول – هذا لصالحك ؛ انظر ، فقد قتلت سبعاً بضربة واحدة ، سرباً برمته .

الجندي الثاني – من الموتى ؟

الجندي الاول – لا ، بل من الذباب . ولا بد ان يدي مليئتان بالدم (يمسح يديه بسرواله) يا للذباب البقري !

الجندي الثاني – حبذا لو كانت مولودة – ميتة . انظر الى جميع هؤلاء الموتى هنا : انهم لا ينبسون ببنت شفة ، وهم يتدبرون أمرهم حتى لا يزعجوا الآخرين . وسيكون شأن الذباب حين يموت مثل هذا .

الجندي الاول – اسكت فلو كنت افكر بان هنا ذباباً شبحياً فوق هذا كله..

الجندي الثاني – ولمَ لا ؟

الجندي الاول – أتتصور ذلك؟ ان هذه الحشرات تموت بالملايين كل يوم. فلو قد أُطلق في المدينة جميع الذباب الذي مات منذ الصيف الماضي ، فسيكون ثمة ثلاثمئة وخمس وستون ذبابة ميتة على ذبابة حية واحدة، وكلها تطوّف حولنا . تصور ! سيكون الهواء مسكّراً بالذباب، وسنأكل ذباباً ونتنفس ذباباً، وسيسيل الذباب ذوباً متدبقاً في شعابنا وامعائنا ... ولعله بسبب هذا تعوم في هذه الغرفة تلك الروائح الفريدة .

الجندي الثاني – عجباً ! قاعة بالف قدم مربع مثل هذه القاعة ، يكفي بضعة اموات لينتنوها .. ويقال إن لأمواتنا أنفاساً كريهة .

الجندي الاول – اسمع ! إن هؤلاء الرجال يأكل بعضهم دم بعض ..

الجندي الثاني – اقول لك ان هناك شيئاً ما : فخشب الارض يفرقع .

(يذهبان لينظرا خلف العرش من اليمين، فيخرج الكتر واورست من اليسار ، ويران امام درجات العرش ، ويعودان إلى مخبئهما من اليمين، في اللحظة التي يخرج فيها الجنديان من اليسار).

الجندي الاول – ترى جيداً ان ليس ثمة أحد . انه كما قلت لك آغاممنون،

آغاممنون الملعون ! لا بد انه جالسٌ على هذه الوسائد ، مستقيماً كأنه الألف، وهو ينظر الينا ؛ وليس له ان يقضي وقته الا بان ينظر الينا .

الجندي الثاني – من الأفضل ان نعدّل موضعنا ، وسواء لدينا ان يدفدغ الذباب أنفينا .

الجندي الاول – كنت اوثر ان اكون في فرقة الحرس ، وأنا مشارك في اية غارة . ان الموتى الذين يعودون هنا اصدقاء لنا ، عسكر عاديون ، مثلنا . ولكني حين أتذكّر ان المرحوم الملك هنا ، وانه يعدّ الازرار التي تنقص سترتي ، أحسّني عجيباً طريفاً ، كما يحدث حين يستعرضنا الجنرال .

(يدخل أجيست ، وكليتمنستر ، وخدم يحملون مصابيح)

أجيست – دعونا وحدنا .

المشهد الثالث

أجيست – كليتمنستر – اورست والكتر (مختبئين)

كليتمنستر – ما بك ؟

أجيست – هـــل رأيت ؟ لو أني لم أصعقهم بالإرهاب لتخلصوا من ندمهم بلحظة واحدة .

كليتمنستر – أهذا وحده مـــا يقلقك ؟ انك مستطيعٌ دائماً ان تثلّج شجاعتهم في الوقت المناسب .

أجيست – هذا ممكن . فأنا شديد البراعة في هذا التمثيل (فترة) انا آسف انه وجب عليّ أن أعاقب الكتر .

كليتمنستر – أيكون ذلك لأنهـــا ابنتي ؟ لقد راق لك ان تعاقبها ، وانا أجد كل ما تفعله جيداً .

أجيست – انا لست آسفاً على ذلك ، من اجلك انت يا امرأة .

كليتمنستر – اذن ، لماذا ؟ انك لم تكن تحب الكتر .

إجيست – انني متعب . ها قد انقضى خمسة عشر عاماً وانا أحمل في الهواء، بطرف ذراعي ، ندم شعبٍ برّمته . ها قد انقضى خمسة عشر عاماً وانا ارتدي لباس الفزّاعة : وقد انتهى الأمر بجميع هذه الثياب السوداء الى ان تحلّ على روحي .

كليتمنستر – ولكني ، يا مولاي ، انا نفسي ...

أجيست – اعرف ، ايتها المرأة ، أعرف : انـك ستحدثينني عن ندمك . حسناً ، اني أحسدك عليه ، فهو يعمرُ لـــك حياتك . اما انا ، فليس عندي ندم ، ولكن ليس في ارغوس من هو في مثل حزني .

كليتمنستر – يا مولاي العزيز ...

(تقترب منه)

أجيست – دعيني ، ايتها الساقطة ! ألا تخجلين ، تحت انظاره ؟

كليتمنستر – تحت انظاره ؟ من هو الذي يرانا ؟

أجيست – عجباً ! انه الملك . لقد أطلق الموتى ، هذا الصباح .

كليتمنستر – ابتهل اليك يا مولاي ... ان الموتى هم تحت الارض ، ولـن يزعجونا في هذا الوقت المبكر . اتراك قد نسيت انك انت نفسك قد اخترعت هذه الأساطير من أجل الشعب ؟

أجيست – انت على حق ايتها المرأة . واذن ؟ انت ترين كم انا متعب ؟ دعيني ، اني اريد ان أتأمل .

(تخرج كليتمنستر)

المشهد الرابع

اجيست – واورست والكتر (مختبئين)

أجيست – أهذا يا جوبيتر هو الملك الذي كنت بحاجة اليه من أجـــل أرغوس ؟ انني اروح وأجيء وأحسن الصياح بصوت قوي، وأحمل في كل مكان مظهري الكبير المرعب ، ويحسّ الذين يرونني انهـــم مذنبون حتى النخاع . ولكني صَدَفة فارغة : لقد أكل وحشٌ مـا داخلي من غير ان أحسّ بذلك . وها أنا الآن انظر في ذاتي ، فأرى اني اكثر موتاً من آغا ممنون . هـل قلت اني كنت حزيناً ؟ لقد كذبت . فليست هي حزينة ولا جذلة ، الصحراء ، وعـدم الرمل الذي لا يُحصى تحت عـدم السماء الصافية : انه مشؤوم . آه ! انني أهب مملكتي مقابل ان اذرف دمعة !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم – جوبيتر

جوبيتر – لا تَشُكّ : فانا ملك شبيه بجميع الملوك .

أجيست – من انت ؟ وماذا انت قادم تفعل هنا ؟

جوبيتر – أتراك لا تعرفني ؟

اجيست – اخرج من هنا ، وإلا أمرت حرسي ان يضربوك .

جوبيتر – اتراك لا تعرفني ؟ لقد رأيتني مع ذلك . كان ذلـك في الحلم . صحيح أني كنت أبدو بهيئة اكثر ترويعاً (رعد وبرق. جوبيتر يتخذ مظهر الترويع) وهكذا !

اجيست – جوبيتر ؟

جوبيتر – ها نحن اذن (يعود فيصبح باسمـاً ، ويقترب من التمثال) أهذا أنا؟ أهكذا يتصورونني حين يقومون بصلواتهم ، سكان أرغوس ؟ إنه لمن النادر ان يستطيـع إلهٌ ان يتأمل صورته وجهاً لوجه (فترة) مـا أبشعني ! لا شك في انهم لا يحبونني كثيراً .

اجيست – انهم يخافونك .

جوبيتر – حسناً . لست بحاجة الى ان أكون محبوباً . أتحبني ، أنت ؟

اجيست – ماذا تريد مني ؟ ألم أدفع بما فيه الكفاية ؟

جوبيتر — لن تدفع ابداً بما فيه الكفاية .

اجيست — اني اموت وانا أقوم بمهمتي .

جوبيتر — لا تبالغ ! إنك في صحة جيدة ، وانت سمين . والحق اني لا أؤاخذك على ذلك . إنه شحم ملكي جميل ، أصفر ، كشمع القنديل . وانت مصنوع لتعيش بعدُ عشرين عاماً .

اجيست — عشرين عاماً ؟

جوبيتر — هل تتمنى ان تموت ؟

اجيست — نعم .

جوبيتر — لو دخل أحد الى هنا يحمل سيفاً مشهراً ، أتراك تمد صدرك لهذا السيف ؟

اجيست — لا أدري .

جوبيتر — أصغِ الي جيداً ، اذا مكنّت لأحدٍ ان يذبحك كالعجل ، فستعاقب عقاباً نموذجياً ؛ ستبقى ملكاً في الجحيم الى أبد الآبدين هذا ما أتيت أبلغك إياه .

اجيست — وهل هناك من يسعى لقتلي ؟

جوبيتر — يبدو ذلك .

أجيست — الكتر ؟

جوبيتر — وشخص آخر ايضاً .

اجيست — من ؟

جوبيتر — اورست !

اجيست — آه ! (فترة) حسناً ، إن هذا منطقي ، فما حيلتي في ذلك ؟

جوبيتر — « فمـا حيلتي فى ذلك ؟ » (يغير لهجته) أصدر أمرك فوراً بالقبض على شاب غريب يدعو نفسه فيلاب . وليُلقَ مع الكتر في نخبأ عميق ، وانا أسمح لك بان تنساها فيه . ولكن ماذا تنتظر ؟ نادِ حَرَسَك .

اجيست — لا .

جوبيتر — هل تتفضّل بان تشرح لي أسباب رفضك ؟

اجيست — انني متعَب .

جوبيتر — لماذا تنظر الى قدميك ؟ أدِرْ نحوي عينيك المخططتين بالدم . انك نبيل وبليد كأنك حصان . ولكن مقاومتك ليست من تلك المقاومات التي تفيظني . إنها الفلفل الذي سيجعل خضوعك ، بعد قليل ، ألذ وأطيب . ذلك اني واثق من انك ستخضع في آخر الأمر .

اجيست — اقول لك اني لا اريد ان أدخل في مشاريعك . لقد فعلت ذلك اكثر مما ينبغي .

جوبيتر — تشجع ! قاوم ! قاوم ! آه ! كم انا متعطش الى نفوس كنفسك ! ان عينيك ترسلان بروقاً ، وانت تحرق الارم وتلقي برفضك في وجه جوبيتر . ولكنك ايها العنيد ، ايها الحصان الصغير ، ايها الحصان الصغير الرديء ، كنت منذ وقت طويل تقول لي نعم . كفى ، وستطيعني . أتظن اني اترك جبل الاولمب بلا سبب ؟ لقد اردت ان أحذّرك من هذه الجريمة ، لأنه يروق لي ان احول دون وقوعها .

اجيست — تحذّرني ... هذا غريب حقاً .

جوبيتر — على العكس ، ليس ثمة ما هو اكثر طبيعية من ذلك : اني اريد ان أبعد هذا الخطر عن رأسك .

اجيست — ومن كان يطلب منك هذا ؟ وآغاممنون ، أتراك قد حذرته ، هو ؟ لقد كان مع ذلك يريد ان يعيش .

جوبيتر — يا للنفس العاقة ، ويا للشخصية البائسة : انت اعزّ عندي من آغاممنون ، وانا اثبت لك ذلك ، فأراك تشكو .

اجيست — أعزّ من آغاممنون ؟ انا ؟ إن اورست هو العزيز لديك . لقد سمحتَ بأن أضيّع نفسي ، وقد تركتني اركض الى حمّام الملك ، والفأس في يدي — ولا شك في انك كنت تلحس شفتيك ، هناك فوق ، وانت تفكّر بان روح المذنب لذيذة . اما اليوم ، فانك تحمي اورست من نفسه — وانت

الذي دفعتني الى قتل الأب ، اخترتني لأمسك ذراع الابن . كنت صالحاً فحسب لأن أكون قاتلاً . اما هو ، فلا شك في انه مرصود لأشياء اخرى في نظرك !

جوبيتر — يا له من حسد عجيب ! اطمئن بالاً : فانا لا أحبّه اكثر مما أحبّك . انني لا أحبّ أحداً .

اجيست — انظر إذن ، ايها الإله الظالم ، ماذا صنعت مني . وأجبني : اذا كنت تمنع اليوم الجريمة التي يفكر اورست بارتكابها، لماذا تراك قد سمحت بجريمتي؟

جوبيتر — ليست جميع الجرائم تسوؤني بالنسبة نفسها . اننا يا أجيست ملكان ، وسأتحدث اليك بصراحة : الجريمة الاولى ، انا الذي ارتكبتها بخلق بشر قابلين للموت . وبعد ذلك ، ما كان بوسعكم ان تعملوه ، انتم القتلة ؟ أن تهبوا ضحاياكم الموت ؟ كفى، كفى ! لقد كانوا يحملون الموت قبلاً في نفوسهم. وقصاراكم انكم كنتم تستعجلون تفتّحه قليلاً . أتدري ما كان يحصل لآغاممنون لو لم تقتله؟ كان سيموت بعد ثلاثة أشهر بالسكتة القلبية على صدر عبدة جميلة . ولكن جريمتك كانت تخدمني .

أجيست — كانت تخدمك ؟ انني اكفّر عنها منذ خمسة عشر عاماً ، وقد كانت تخدمك ؟ يا للمصيبة !

جوبيتر — واي عجب في هذا ؟ انها تخدمني لأنك تكفر عنها ؛ انني احبّ الجرائم التي تطلب التكفير . وقد احببت جريمتك لأنها كانت قتلاً أعمى أصمّ ، مجهولاً من نفسه ، قديماً ، أشبه بالكارثة الطبيعية منه بالمشروع البشري. انك لم تحتقرني لحظة واحدة : لقد ضربت وانت في عنفوان الغضب والخوف ؛ ثم بعد ان سقطت درجة الحرارة، تأملت عملك باستغطاع ولم ترد ان تعترف به. ومع ذلك ، فأية فائدة أصبتُها منه ! كانت النتيجة عشرين الف رجل غارقين في الندم مقابل رجل واحد قتيل . انني لم أعقد صفقة رديئة !

اجيست — انني افهم غايتك من هذه الخطب كلها : إن اورست لن يُعاني الندم .

جوبيتر — لن يعاني ظلاً من ندم . انه في هذه الساعة يضع خططه في

منهجية ، وتواضع . مرتاح الرأس . فما عساني أصنع بجريمة قتل لا يُعقبها ندم ، جريمة وقحة ، جريمة هادئة مطمئنة ، خفيفة كأنها البخار في رأس مرتكبها ؟ سوف أمنع هذا ! آه ! انني أكره جرائم الجيل الجديد : فهي عاقة كالزؤان . انه سيقتلك كالدجاجة ، ذلك الشاب الرقيق ، وسيمضي بيدين حمراوين وضمير نقي ؛ ولو كنت مكانك لشعرت من ذلك بالمذلة . هيّا ! ناد حرسك !

اجيست — قلت لك ان لا . إن الجريمة التي تُهيّأ هي أشدّ إساءة لك من ألا تروق لي !

جوبيتر (مغيراً لهجته)— انت ملك يا أجيست ، وانا أتوجه الى ضميرك الملكي لأنك تحبّ ان تملك .

اجيست — ماذا تقصد ؟

جوبيتر — انت تكرهني ولكننا قريبان ؛ لقد صنعتك على صورتي : ان الملك إله على الأرض ، نبيل وحزين كالإله .

اجيست — حزين ؟ انت حزين ؟

جوبيتر — انظر اليّ (صمت طويل) لقد قلت لك انك مصنوع على صورتي. اننا كلانا نشذ النظام ، انت في ارغوس ، وانا في العالم ؛ والسرّ نفسه يزن ثقيلاً في قلبينا .

اجيست — ليس عندي سرّ .

جوبيتر — بلى . هو سري نفسه . السر المؤلم للآلهة والملوك : وهو أن البشر أحرار . انهم احرار يا اجيست . انت تعرف ذلك ، وهم لا يعرفونه .

اجيست — لو كانوا يعرفونه لأحرقوا القصر من اركانه الأربعة . وها قد مضى خمسة عشر عاماً وانا أمثّل لأقنّع عنهم قدرتهم .

جوبيتر — انت ترى جيداً اننا متشابهان .

اجيست — متشابهان ؟ بأية لهجة ساخرة يدّعي إلهٌ أنه شبيهي؟ إن أعمالي واقوالي ، منذ استوليت على الملك ، تهدف الى تكوين صورتي ؛ وانا اريد من كل رعية من رعاياي ان يحملها في ذاته وان يُحسّ ، حتى في الوحدة ، بنظري

القاسي يثقل على أشدّ افكاره خفاءً . ولكنني انا أوّل ضحاياي : انني لا ارى نفسي بعدُ إلاّ كما يرونني ، وانا المخني فوق بشر نفوسهم الفاغرة ، وصورتي هناك ، في الاعماق ، تنفّرني وتسحرني . فيا ايها الإله القادر ، من عساني أكون ، إلاّ الخوف الذي يكنّه الناس لي ؟

جوبيتر – وانا ، من تظنّني أكون ، (مشيراً الى التمثال) إنّ لي انا ايضاً صورتي . أتظنّ انها لا تحدث لي دواراً ؟ انني منذ مئة الف سنة أرقص امام البشر . رقصة بطيئة مظلمة . ويجب ان ينظروا إليّ : فما دامت عيونهم محدّقة بي ، ينسون ان ينظروا في ذواتهم . واذا نسيت نفسي لحظة ، واذا تركت انظارهم تلتفت قليلاً ...

اجيست – ماذا يحدث ؟

جوبيتر – دعك من هذا . إن هذا لا يعني إلاّ ي . انك متعَبٌ يا أجيست ، ولكن مم ؟ انت تشكو ؟ انك ستموت . اما انا ، فلا . فما دام على هذه الارض بشر ، فانا محكوم عليّ ان أرقص امامهم .

اجيست – واحسرتاه ! ولكن من حكم علينا ؟

جوبيتر – لا أحد الا أنفسنا ؛ ذلك اننا نملك الهوس نفسه . انك تحب النظام ، يا أجيست .

اجيست – النظام . هذا صحيح . ومن أجل النظام أغويت كليتمنستر ، ومن أجل النظام قتلت مليكي ؛ كنت اريد ان يسود النظام ، وان يسود على يدي . لقد عشت بلا رغبة ، بلا امل ، بلا حب : وانما أقمت النظام . فيا للهوس الإلهي الفظيع !

جوبيتر – ليس بوسعنا ان يكون لنا سواه : انني إله ، وقد وُلدت انت لتكون ملكاً .

أجيست – مع الأسف !

جوبيتر – يا أجيست ، يا مخلوقي وأخي البشري ، باسم هذا النظام الذي نخدمه كلانا ، آمرك : اقبض على اورست وعلى اخته .

اجيست – أهما خطيران الى هذا الحد ؟

جوبيتر – ان اورست يعلم أنه حر .

اجيست – (بحيرة) هو يعرف أنه حر . لا يكفي إذن ان يقيَّد بالحديد . إن رجلاً حراً في المدينة هو أشبه بعنزة جرباء في قطيع . فهو سوف يصيب بالعدوى مملكتي كلّها ويهدم عملي . فماذا تنتظر ، ايها الإله القدير ، لكي تصعقه ؟

جوبيتر (بهدوء) – لأصعقه ؟ (فاتر . بلهجة متعبة) اسمع يا أجيست : إن للآلهة سراً آخر .

اجيست – ماذا تراك ستقول لي ؟

جوبيتر – حين تنفجر الحرية يوماً في قلب انسان ، فان الآلهة لا يملكون الا العجز تجاه هذا الانسان . ذلك انها قضية بشر ، ويجب على البشر الآخرين – عليهم وحدهم – ان يتركوه يجري او ان يخنقوه .

اجيست . (ناظراً اليه) – ان يخنقوه ؟ حسناً . انني سأطيعك بلا ريب . ولكن لا تضف شيئاً . ولا تبق هنا وقتاً اطول ، لأنني لا أستطيع احتمال ذلك .

(يخرج جوبيتر)

المشهد السادس

اجيست (يبقى وحده لحظة) **ثم الكتر واورست**

الكتر (قافزة نحو الباب) — إطعنه ! ولا تدع له وقتاً للصراخ ؛ إنني أرتج الباب .

اجيست — أهذا أنت إذن يا اورست ؟

اورست — دافع عن نفسك !

اجيست — لن أدافع عن نفسي . لقد فات الاوان لكي استغيث ، وانا سعيد ان يكون قد فات الاوان . ولكنني لن ادافع عن نفسي : اريد ان تقتلني .

اورست — حسناً . إن الطريقة لديّ سواء . وسأكون قاتلاً .

(يضربه بسيفه)

اجيست (مترنحاً) — لم تكن ضربتك فاشلة (يتثبت باورست) دعني انظرك . أصحيح أنه ليس لديك ندم ؟

اورست — ندم ؟ لماذا ؟ انني افعل ما هو عدل .

اجيست — ما هو عدل ، هذا ما يريده جوبيتر . لقد كنتَ مختبئاً هنا ، وسمعتَه .

اورست — ماذا يهمني جوبيتر ؟ إن العدالة هي قضية بشرية ، ولست

بحاجة الى إله ليعلمني اياها . ان من العدل أن أسحقك ، ايها الفاجر القذر ، وان أهدم مملكتك على سكان أرغوس ، ومن العدل أن أرد لهم شعورهم بالكرامة .

(يدفعه عنه)

اجيست — أحس بالألم .

الكتر — انه يترنح ، ووجهه ممتقع ، يا للفظاعة ! ما أبشعه منظراً ، منظر انسان يموت .

اورست — اسكتي . ولا يحملنّ ذكرى اخرى الى القبر غير ذكرى فرحتنا .

اجيست — لعنتا انتما الاثنين .

اورست — اترى الموت لم يجهز عليك بعد ؟

(يضربه مرة اخرى . يسقط أجيست)

أجيست — حذار من الذباب ، يا اورست ، حذار من الذباب . لم ينسه كل شيء .

(يموت)

اورست (دافعاً اياه بقدمه) — إن كل شيء قد انتهى بالنسبة اليه على اي حال . إصحبيني الى غرفة الملكة .

الكتر — اورست ...

اورست — ماذا ؟ ..

الكتر — انها لا تستطيع بعدُ ان تؤذينا ..

اورست — وإذن ؟ انني لا أتعرّفك . لم تكوني تتحدثين كذلك منذ لحظة .

الكتر — وانا يا اورست لا أتعرفك بعد .

اورست — حسناً ، انا ذاهب وحدي .

(يخرج)

المشهد السابع

الكتر (وحدها)

الكتر – أتراها سوف تصرخ ؟ (فترة ، ترهف سمعها) انـــه يمشي في الممر . وحين يفتح الباب الرابع .. آه ! لقد أردت ذلك ! اني أريده ، ولا بد اني مـا زلت اريده . (تنظر الى أجيست) ان هذا قد مات . هذا إذن ما كنت اريده . لم اكن أعي ذلك . (تقترب منه) مئة مرة رأيته في الحلم ، ممدداً في هذا المكان نفسه والسيف في قلبه . لقد كانت عيناه مغمضتين ، وكان يبدو نائمـاً . وكم كنت حاقدة عليه ، كم كنت مسرورة بأن أحقد عليه . انه لا يبدو نائماً ، وعيناه مفتوحتان ، انه ينظر الي . لقد مات – ومات حقدي معه . وانا هنا، أنتظر، والاخرى ما تزال حية ، في داخل غرفتها ، وهي عما قليل ستصرخ . انهـا ستصرخ كالوحش . آه ! لا أستطيع بعدُ أن أتحمل هذا النظر (تركع وتلقي معطفاً على وجه أجيست) ماذا كنت اريـد اذن ؟ (صمت . ثم صراخ كليتمنستر) لقد طعنها . كانت أمّنا ، وقد طعنها . (تنهض) هأنذا : لقد مات اعدائي . وطوال أعوام ، تمتعت بهذا الموت مسبقاً ، اما الآن ، فان قلبي مضغوط في كلابة . أتراني قـد كذبت على نفسي طوال خمسة عشر عاماً؟ ليس هذا صحيحاً، ليس هذا صحيحاً! لا يمكن ان يكون صحيحاً : فانا لست جبانة ! لقد أردتها ، هـذه الدقيقة ، وما زلت أريدها . اردت ان ارى هـذا الخنزير القذر مطروحاً على قدمي . (تنزع المعطف) ماذا يهمني نظرك ، نظر السمكة الميتة ؟ لقد اردته هـذا النظر . وانا اتمتع به (صراخ أضعف من كليتمنستر) لتصرخ ! لتصرخ ! اني اريـد صراخها المذعور واريد آلامها . (ينقطع الصراخ) يا للفرحة ! يا للفرحة ! انني أبـكي فرحاً : لقد مات اعدائي ، وأدرك أبي ثأره .

(يعود اورست ، وبيده سيف يقطر دمًا . تهرع اليه)

المشهد الثامن

الكتر – اورست

الكتر – اورست !

(ترتمي بين ذراعيه)

اورست – مم انت خائفة ؟

الكتر – لست خائفة ، بل انا ثملة . ثمـلة من الفرح . ماذا قالت ؟ أتراها قد ابتهلت طويلاً للصفح عنها ؟

اورست – اسمعي يا الكتر : انني لست نادماً على مـا قمت به ، ولكني لا ارى من الخير ان أتحدّث عنه : إن هناك ذكريات لا تُشاطر . اعلمي فقـط انها ماتت .

الكتر وهي تلعننا ؟ قلْ لي هذا فقط : وهي تلعننا ؟

اورست – نعم ، وهي تلعننا .

الكتر – خذني بين ذراعيك ، يا حبيبي ، وشُدّني بكل قواك . مـا أكثف الليل ، وكم تجهد أنوار هذه المصابيح في أن تخرقه ! هل تحبني ؟

اورست – ليس هو الليل : بل مطلع النهار . اننا احرار يا الكتر . يخيّل إليّ اني جعلتك تولدين ، واني وُلدت معك ! اني أحبّك وانت تخصّينني . كنت حتى الأمس ما ازال وحيداً ، وانت اليوم تخصّينني . إن الدم يوحد بيننا توحيداً

مزدوجاً لأننا من دم واحد ، وقد أرقنا دماً .

الكتر — ألق سيفك ، وهات يدك هذه . (تأخذ يده وتقبلها) إن أصابعك قصيرة ومربعة . إنها مصنوعة لكي تأخذ وتمسك . ايتها اليد العزيزة ! انها أشدّ بياضاً من يدي . وكم قد ثقلت لتضرب قاتليْ أبينا ! انتظر (تذهب فتحمل مصباحاً وتدنيه من اورست) يجب ان أضيء وجهك ، لأن الليل يتكاثف ، ولا اراك بعدُ في وضوح . انني بحاجة لأن أراك : وحين لا اراك بعد ، أخاف منك ؛ يجب ألاّ أغادرك بعينيّ . انني أحبّك . يجب ان افكر بأني أحبك . ما أشدّ ما تبدو غريباً !

اورست — انني حرّ يا الكتر ؛ لقد انقضّت الحرية عليّ كالصاعقة .

الكتر — حرّ ؟ أما انا فلا أحسني حرة . اكان بامكان هذا ألاّ يحدث ؟ لقد وقع شيء لسنا بعدُ أحراراً في رده . فهل بوسعك ان تحول دون ان نكون الى الابد قاتليْ أمنا ؟

اورست — أتظنين ان بودّي ان أحول دون ذلك؟ لقد قمت بعملي، يا الكتر ، وكان هذا العمل طيباً . وسوف أحمله على كتفيّ كما يحمل عابر الماء المسافرين ، وسوف أنقله الى الشاطىء الآخر واقدّم عنه حساباً . وسأزداد بهجةً ما ازداد ثقلاً على الحمل ، لأن حرّيتي هي إياه . كنت حتى الامس ما ازال أمشي على الارض اتفاقاً ، وكانت آلاف من الدروب تفرّ من تحت قدميّ ، لأنها كانت تخصُّ آخرين . لقد استعرتها كلها ، درب ساحبي المراكب ، ذلك الذي يحاذي النهر ، وزقاق المكاري ، وطريق سائقي العربات المبلّط؛ ولكن لم يكن ثمة ايّ درب لي . اما اليوم فليس ثمة الا درب واحد ، والله يعلم الى اين يفضي : ولكنه دربي . مابك ؟

الكتر — انني لا أستطيع بعدُ أن اراك . فهذه المصابيح لا تضيء . انني اسمع صوتك ، ولكنه يؤلمني ، وهو يقطعني كالسكين . أيكون الظلام شديداً هكذا بعد الآن ، حتى في النهار ؟ اورست ! ها هو ذا !

اورست — مَنْ ؟

الكتر — ها هوذا ! من اين هو آت ؟ انه يتدلى من السقف كعناقيد العنب الأسود ، وهو الذي يسوّد الجدران ؛ إنه ينسلّ بين الأضواء وبين عينيّ ، وظلاله هي التي تسرق مني وجهك .

اورست — الذباب ...

الكتر — اسمع ! .. اسمع طنين أجنحته ، شبيهاً بهدير كور . إنه يحيط بنا يا اورست . انه يترصّدنا ، وهو عمّا قليل سينقضّ علينا ، وسأحسّ الف رجل دبقة على جسمي . فأين المفرّ ، يا اورست ؟ انه ينتفخ ، إنه ينتفخ ، وها هو كبير كالنحل ، وهو سيتبعنا الى كل مكان في دوّامات سميكة . يا للفظاعة ! اني اري عيونه ، ملايين عيونه تنظر الينا .

اورست — ماذا يهمنا الذباب ؟

الكتر — إنه آلهات الندم يا اورست ، إنه « الاريني » .

اصوات (خلف الباب) — افتحوا ! افتحوا ! إذا لم يفتحوا فيجب ان نحطم الباب .

(طرقات عنيفة على الباب)

اورست — إن صراخ كليتمنسترا قد نبّه الحرس . تعالَيْ ! قوديني الى معبد ابولون؛ سنقضي فيه ليلتنا ،بمنجى من البشر والذباب. وغداً سأتحدّث الى شعبي.

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الاول

(معبد ابولون . في الظل . تمثال لابولون في وسط المسرح . الكتر واورست ثائفان عند أسفل التمثال ، محيطين ساقيه بذراعيهما . « الاربني » آلهات الندم تحيط بهما ، وهي نائمة واقفة ، كالطيور طوال الساق . في الداخل ، باب برونزي ثقيل) .

الاهة اولى (متمطية) — هاهه ! لقد نمت واقفة ، مستقيمة من فرط الغضب ، وحلمت أحلاماً مغتاظة هائلة . فيا لزهرة الغضب الجميلة ، يا للزهرة الجميلة الحمراء في قلبي (تدور حول اورست والكتر) إنهما نائمان . ما أشدّ بياضهما ، وما أرقّهما ! سوف ألتفُّ على بطنهما وصدرهما كما يلتفّ غديرٍ على الحصباء . وسوف أصقل بصبر هذه البشرة الدقيقة ، وأدلكها ، وأقشرها حتى العظم . (تقوم ببضع خطوات) يا لصباح الحقد النقيّ ! اية يقظة رائعة : انهما نائمان ، دِبقان ، تنبعث منهما رائحة الحمى ؛ امـــا أنا ، فساهرةٌ ، نضرة ، قاسية ، إن روحي من نحاس — وانا أحسّني مقدّسة .

الكتر (في نومها) — واحسرتاه !

الاهة ثانية — إنّهـا تئن . صبراً ، فستعرفين عمّا قليل لدغاتنا ، وسنجعلك تهمهمين تحت مداعباتنا . سوف أدخل فيك ، كما يدخل الذكر في الانثى ، لأنك

زوجتي وستحسّين ثقل حبي . انك جميلة يا الكتر ، أجمل مني ؛ ولكنك سترين ، إن قبلاتي تدفع الى الشيخوخة ، فلن تمضي ستة أشهر حتى اكون قـد حطمتك كعجوز ، وسأبقى أنا صبيّة (تنحني عليها) انها فريستان جميلتان قابلتان للهلاك وجديرتان بان تؤكلا ؛ انـــي انظر اليهما ، وأتنشّق أنفاسهما فيخنقني الغضب . ويا للذة ان أحسّ نفسي صباحَ حقدٍ صغيراً ، لذة ان أحسّني مخالب وفكّين ، مع نارٍ تسري في العروق . إن الحقد يغرقني ويخنقني ، ويصعد في صدري كأنه الحليب . استيقظي يا اخواتي ، استيقظي : فهذا هو الصباح .

الاهة الثانية — كنت أحلم اني كنت ألدغ .

الاهة الاولى — صبراً : فانّ إلهاً يحميهما اليوم ، ولكن لن يلبث العطش والجوع ان يطردهما من هذا الملجأ . وآنذاك ستلدغينهما بكل اسنانك .

الاهة ثالثة — هاهه ! اريـد أن أحلب .

الاهة الاولى — انتظري قليلاً : فان اظفارك الحديدية ستخطّ عما قريب الف درب أحمر في لحم الآثمين . اقتربن يا أخواتي ، تعالين انظرن اليهما .

الاهة — ما أنضرهما !

الاهة اخرى — ما أجملهما !

الاهة الاولى — ابتهجن : فانالمجرمين هم غالباً عجائز بشعون ؛ ونادرةٌ هي الفرحة اللذيذة للقضاء على ما هو جميل .

الاهات — هياهاه ! هياهاه !

الاهة الثالثة — إن اورست يكاد يكون صبياً . وسيكنُّ حقدي عليه رقةٍ رؤوماً . سوف آخذ على ركبتي رأسه الممتقع واداعب شعره .

الاهة الاولى — وبعد ذلك ؟

الاهة الثالثة — وبعد ذلك أغرز فجأة اصبعيّ هذين في عينيه .

(يأخذن جميعاً في الضحك)

الاهة الاولى — انها يتنهّدان ويتقلّبان ، فيقظتهما قريبة . هيّا ، هيا اخوتي الذباب ، لننزع الآثمين من نومهما بأغانينا .

جوقة الالامات – بز ، بز ، بز ، بز .
سوف نحطّ على قلبك الفاسد كالذباب على قطعة حلوى
ايها القلب الفاسد ، ايها القلب النازف ، ايها القلب اللذيذ
سوف نجني كالنحل نتن قلبك وقذارته
ونجعل منه ، سوف ترى ، عسلا جميلا أخضر
اي حبّ تُراه يملأنا رضى مثل الحقد ؟
بز ، بز ، بز ، بز .
سنكون عيون البيوت المحدّقة .
وهرير كلب الحراسة الذي سيكشّر عن انيابه لدى مرورك
والطنين الذي سيطير في السماء فوق الرأس
وضجيج الغابة
سنكون الصفير والزعيق والنعيب ،
سنكون الليل .
ليل روحك الكثيف
بز ، بز ، بز ، بز .
هياهاه ، هياهاه ، هياهاه .
بز ، بز ، بز ، بز .
نحن مصّاصات النتن ، الذباب
وسنقاسمك كل شيء .
سنذهب بحثاً عن الغذاء في فمك وشعاع النور في قلب عينيك
وسنواكبك حتى القبر
ولن نتنازل عن مكاننا إلاّ للدود
بز ، بز ، بز ، بز .
(يرقص الذباب)
الكتر (مستيقظة) – من يتكلم ؟ من انتنّ ؟

الالامات – بز ، بز ، بز .
الكتر – آه ! ها أنتنّ ذا . ماذا ؟ هل قتلناها حقاً ؟
اورست (مستيقظاً) – الكتر !
الكتر – وانت ، من انت ؟ آه ! انت اورست . إذهب عنّا .
اورست – ولكن ما بك ؟
الكتر – انك تخيفني . لقد حلمت بأن امي سقطت على ظهرها وانها تنزف ، وان دمها كان يجري جداول تحت جميع ابواب القصر . إلمس يدي ، انها باردتان. لا ، دعني . لا تلمسني . أتراها قد نزفت كثيراً ؟
اورست – اسكتي .
الكتر (مستيقظة تماما) – دعني أراك : لقد قتلتها . انت الذي قتلتها . انك هنا ، وقد استيقظت الساعة ، وليس على وجهك شيء مسطور ، ومع ذلك فقد قتلتها .
اورست – واذن ؟ نعم ، لقد قتلتها ! (فترة) انت ايضاً تخيفينني . لقد كنت جميلة جداً ، بالأمس . اما اليوم ، فكأن وحشاً قد خرّب وجهك بمخالبه .
الكتر – وحش ؟ إنه جُرمك . إنه ينتزع وجنتي وجفوني : ويخيّل إلي ان عيني وأسناني عارية . وهؤلاء ، من هن ؟
اورست – لا تفكري بهن . إنهن لا يستطعن شيئاً ضدي .
الالامة الاولى – لقد أتينا ، اذا جرؤت ، وسترى ان كنا لا نستطيع شيئاً ضدها .
اورست – صمتاً ، ايتها الكلاب . عُدْن الى مرقدكن !(تهدر الالامات) تلك التي كانت أمس في ثوبها الأبيض ترقص على درجات المعبد ، أيمكن ان تكون إياك ؟
الكتر – لقد شخت . في ليلة واحدة .
اورست – انك ما تزالين جميلة ، ولكن ... اين تراني قد رأيت هاتين

العينين الميتتين ؟ الكتر ... انك تشبهينها ؛ تشبهين كليتمنسترا . أكان من الجدي أن أقتلها ؟ انني حين ارى جريمتي في هاتين العينين ، أجده فظيعاً مخيفاً .

الالاهة الاولى – ذلك انها تجدك فظيعاً مخيفاً .

اورست – أهذا صحيح ؟ أصحيح اني أثير لديك الاشمئزاز والخوف ؟

الكتر – دعني .

الالاهة الاولى – وإذن ؟ هل يبقى لديك ايّ شك ؟ كيف تراها لن تحقد عليك ؟ كانت تعيش بسلام مع أحلامها ، فأتيت تحمل الذبح والتدنيس . وها هي ذي ، تشاطرك غلطتك ، مسلوبةً على هذه القاعدة ، قطعة الارض الوحيدة الباقية لها .

اورست – لا تصغي إليها .

الالاهة الاولى – ابتعد ! ابتعد ! اطرديه يا الكتر ، ولا تدعي يده تلمسك . إنه جزّار ! وعلى يديه رائحة الدم الرطب . لقد قتل العجوز قتلةً قذرة ، لو تعلمين ، إذ ارتدّ عليها بضع مرات .

ألكتر – ألا تكذبين ؟

الالاهة الاولى – تستطيعين ان تصدقيني . لقد كنت هناك ، وكنت اطير حولها .

الكتر – وقد طعنها عدة طعنات ؟

الالاهة الاولى – ما يقارب العشر . وفي كل طعنة ، كان السيف يحدث صوتاً في الجرح . وكانت تغطّي وجهها وبطنها بيديها ، فقطع لها يديها .

الكتر – هل تألمت كثيراً ؟ ألم تمت على الفور ؟

اورست – كفّي عن النظر اليهن ، وسدّي أذنيك ، وأياك خصوصاً ان تطرحي عليهن الاسئلة ؛ ستهلكين اذا طرحت عليهن الاسئلة .

الالاهة الاولى – لقد تألمت ألماً فظيعاً .

الكتر (مخفية وجهها بيديها) – ها !

اورست – إنها تريد ان تفصل بيننا ، وهي تنصب حولك جدران العزلة .

فحذار ؛ إنك حين تصبحين وحدك ، وحدك وبلا عون ، فسينقضضن عليك . اسمعي يا الكتر : لقد قررنا هذا القتل معاً ، ويجب ان نتحمل نتائجه معاً .

الكتر – تدعي اني أردته ؟

اورست – أليس ذلك صحيحاً ؟

الكتر – لا . ليس صحيحاً .. انتظر ... بلى ! آه ! لست ادري بعد . لقد حلمت بهذه الجريمة . ولكنك انت الذي نفذها ، يا جلاد أمّك بالذات .

الالاهات (صاحكات صارخات) – جلاد ! جلاد ! جزار !

اورست – إن العالم وراء هذا الباب يا الكتر . العالم والصباح . وفي الخارج ، تطلع الشمس على الدروب . اننا سنخرج عما قليل ، وسنسير على الدروب المشمسة ، وستفقد بنات الليل هؤلاء قدرتهن : فان أشعة النهار ستخترقهن كالسيوف .

الكتر – الشمس ...

الالاهة الاولى – إنك لن تري الشمس ابداً يا الكتر . لسوف تتكوم بينها وبينك كومة من الجراد ، وستحملين الليل على رأسك في كل مكان .

الكتر – دعيني ! كفّي عن تعذيبي !

اورست – إن ضعفك هو الذي يكسبهن قوتهن . انظري : انهن لا يجرؤن على ان يقلن لي شيئاً . اسمعي : إن ذعراً ليس له من اسم قد حطّ عليك وهو الذي يفصل بيننا . ومع ذلك ، فما الذي عشتِه ولم أعشه ؟ أتظنّين أن اذني ستكفّان يوماً عن سماع أنّات أمي ؟ وعيناها الهائلتان – محيطان هائجان – في وجهها الطبشوري ، اتظنين ان عينيّ ستكفان يوماً عن رؤيتها ؟ والتمزق الذي بتّ كلك ، أتعتقدين انه سيكف يوماً عن تمزيقي ؟ ولكن ما يهمني : انني حر . فيا وراء التمزق والذكريات . حر . ومنسجم مع نفسي . يجب ألا تحقدي على نفسك يا الكتر . أعطيني يدك : انني لن أتركك .

الكتر – دع يدي ! صحيح أن هاتيك الكلبات السود حولي تخيفني ، ولكن أقل منك .

الالاهة الاولى – أترى ! أترى ! أليس صحيحاً ايتها الدمية الصغيرة اننا أقل إخافة لك منه ؟ إنك بحاجة الينا ، يا الكتر ، انك ابلتنا . انت بحاجة الى مخالبنا لتنقب في لحمك ، وأنت بحاجة الى أسناننا لتعض صدرك ، وانت بحاجة الى حبنا المفتذي بلحم البشر ليصرفك عن الحقد التي تحملينه لنفسك ، وانت بحاجة الى ان تتألمي في جسمك لتنسي آلام روحك . تعالي ! تعالي ! ليس لك الا ان تهبطي درجتين ، وسنتلقاك بأذرعتنا ، وستمزق قبلاتنا لحمك الطري ، وسيحل النسيان ، النسيان على نار الألم النقي .

الالاهات – تعالي ! تعالي ! تعالي !

(يرقصن بهدوء ، كما لو انهن يردن ان يسحرنها . تنهض الكتر) .

اورست (قابضاً على ذراعها) – لا تذهبي ، أبتهل اليك ، سيكون في ذلك هلاكك .

الكتر (متخلصة بعنف) – ها ! انني أكرهك .

(تهبط الدرجات ، فتنقض عليها الالاهات جميعاً) .

الكتر – النجدة ! النجدة !

(يدخل جوبيتر)

المشهد الثاني

الأشخاص انفسهم – جوبيتر

جوبيتر – إلى مرقدكن ! !

الالاهة الاولى – السيّد !

(تبتعد الالاهات على مضض ، تاركة الكتر ممددة على الارض)

جوبيتر – يا للصبية المسكينة ! (يقترب من الكتر) أهذا هو مصيرك إذن ؟ إن الغضب والشفقة يتنازعان قلبي . إنهضي يا الكتر : فما دمت هنا ، فان كلباني لن يؤذيك (يساعدها على النهوض) اي وجه رهيب . ليلة واحدة ! ليلة واحدة ! اين هي نضارتك القروية ؟ إن كبدك ورئتيك وطحالك قد سامت في ليلة واحدة ، فليس جسمك بعدُ إلاّ جسماً بائساً . آه ! ايها الشباب المدّعي الجنون ! كم قد جلبت على نفسك من مصائب !

اورست – اترك هذه اللهجة يا صاحبي : فهي لا تناسب ملك الآلهة .

جوبيتر – وانت كذلك ، اترك هذه اللهجة المتكبرة : فهي لا تناسب مذنباً يكفّر عن جريمته .

اورست – انا لست مذنباً ، ولن تستطيع ان تحملني على التكفير عما لا أعارف به جرماً .

جوبيتر – ربما كنت على خطأ ، ولكن صبراً : انني لن اتركك في الخطأ طويلاً .

اورست – مهما قلت ما شئت : فانني لست نادماً على شيء .

جوبيتر – حتى ولا على الذلّ الذي غرقت فيه أختك بسبب خطأك ؟

اورست – حتى ولا على هذا .

جوبيتر – هل تسمعينه ، يا الكتر ؟ هوذا من كان يزعم أنه يحبك .

اورست – أحبّها اكثر من نفسي . ولكن آلامها صادرة عنها ، وهي وحدها من تستطيع ان تتخلص منها : انها حرّة .

جوبيتر – وانت ؟ ربما كنت انت ايضاً حراً ؟

اورست – انت تعرف هذا جيداً .

جوبيتر – انظر الى نفسك ، ايها المخلوق الوقح البليد : إن لك في الحقيقة هيئة متعالية ، ملتوية بين سيقان إله منقذ ، مع هذه الكلبات الجائعات اللواتي يحاصرنك . إذا جرؤت على الزعم بانك حر ، فلا بد إذن من الاشادة بحرية الأسير المثقل بأغلاله ، في جوف زنزانة ، وحرية العبد المصلوب .

اورست – ولِمَ لا ؟

جوبيتر – حذار : إنك تتطاوس لأن ابولون يحميك . ولكن ابولون هو خادمي المطيع . فاذا رفعتُ إصبعاً ، تخلّى عنك .

اورست – وماذا تنتظر ؟ إرفع اصبعاً ، ارفع يدك كلّها .

جوبيتر – وما جدوى ذلك ؟ ألم أقل لك اني أنفر من العقاب ؟ لقد جئت أنقذك .

الكتر – تنقذنا ؟ كفّ عن السخرية ، يا سيّد الانتقام والموت ، فليس من المسموح به – حتى لإله – ان يمنح الذين يتألمون أملاً خادعاً .

جوبيتر – تستطيعين بعد ربع ساعة ان تكوني خارج هذا المعبد .

الكتر – سليمة معافاة ؟

جوبيتر – اني أمنحك كلمة الشرف .

الكتر – وما الذي ستطلبه مني بالمقابل ؟

جوبيتر – لا أطلب منك شيئاً ، يا بنيتي .

الكتر – لا شيء ؟ هل ما أسمعه صحيح ، ايها الإله الطيب ، ايها الآله المعبود ؟

جوبيتر – او لا شيء تقريباً . ان ما تستطيعين ان تعطيني اياه بكل سهولة هو بعض الندم .

اورست – حذار يا الكتر : ان هذا اللاشيء سيثقل على روحك كالجبل .

جوبيتر – (للكتر) – لا تصغي اليه . بل أجيبني أنا : كيف تراك لا تقبلين انكار هذا الجرم؟ ان شخصاً آخر هو الذي ارتكبه ولا نكاد نستطيع ان نقول انك كنت ضالعة معه .

اورست – الكتر ! اتراك ستنكرين خمسة عشر عاماً من الحقد والأمل ؟

جوبيتر – من يتحدث عن الإنكار ؟ انها لم ترد قط هذا العمل التدنيسي .

الكتر – واحسرتاه !

جوبيتر – هيّا ! ان بوسعك ان تثقي بي . ألست أقرأ في القلوب ؟

الكتر (غير مصدقة) – وانت تقرأ في قلبي أني لم أرد هذه الجريمة ؟ بينما حلمت طوال خمسة عشر عاماً بالقتل والانتقام ؟

جوبيتر – كفى ! ان تلك الاحلام الدامية التي كانت تهدهدك ، كان لها لون من البراءة : كانت تقنّع عنك عبوديتك ، وكانت تلأم جراح كبريائك . ولكنك لم تفكري قط بتحقيقها . فهل أنا مخطىء ؟

الكتر – آه ! يا إلهي العزيز ، كم أتمنى ألاّ تكون مخطئاً !

جوبيتر – انت فتاة صغيرة جداً يا الكتر . وقد كانت الفتيات الصغيرات الاخريات يتمنين أن يصبحن أغنى النساء جميعاً أو أجملهن . اما أنت ، المسحورة بقدر جنسك الفظيع ، فقد تمنيت أن تصبحي اكثر النساء ألماً واجراماً . انك لم تريدي الشر قط : لم تريدي الا شقاءك بالذات . ان الاولاد ، في مثل سنك ، ما يزالون يلعبون بالدمية او بالقفز ؛ اما انت ، المسكينة الصغيرة التي لا تملك دمى ولا رفاقاً ، فقد لعبت بالقتل ، لأنها لعبة يستطيع المرء ان يلعبها وحده .

الكتر – يا للأسف! يا للأسف! انني أستمع اليك وارى بوضوح أعماق قلبي .

اورست – الكتر ! الكتر ! انما انت الآن مذنبة. من يستطيع ان يعرف ما أردته غيرك انت ؟ فهل تراك تتركين احداً آخر يقرّر ذلك ؟ لماذا تشوّهين ماضياً لا يمكن بعدُ ان يدافع عن نفسه؟ لماذا تنكرين تلك « الالكتر » الحاقدة التي كنتها ، تلك الالاهة الشابة ، إلاهة الحقد ، التي أحببتها كثيراً ؟ أولاً ترين أن هذا الرب القاسي يتلاعب بك ؟

جوبيتر – أتلاعب بكما ؟ بل اسمعا ما الذي اقترحه عليكما : اذا انكرتما جريمتكما ، أقمتكما كليكما على عرش ارغوس .

اورست – بدلاً من ضحيتينا ؟

جوبيتر – هذا ما ينبغي .

اورست – وسأرتدي ثياب المرحوم الملك التي ما تزال دافئة ؟

جوبيتر – هذه الثياب او سواها ، سيّان .

اورست – نعم ؛ شريطة ان تكون سوداء ، أليس كذلك ؟

جوبيتر – ألست في حداد ؟

اورست – الحداد على امي ، كنت أنسى ذلك . ورعيتي ، أينبغي ايضاً ان ألبسها السواد ؟

جوبيتر – إنها ترتديه حالياً .

اورست – هذا صحيح. لندع لها الوقت الكافي لإبلاء ثيابها القديمة . حسناً، هل فهمتِ يا الكتر ؟ اذا ذرفت بعض الدموع ، أعطيت تنانير كليتمنستر وقمصانها – تلك القمصان النتنة الملطخة التي غسلتها بيديك طوال خمسة عشر عاماً . ودورها كذلك ينتظرك ، فليس لك الا ان تأخذيه ؛ وسيكون الوهم ممتازاً ، وسيظنّ الجميع انهم يرون امك ثانية ، لأنك أخذتِ تشبهينها . اما انا، فاني اكثر اشمئزازاً : انني لن ارتدي ثياب المهرج الذي قتلته .

جوبيتر – انك ترفع رأسك عالياً جداً : لقد طعنت رجلاً لم يكن يملك وسيلة الدفاع عن نفسه وعجوزاً كانت تطلب العفو؛ ولكن الذي يسمعك تتكلم

من غير ان يعرفك قد يظن أنك أنقذت مسقط رأسك ، وانت تقاتل وحدك ضد الثلاثين .

اورست – ربما أكون في الواقع قد انقذت مسقط رأسي .

جوبيتر – أنت ؟ أتعرف ما وراء هذا الباب ؟ سكان أرغوس – جميع سكان أرغوس إنهم ينتظرون منقذهم بالحجارة والمناشير والهراوات ليعبروا له عن عرفانهم . انك وحدك كالمصاب بالبرص .

اورست – نعم .

جوبيتر – إذهب ، ولا تفخر بذلك . لقد قذفوك في عزلة الاحتقار والقطاعة ، يا أبجن القاتلين !

اورست – إن أبجن القاتلين هو الذي يعاني الندم .

جوبيتر – اسمع يا اورست ! لقد خلقتك وخلقت كل شيء : فانظر (تنشق جدران المعبد ، وتبدو السماء متلألئة بالنجوم التي تدور . جوبيتر في داخل المسرح ، يصيح صوته هائلاً – مكبّر صوت – ولكن المشاهد يكاد يميزه) إنظر إلى هذه الكواكب التي تدور في نظام ، من غير ان تتصادم أبداً : أنا الذي نظمت مجراها ، وفقاً للعدل . اسمع انسجام الكرات، هذا النشيد المسبّح الهائل الذي يتردد في اربعة ارکان السماء (ميلودرامه) باسمي تخلد الانواع والأجناس ، وقد أمرت ان يولد دائماً انسان من انسان وان يكون طفل الكلب كلباً ، وباسمي يمتد لسان الامواج الرقيق ليلحس الرمل وينسحب في الساعة المحددة ، وأنا الذي أنمي النبات ، وأنقاسي هي التي تقود حول الارض سحائب اللقاح السوداء . انت لست في بيتك ايها الدخيل ؛ وانما انت في العالم كالشظية في اللحم ، كالصيّاد الذي لا يحق له الصيد في الغابة الملكية : ذلك أن العالم طيّب ؛ ولقد خلقته وفق رغبتي وانا الخير . اما انت ، فقد فعلت الشر ، والاشياء تتهمك بصوتها المتحجّر : إن الخير قائم في كل مكان ، إنه نخاع البيلسان ، ونداوة الينبوع ، وحبّة الصوان ولقل الحجارة ؛ إنك واجده حتى في طبيعة النار والنور ، بل ان جسمك نفسه يكشف عنه ، لأنه ينسجم مع اوامري . إن « الخير » في نفسك ، وخارج

نفسك ، وهو يخترقك كمنجل ، ويسحقك كجبل ، ويحملك ويدفعك كبحر ؛ وهو الذي أتاح نجاح مشروعك السيء، لأنه كان ضوء الشموع، وصلابة سيفك ، وقوة ذراعك . وهـذا « الشر » الذي تفاخر بـه ، والذي تسمّي نفسك فاعله ، ما يكون إن لم يكن إنعكاس الوجود ، إن لم يكن حجةً ومبرراً ، إن لم يكن صورة خادعة وجودها نفسه مدعوم « بالخير » . عُدْ فادخل في نفسك يا اورست : إن الكون يخطّئك ، وانت نفاية في الكون . عُـدْ فادخل في الطبيعة ، ايها الابن المشوّه : اعرف خطأك ، واحتقرْه ، وانتزعـه من نفسك كسنّ مسوّسة منتنة . او اخش ان ينحسر البحر امامك، وان تنضب الينابيع على دربك ، وان تتدحرج الحجارة والصخور خارج طريقك ، وان تتفتّت الارض تحت قدميك .

اورست – لتتفتّت ! ولتُدْنِني الصخور ، ولتذبل الزهور لدى مروري: ان عالمـك كلّه لن يكفي لتخطئتي . انت ملك الآلهـة يا جوبيتر ، ملك الصخور والنجوم ، ملك امواج البحر . ولكنك لست ملك البشر .

(تتقارب الجدران ، ويبدو جوبيتر من جديد ، متعباً ، مقوس الظهر ؛ يستعيد صوته الطبيعي) .

جوبيتر – لست ملكك ، ايها الشبح الوقح . فمن خلقك اذن ؟

اورست – انت . ولكن ما كان ينبغي لك ان تخلقني حرّاً .

جوبيتر – لقد أعطيتك الحرية لتخدمني .

اورست – هذا ممكن ، ولكنها ارتدّت عليك ، ولا حيلة لنـا بها ، لا انا ولا انت .

جوبيتر – أخيراً ، ها هو الاعتذار .

اورست – انني لا اعتذر .

جوبيتر – حقاً ؟ أتعرف انها تشبه كثيراً الاعتذار ، تلك الحرية التي تقول انك عبدٌ لها ؟

اورست – انا لست السيد ، ولا العبد ، يا جوبيتر. إنني حريتي ! فما كدت

تخلقني حتى كففت عن أن أخصّك .

الكثر – أستحلفك بأبينا يا اورس ، لا تضيفنّ التجديف الى الجريمة .

جوبيتر – إسمعها ، وافقد الأمل في ان تستردّها بحججك : إن هـذه اللهجة تبدو جديدة بما فيه الكفاية على سمعها – وهي تصدمها بما فيه الكفاية .

اورست – وعلى سمعي ايضاً ، يـا جوبيتر . وعلى حلقي الذي يهمس بالكلمات ، ولساني الذي يكوّنها عندما تمرّ بـه : انني أجد مشقّة في فهم نفسي . لقد كنتَ حتى الأمس غشاوة على عينيّ ، وسدادةً من شمع في أذني ؛ وبالأمس كان عندي عُذر : كنتَ عُذري بان أوجد ، لأنك كنت قـد خلقتني في العالم لأخدم أغراضك ، وكان العالم حسارة عجوزاً تحدثني عنك بلا انقطاع. لم تركني بعد ذلك .

جوبيتر – أتركك ، أنا ؟

اورست – أمس ، كنتُ قرب الكثر ؛ وكانت طبيعتك كلّها تحيط بي ؛ كانت الجبّة تنشد أغاني « خيرك » وتحضني نصائحها. وكان النهار المحرق يرقّ كما يتقشّى النظر ، ليحرّضني على الرّقـة ؛ ولكي تدعوني السماء الى نسيان الإهانات ، كانت تعذُب وتحلو كأنها الصفح . كان شبابي ، ليطيع اوامرك ، قد نهض فوقف امـام نظري ، مبتهلاً كخطيبة يهمّ خطيبها بتركها : وكنت ارى شبابي للمرة الأخيرة . ولكن فجأة ، انقضّت الحريّة عـليّ فأرعدت في نفسي ، وقفزت الطبيعة الى خلف ، فلم يكن لي بعدُ من عُمر ، وأحسستني وحيداً كل الوحدة ، وسط عالمي الصغير التافه ؛ كمن فقد ظله ؛ ولم يكن ثمة شيءٌ بعدُ في السماء ، لا « خير » ولا « شر » ، ولا أحد ليصدر إليّ اوامره .

جوبيتر – وإذن ؟ أيجب عـليّ أن أعجب بالنعجة التي يعزلها الجربُ عن القطيع ، او بالأبرص الذي هو محبوس في حجره؟ تذكر يا اورست : لقد كنت واحداً من قطيعي ، وكنت ترعى كلأ حقولي وسط نعاجي . وليست حريتك الا جرباً بثّاً كلك ، انها ليست الا منفى .

اورست – حقٌ ما تقول : منفى .

جوبيتر – ليس الشرّ شديد العمق : فقد بدأ بالأمس فحسب . عُدْ الينا . عُدْ : وانظر كم انت وحيد ، فحتى أختك تتركك . إنك ممتقع اللون ، والقلق يوسع عينيك . أتؤمل أن تعيش ؟ هأنت ذا متأكل بشرّ لا بشري ، ايها الغريب على طبيعتي والغريب على نفسك ذاتها . عُدْ : فأنا النسيان ، انا الراحة .

اورست – غريب على نفسي ، أعرف هذا . خارج الطبيعة ، ضد الطبيعة ، بلا عذر ولا ملجأ إلا فيّ . ولكنني لن أعود تحت شريعتك : فأنا محكومٌ علي بألا تكون لي شريعة اخرى غير شريعتي . انني لن أعود الى طبيعتك : إن هناك الف درب مرسومة فيها تؤدي اليك ، ولكني لا أستطيع ان أتبع إلا دربي . ذلك اني انسان يا جوبيتر ، وعلى كل انسان ان يخترع دربه . إن الطبيعة تشمئز من الانسان ، وانت ، انت ، رب الأرباب ، انت ايضاً تشمئز من البشر .

جوبيتر – انك لا تكذب : فحين يشبهونك ، أكرههم .

اورست – حذار : لقد اعترفت بضعفك . اما انا ، فلا اكرهك . ما شأني بك ؟ إننا نتساب أحدنا بوازاة الآخر ، من غير ان نتماسّ ، كسفينتين . انك رب ، وانا حر : فنحن متشابهان في الوحدة ، وضيقنا متشابه . من ذا الذي قال لك إني لم أبحث عن الندم ، في اثناء هذه الليلة الطويلة ؟ الندم . النوم . ولكني لا أستطيع بعدُ أن أعاني الندم . ولا أن أنام .

(صمت)

جوبيتر – ماذا تنوي أن تفعل ؟

اورست – إن سكان ارغوس هم ناسي . ويجب ان أفتح عيونهم .

جوبيتر – يا للناس المساكين ! انك ستهدي إليهم الوحدة والعار ، إنك ستنزع الأقمشة التي غطيتهم بها ، وستريهم فجأة حياتهم ، حياتهم القذرة الباهتة التي أعطوها من أجل لا شيء .

اورست – لماذا تراني ارفض أن أقدّم لهم اليأس الذي أعانيه ، ما دام هذا نصيبهم ؟

جوبيتر – وما عساهم يصنعون به ؟

اورست – ما يشاءون : انهم أحرار ، والحياة الانسانية تبدأ في الجانب الآخر من اليأس .

(صمت)

جوبيتر – الحق ان هذا كله كان متوقعاً يا اورست . كان لا بد لرجل من ان يأتي ليعلن غروبي . أفهذا أنت ؟ من الذي كان يمكن ان يصدق هذا ، أمس ، لدى رؤية وجهك الانثوي ؟

اورست – وهل كنت أصدّق هذا انا نفسي ؟ ان الكلمات التي أقولها هي اكبر من ان يستوعبها فمي ، فهي تمزّقه ؛ والقدَر الذي أحمله هو أثقل من ان يحمله شبابي ، وقد حطّمه .

جوبيتر – انني لا أحبّك قط ، وانا مع ذلك أرثي لك .

اورست – وكذلك انا أرثي لك .

جوبيتر – وداعاً ، يا اورست . (يخطو بضع خطوات) وأما انت يا الكتر ، فكّري بهذا : إن مملكتي لم تنته بعد ، مهما كان الأمر ، وانا لا اريد ان اترك الصراع . فانظري إن كنت معي او ضدي . وداعاً .

اورست – وداعاً .

(يخرج جوبيتر)

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم (ما عدا جوبيتر)

(الكتر تنهض على مهل)

اورست — الى اين انت ذاهبة ؟

الكتر — دعني . ليس لديّ ما أقوله لك .

اورست — انتِ التي عرفتك أمس فقط ، أينبغي ان أفقدك الى الأبد ؟

الكتر — ليتني لم أعرفك قط .

اورست — الكتر ! يا اختي ! يا اختي الحبيبة ! حبيبتي الوحيدة ، عذوبة حياتي الفريدة ، لا تتركيني وحدي ، إبقيْ معي .

الكتر — ايها السارق ! لم أكن املك شيئاً ، الا قليلاً من الهدوء وبعض الأحلام . وقد سلبتني كل شيء ، سرقت فتاة فقيرة . كنت أخي ، ورئيس أسرتنا ، وكان عليك ان تحميني : ولكنك أغرقتني في الدم ، فأنا حمراء كبقرة مذبوحة ؛ ان كل الذباب يلاحقني ، الذباب الأكول ، وقلبي قفيرٌ فظيع !

اورست — صحيح هذا يا حبيبتي ، لقد أخذت منك كل شيء ، وليس لديّ ما اعطيك اياه — الا جريمتي . ولكنها هدية عظيمة . أتظنّين أنها لا تثقل على ضميري كالرصاص ؟ لقد كنّا خفيفين اكثر مما ينبغي يا الكتر : أما الآن ، فان أقدامنا تنغرسُ في الأرض كما تنغرسُ عجلات عربة في الأثلام . تعالي ، سوف

نذهب ، وسنسير بخطىً ثقيلة ، منحنيين تحت عبئنا الثمين . ستعطينني يدك وسنمضي ..

الكتر — الى اين ؟

اورست — لا ادري ؛ نحو أنفسنا . ان في الجهة المقابلة من الانهار والجبال اورستاً والكتراً ينتظراننا . فيجب ان نبحث عنها في صبر .

الكتر — انني لا اريد ان أسمعك بعد . انك لا تقدّم لي الا المصيبة والاشمئزاز . (تقفز على المسرح . تقترب الالاهات ببطء) النجدة ! النجدة ! يا جوبيتر ، يا ملك الآلهة والبشر ، يا مليكي ، خذني بين ذراعيك ، احملني . احمني . انني سأتبع شريعتك ، سأكون عبدتك وملكك ، وسأعانق قدميك ركبتيك . احمني من الذباب ، من أخي ، من نفسي ، ولا تدعني وحيدة ، انني سأكرس حياتي كلها للتكفير . انني أتوب ، يا جوبيتر ، أتوب .

(تخرج وهي تعدو)

المشهد الرابع

اورست – الالاهات

(تقوم الالاهات بحركة ليتبعن الكتر ، فتوقفهن الالاهة الاولى)

الالاهة الاولى – دَعْنها يا اخواتي ، انها تفلت منا . ولكن هذا يبقى لنا ، ولأجل طويل ، كما أعتقد ، لأن روحه الصغيرة صلبة . وهو سيتألم من أجل اثنين .

(تأخذ الالاهات في الطنين ويقتربن من اورست)

اورست – انني وحيد .

الالاهة الاولى – ولكن لا ، يا أجمل القتلة ، فانا باقية لك : وسترى اي لُعَبٍ سأخترعها لأسليك .

اورست – سأبقى وحيداً حتى الموت . فبعد ..

الالاهة الاولى – تشجعن يا أخواتي ، انه يضعف . أنظرن : ان عينيه تلمعان : وعما قليل ستصدي أعصابه كاوتار قيثارة تحت عصف الارهاب .

الالاهة الثانية – ولن يلبث الجوع ان يطرده من ملجإه : وسنعرف مذاق دمه قبل ان يحل هذا المساء .

اورست – يا لألكتر المسكينة .

(يدخل المربي)

المشهد الخامس

اورست – الالاهات – المربّي

المربي – هذا انت ، يا معلمي ، اين انت ؟ أنني لا أرى شيئاً . وقد حملت لك بعض الطعام : ان سكان ارغوس يحاصرون المعبد ، ولا تستطيع ان تفكر بالخروج منه : وهذه الليلة ، سنحاول ان نفرّ . وبانتظار ذلك ، كل . (تسد الالاهات الطريق عليه) ها ! من هنّ هؤلاء ؟ وساوس اخرى ؟ كم أحنُّ الى بلد « الأتيك » الرقيق ، حيث كان عقلي على حق .

اورست – لا تحاول ان تقترب مني ، والا فانهنّ سيمزّقنك شرّ ممزّق .

المربي – مهلاً يا جميلاتي . خُذْن هذه اللحوم وهذه الفاكهة ، اذا كان باستطاعة عطاياي ان تهدئكن .

اورست – تقول ان سكان ارغوس متجمعون امام المعبد ؟

المربي – وكيف ! ولن استطيع ان اقول لك أيها أشد ضراوة في الرغبة باذائك : اهؤلاء الفتيات الجميلات او اتباعك الاعزاء اولئك .

اورست – حسناً (فترة) . افتح هذا الباب .

المربي – هل انت مجنون ؟ انهم هنا ، خلفه ، يحملون اسلحتهم .

اورست – افعل ما اقوله لك .

المربي – سنسمح لي هذه المرة ان أعصاك . أقول لك انهم سيمزقونك .

اورست – انني معلمك ايها العجوز ، وآمرك بان تفتح الباب .

(يشق المربي الباب)

المربي – اولالا ! اولالا !

اورست – على مصراعيه !

(يفتح المربي الباب ويختبيء وراء احد المصراعين . تدفع الجموع المصراعين بعنف وتقف مذهولة على العتبة . نور قوي)

المشهد السادس

الاشخاص انفسهم – الجموع

(صراخ في الجموع : الموت له ! الموت له ! قطعوه ! مزقوه ! الموت له !)

اورست (من غير ان يصغي اليهم) – الشمس !

الجموع – ايها المدنس ! ايها القاتل ! ايها الجزار ! سوف نقطعك إربـــاً ! وسنصب الرصاص المذوّب في جروحك .

امرأة – سأقتلع عينيك .

رجل – سآكل كبدك .

اورست (ينتصب) ها أنتم اولاء ، يا اتباعي المخلصين ؟ انني اورست ، ملككم ، ابن آغاممنون ، وهذا اليوم هو يوم تتويجي .

(تهدر الجموع ، مبلبلة مشوشة)

لقد كففتم عن الصيـــاح ؟ (تسكت الجموع) أعرف : انني أخيفـــكم . منـــذ خمسة عشر عاماً تماماً ، انتصب امـــامكم قاتل آخر ، وكان يرتدي قفازين أحمرين حتى المرفقين ، قفازين من دم ، ولم تخـــافوا منه ، لانـــكم قرأتم في عينيه أنه كان منكم ، وانه لم يكن يحمل شجاعة أعماله . ان الجريمـــة التي لا يستطيع مرتكبها ان يتحملها ، ليست جريمة أحد ، أليس كذلك ؟ انها حادث عرضي تقريباً . ولقد استقبلتم القاتل كأنه ملككم ، وأخذت الجريمة القديمـة

تروح وتجيء بين جدران المدينة ، وهي تئن في رقة ، كـكلب فقد معلمه . انكم تنظرون الي يا سكان أرغوس ، وقـد فهمتم أن جريمتي تخصني وحدي ؛ انني اطالب بها في وجه الشمس ، انها سبب حياتي وفخري ، وانتم لا تستطيعون أن تعاقبوني ولا أن ترثوا لي ، ومن أجل هذا تخافون مني . ومع ذلك، فاني أحبكم ، يا أتباعي ، ومن أجلكم انـتم قتلت . من أجلكم . لقـد جئت اطالب بمملكتي ، فطردتموني لأنني لم أكن منكم . اما الآن ، فأنا منكم ، يا رعاياي ، اننا مرتبطون بالدم ، وانا أستحق ان اكون ملككم . ان أخطاءكم وندمكم ووساوسكم الليلية ، وجريمة أجيست ، ان ذلك كله لي ، وأنا آخذ كل شيء على عاتقي . فـلا تخافوا بعدُ موتاكم ، فانهم موتاي . وانظروا : لقد تركتكم ذبابكم المخلص وأقبل عليّ . ولكن لا تخافوا يا سكان أرغوس : فانني لن أجلس والدم يقطر مـني على عرش ضحيتي : فقد قدّمه لي إله فقلت لا اريد ان اكون ملكاً بلا ارض ولا رعايا . فوداعاً يا شعبي ، وحاولوا ان تعيشوا : ان كل شيء جديد هنـا ، وكلُّ شيء للبدء والحياة تبدأ كذلك بالنسبة لي . وانها لحياة غريبة . اسمعوا هـذا ايضاً : ذات صيف ، هاجم الجرذان جزيرة سكيروس ، فأخذت تقضم كل شيء، وكان ذلك وباً عظيماً ؛ وقد حسب سكان المدينة انهم يموتون من جرّاء ذلك . ولكن أقبـل ذات يوم عازف ناي ، فانتصب في قلب المدينة — على هـذا النحو (ينهض واقفاً) وأخذ يعزف على الناي ، فـاذا بالجرذان كله يتجمع حوله . ثم أخذ يمشي بخطى واسعة ، على هذا النحو (يهبط عن القاعدة) وهو يصيح في سكان سكيروس : « ابتعدوا ! » (تبتعد الجماهير) ورفعت جميع الجرذان رؤوسها مترددّة ، كما يفعل الذباب . انظروا ! انظروا الى الذباب ! وفجـأة ، لحقت الجرذان به . واختفى عازف الناي مع جرذانه الى الابد . على هذا النحو .

(يخرج ؛ ترتمي الالاهات على أثره وهي تهدر وتصيح)

(ستار)